



رسائل في حب الوطن

بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس
المملكة العربية السعودية



من مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي

رقم الكتاب (١٢٢)

تأليف
محمد صالح البليهي

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي - Sarmed- @sarmed74 Twitter:

قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي https://t.me/Tihama_books Telegram:

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي - Sarmed- @sarmed74 Twitter:

قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي https://t.me/Tihama_books Telegram:

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي - Sarmed- @sarmed74 Twitter:

قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي https://t.me/Tihama_books Telegram:

تقديم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

فإن هذه النقلة الحضارية التي شهدتها البلاد من أقصاها إلى أقصاها حضارة وتألّقاً في سماء المجد قد لا يعي شبابنا بداياتها ولا كيفية ما كانت عليه هذه الأرض قبل أن تسعد بمظلة ، الملك عبدالعزيز ويعتقدون بأن الأمور كانت سهلة ميسرة وأن سلم الرقي كان جاهزاً فسارت حضارتنا عليه وما علموا بأن الأجداد قد خرطوا (القتاد) في كل مناحي الحياة وأن البدايات التي انطلقت منها كانت صعبة جداً وأن العراقيل التي كانت واقفة في سبيل تطور هذه الأرض تؤكد أن كل تغيير اجتماعي أو ثقافي أو صحي أو غير ذلك كان مستحيلاً.. لأن البلاد كانت تعيش عزلة تامة تخلفاً وفرقة وسوء حال ولكن إرادة الله ولطفه بها قد سخر ذلك الرجل الكبير قلباً وفكراً وعقلاً وشجاعة وإخلاصاً ووطنية وحسن إدارة وقيادة (الملك عبدالعزيز) فسعدت ونهضت وصارت نموذجاً يندر مثيله في الارتباط

والالتحام والقوة والمنعة والثقافة والبناء والتصميم على
تخطي المستحيل .. إنها معجزة بدون شك أن نصل إلى
هذا الموقع في دنيا الحضارة والرقي بهذه السرعة
والتفوق .. والإحكام والالتزام والأصالة ..

وأمام ما نحن فيه من فرحنا بما أنجز واعتزازنا
بقيادتنا وفخرنا بعبد العزيز القائد الملهم وبنيه المغاوير
وما تحقق على أرضنا من حضارة ورقى وتقدم وازدهار
لا بد أن نذكر أبناءنا بالحال التي كانت عليها بلادنا قبل
أن تتشرف بقيادة الملك عبدالعزيز .. نوضح لهم صور
الشتات والفرقة وملامح العوز والفاقة وأشباح الفقر
والمرض وطلاسم الجهل والشعوذة والعنت والمشقة وقلة
الموارد والتأخر الذي كانت عليه البلاد ..

نذكرهم بما كان عليه الآباء والأجداد من غزو
ومشاحنات وحروب وثورات وما كانت عليه البلاد من
عزله وانزواء ونقص في أبسط الأشياء ..

نوضح لهم تمدد المسافات وضيق الإمكانيات وشعب
الغارات بين القبائل ..

نوضح لهم معانات الناس في جلب الماء وطلب

الرزق ووجود الدواء واستفحال الداء ..

نبين لهم كل ذلك وغيره بشتى الصور والأساليب
ليعرفوا النعمة التي يعيشون فيها ويقدروها حق قدرها
وليشكروا الله عليها في كل وقت وكل حين ...

وهذا النهج .. وهو إيضاح ما كانت عليه البلاد
قبل سعادتها واستغلالها بمظلة هذا العهد الميمون
مستوليتنا نحن الكتاب والأدباء والمفكرين وهو ما ركز
عليه صاحب السمو الملكي الأمير / سلمان بن
عبدالعزیز أمير منطقة الرياض يوم أن تشرف رؤساء
وممثلوا الأندية الأدبية بالسلام على سموه في مكتبه
أثناء انعقاد اجتماع رؤساء الأندية الأدبية بنادي
الرياض قبل سنوات ...

لقد تحدث يومها سموه حفظه الله حديث المحب
لهذه الأرض المتأصل في أعماقها أصالة وانتماء وثقافة
وأبان تلك المسئوليات الكبيرة التي يجب أن يضطلع بها
الأدباء والمفكرون والمربون ورجال التربية نحو الجيل
الذي يتفياً ظلال هذه النعمة التي تعيشها البلاد أمناءً
ورخاءً واستقراراً وثقافة ويسر حياة ..

قال لهم : علموا أجيالنا الحاضرة الكيفية التي
كان يعيشها الآباء والأجداد على هذه الأرض ...

علموهم كيف كان الناس يبحثون عن قوت اليوم
فلم يجدوه وكيف كانوا يشربون من المياه الراكدة
ويتعاملون مع الحياة بمصاعبها ومتاعبها وأهوالها ؟.

علموهم كيف كان الناس يأكلون وكيف يشربون
وفي أي شيء يفكرون في ذلك الزمان ؟.

علموهم الزمن الذي عرفنا فيه الثلجة والسيارة
والطائرة ووسائل العصر الحديثة ؟

علموهم معاني الأمن الذي يعيشونه وأوضحوا لهم
صور الفرقة والشتات التي كانت عليها بلادهم وكيف
تحولت إلى هذه الوحدة المتماسكة المتحاببة المتآلفة التي
تبني لصالح الوطن ورفعته المواطن ...

لقد ركز يومها سموه على هذه المعاني وحمل
أولئك الكتاب والأدباء والمفكرين في بلادنا مسئولية
إيضاح كل ذلك لشباب الأمة ليعرف قدره ويتعامل مع

رسائل

معطيات الوطن ووسائل الحضارة بمعرفة تامة لتاريخه
وتطور بلاده ويشكر الله على ما هو فيه من استقرار
وأمن وتطور وترك الكيفية التي تنقل بها كل تلك
المعاني إلى أفهام ومدارك هذا الجيل للكتاب والأدباء
أنفسهم ...

ومحاولة متواضعة مني للإسهام بما رآه سمو
الأمير سلمان بن عبدالعزيز وما حث عليه ووجه به رأيت
أن أنقل شيئاً بسيطاً إلى جيل الأمة في هذه الأرض
على هيئة رسائل إلى جيل اليوم تحمل بعض المعاني
والمثل والقيم وصور الماضي بآلامه وآماله .

وقد رأيت أن من صور الإيضاح تسجيل هذه
الرسائل التي تسهم بطريق أو بآخر في إبراز بعض
صورنا الاجتماعية والثقافية والصحية والمكانية بأسلوب
قصصي عفوي فيه التذكير والتربية والوعظ والتراث
وفيه الشكر لولي الأمر الأول القائد الملهم العبقري الملك
عبدالعزیز يرحمه الله ثم لبنیه من بعده .. بأسلوب كما

رسائل

ذكرت يمتاز بالعفوية والبساطة والاعتزاز والوطنية
والحرص على الانتماء والأصالة لهذه الأرض ولتراثها
وجبالها وسهولها ووديانها وما سار عليها وما أقيم بين
جنباتها ...

إن مناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لتأسيس هذا
الكيان الكبير (المملكة العربية السعودية) على يد
الملك عبدالعزيز يرحمه الله فرصة أعتز بها لأسهم بجهود
مقل بهذه الرسائل في حب الوطن ومن أجل الوطن ..

وقد أشاد بها مَنْ أفخر بإشادته وشهادته الرجل
العصامي الدكتور / عبدالعزيز الخويطر وزير
المعارف السابق وعضو مجلس الوزراء الحالي وكان
لإشادته الفضل بعد الله في مواصلة إيراد هذه
الرسائل التي صارت بحمد الله وحسن توفيقه ثم
بتشجيع د / الخويطر وبعض الرجال المخلصين من
الأصدقاء والمحبين المثقفين. صارت شيئاً يذكر في دنيا
التراث والثقافة والمعرفة .

سائل

وها أنذا أقدم الجزء الأول منه في مناسبة غالية
عزيزة على كل مواطن في هذه المملكة السعيدة ألا وهي
مناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية
السعودية.

وسوف تتبع أجزاء أخرى في مناسبات وطنية أخرى
إن شاء الله وكل الذي أرجوه أن تجد هذه الرسائل
بلامحها ورموزها ومراميها وأبعادها تراثاً وتربية
وثقافة وعظة وتذكيراً .. تجد طريقها إلى عقول شبابنا
ومداركهم ليذكروا ويشكروا ويعرفوا نعمة الله عليهم
تحت مظلة هذه الدوحة الوارفة الظلال دوحة العهد
السعودي الميمون الذي وحد الكلمة وجمع الشمل ولم
الشتات وأرسى دعائم حضارة متألقة نفاخر بها أمم
الأرض . ونشكر الله عليها في كل حين ...

محمد صالح البيهشي

سائل

سيرة بطل ومولد مملّة

سائل

يوم من أيام التاريخ الخالدة ومفخرة من مفاخر
المملك عبدالعزيز البطل سجلها له التاريخ بأحرف من نور
... حيث تحققت الأمنية وتوحد الهدف واجتمع الشمل
وعلت راية التوحيد عالية خفاقة على أرض الجزيرة .
إنها الذكرى المئوية لتأسيس هذا الكيان الكبير
المملكة العربية السعودية ...

إنها ذكرى عزيزة غالية ... ذكرى نعتز بها ..
ذكرى لبطل من أبطال التاريخ وعبقري فذ من
عباقرته وأفذاذه استطاع بقوة إيمانه أن يضحي بحياته
وأن يجوب أرجاء صحراء قاحلة في وقت تعز فيه
التضحية وتتغلب قوى الشر والطغيان ... صحراء قد
حفت بها المصاعب وأحدقت بها الأخطار وغزتها قوى
الشر والطغيان من كل جانب . فالغزو ديدنها والقتل
مثلها والسلب والنهب من أبرز سماتها ، والتعصب
والتقاليد البالية عنوان كل إنسان يعيش فيها والخرافات
والبدع قد فتكت وخطت الحياة بها فلا أمن ولا استقرار
ولا هدوء ولا حياة .

رآها عبدالعزيز البطل مفككة محطمة فأتاها وهو

ابن بجدها ولكن بمفهوم غير مفاهيم أهلها ويسمات
غير سماتهم .. أتاها بقلب ملئ بالحب والحياة لها
والإخلاص والصدق والوطنية والغيرة عليها . لينقذها
مما أحاطت بها من شرور وما فتكت بها من محن ..
أتاها بقلب ملئ بالحكمة والتعقل والصبر والجلد
والشجاعة والإقدام ونفس كبيرة كبر الحياة مفعمة بحب
الخير للناس أجمعين وروح عالية لا تعرف اليأس أو
التخاذل ..

روح متطلعة إلى المجد مصممة على أن تحتل قمته
مهما كانت التضحيات ومهما بلغت الأخطار .. يدعمها
إيمان بالله وحده لا تزعزعه الشدائد ولا تنقصه المحن
مهما أدلهمت خطوبها ..

كان نصيره الإيمان واستعانته بالله تعالى فخاض
خضم الصحراء الزاخر الملئ بالفتن والمصاعب وكان رابط
الجأش قوى القلب ثابت الجنان . غامر مغامرة الأبطال
وأقدم إقدام الأسود حتى تحققت آماله وعاد إلى أرض
وطنه وأعاد مجداً تليداً تربع على قمته وطرده كل دخيل
أو خرافي مبتدع ..

انتصر عبدالعزيز البطل ودخل رياض آبائه وأجداده . دخلها دخول الظافر المنتصر ومنذ ذلك الحين بادر الإصلاح بدافع من غيرته وبحب من قلبه العطوف الشفوق فوحد أجزاءها ولم شعثها ونشر الطمأنينة بين جنباتها وحكم شريعة الله فيها وبادر بنقل مجتمعتها من حياة إلى حياة .. من حياة البداوة والسلب والنهب إلى حياة الاستقرار والأمن والحياة الحضارية الواعية ..

لقد نبذ حياة الخرافة التي عاشها الناس سنين طويلة واقتلع جذور حياة القبلية البغيضة والأخذ بالثأر والقتل لأتفه الأسباب التي كان الناس قد اعتادوا عليها وحمل لهم مفاهيمه الواعية المستنيرة وتعقله العظيم ورويته النادرة وخاطبهم بقلبه ونقل لهم كل جديد رأى فيه صالح البلاد والعباد متمشياً بهدى الدين الخفيف والملة السمحاء . فاجتمعت فيه صفات القائد المصلح والداعية المخلص والعبقري الفذ والبطل الذي قد حوى كل صفات البطولة . لمس الناس فيه قلباً رحيماً عطوفاً راعياً لمصالحهم ساعياً لكل ما فيه تقدمهم ورقيمهم وتطويرهم فاجتمعت القلوب حوله وأخلصت له وقدمت له

زمام الطاعة والولاء بعد أن رأت فيه الملك الصالح
والموحد العظيم لأجزاء جزيرتهم الغالية ..

ومن هنا دوى في أرجاء المعمورة صوت مجلجل
معلناً أمام العالم أجمع عن قيام مملكة وتتويج بطل ..
دوي ذلك الصوت معلناً الوحدة الشاملة لجزيرة العرب
وقيام مملكة يرفرف عليها علم التوحيد ويقود مسيرتها
ابن بارو عبقري فذ وبطل مغوار هو عبدالعزيز آل سعود
... ومنذ ذلك الحين وهو يتابع مسيرته نحو المجد
بتهيئة كل الظروف الممكنة للتطوير والبناء ... وخاض
بعد ذلك معركة من نوع آخر غير معاركه بالأمس إنها
معركة الإصلاح وتأسيس قواعده ليلحق بالبلاد ركب
التطور والرقى وليحقق لكل مواطن فيها حياة هادئة
مستقرة ... فوضع أسس الأنظمة الكفيلة بتحقيق ذلك
الرقى الذي ينشده والذي قد استمدته من تعاليم الشريعة
الإسلامية الخالدة وماذاك إلا لأنه مؤمن قبل كل شيء
.. مؤمن بالله وحده ومؤمن عن قناعة لكي يطبق أي
نظام يرى في صالح شعبه ورقى أمته إلى المستوى
المرموق والحياة الأفضل وفق أحكام الله وشرعه .. بادر

بتركيز أسس الخدمات للمواطنين في كافة المجالات الحيوية التي من شأنها أن تنتشل المواطن من ظلام الجهل والتخلف إلى حيث نور العلم والمعرفة فنشر التعليم وبنى المستشفيات وأقدم على توطين البادية وأدخل كل آلات التطور الحضاري واستطلع بعينه الثاقبة متطلبات المستقبل فحسب لكل شيء حسابه وأعد لكل حدث عدته . ولم يكتف بما حقق في بلاده في تلك المدة الوجيزة بل تطلع إلى اليوم الذي يتضامن فيه العرب ويتوحد فيه المسلمون. فساهم في تأسيس الجامعة العربية وكانت المملكة من أولى الدول المؤسسة لها الحريصة على قيامها لإيمانها بأثرها الفعال في جمع كلمة العرب وتحقيق التعاون بينهم لما فيه الصالح العالم . كما تطلع إلى المستوى الدولي فساهم في تأسيس هيئة الأمم المتحدة ولا تنسى مواقفه المشهورة من قضية فلسطين .. كل هذه الأمور وغيرها فطنت لها عقلية هذا العبقرى في وقت قد لا يخطر على بال أحد أن يعي هذه الأمور أو يحدد أبعادها وأهدافها على هذه الأرض .. فمن حروب طاحنة لاستعادة بلاد غالية

ومجد تليد إلى مرحلة تأسيس وبناء وإصلاح وتعمير وتحقيق الرخاء يتتبع كل أساليب استغلال ثروات البلاد ومعطياتها إلى نظرات فاحصة وتخطيط للمستقبل بما يكفل التطور السريع والبناء المحكم والتعاون المثمر مع كل مخلص غيور على أرض العروبة والإسلام وبفضل ذلك كله سارت البلاد بعد أن ودعها الملك عبد العزيز وهو قرير العين مطمئن الفؤاد مرتاح الضمير .. سارت البلاد بفضل ما ركز للحكم بها سيرها الحثيث نحو المستقبل الباسم والتطور والرقى . حيث وجدت البلاد بعد أن ودعته من يحرص على مسيرتها ويرعاها ويقودها قيادة حكيمة واعية . حقاً لقد وجدت المملكة الرعاية الحقة والإخلاص العظيم من أبناء ذلك البطل الذين أعدهم لحمل المسئولية بأمانة وصدق وإخلاص ووطنية حتى تسلم الراية خادماً الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حيث تابع مسيرة تطور البلاد بوعي وحكمة وبعد نظر وتركيز في كافة المجالات داخلياً وخارجياً يقف معه ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن

سائل

عبدالعزیز وسمو النائب الثاني الأمير سلطان بن
عبدالعزیز .

ولذلك سات البلاد كما أرادہ لها عبدالعزیز
فواکبت بل سبقت كثيراً من بلدان العام التي قد بدأت
المسيرة منذ زمن بعيد . وها هي اليوم بلاد أفاء الله
عليها بنعم الخير وكتب لها حياة العز والطمأنينة
والاستقرار والأمن الذي خيم على ربوعها حتى بدت
كدوحة وارفة الظلال أصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتي أكلها فينعم بها المواطنون ويرتقي بها الوطن
وتعتز بها الأمة .



الفصل الأول

« سائل لم يحملها البريد »

سائل في حب الوطن

أرض الجزيرة .. ومسيرة التوحيد

الملك عبدالعزيز

وهذا خالد في سماء الوطن

تحل علينا في هذه الأيام ذكرى عزيزة على كل
 نفس محببة إلى كل قلب ذكرى .. يوم التوحيد
 للإنسان والمكان على يد المغفور له الملك عبدالعزيز
 يرحمه الله .. وهي مناسبة لكل فرد في هذا الشعب
 الذي يراعاه ويقوده خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن
 عبدالعزيز يحفظه الله ويوفقه ويعزه . مناسبة لكل فرد
 أن يعبر عن هذه الذكرى العظيمة بما يختلج في نفسه
 وما يملكه من شعور يعتز به . ولذلك ترون مختلف
 مظاهر الفرحة بشتى الصور والأساليب .. وكواحد من
 أفراد هذا الشعب الذي يحب وطنه ويعتز به ويفخر بهذه
 المناسبة العظيمة رأيت أن اعبر عنها بأسلوب يختلف
 قليلاً عن أساليب بعض الكتاب والأدباء بشيء من
 الرمزية التي تصور حياتنا في هذه الجزيرة قبل جمع
 الشمل وبعده فأقول:

في حقبة من حقبة التاريخ .. وفي لحظة من
 لحظاته سمع أبناء الجزيرة العربية صوت أرض الجزيرة ،
 وهي تخاطب ابنها البار الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن
 الفيصل آل سعود يرحمه الله قائلة بصوت يسمعه

القاصي والداني :

لله درك من بطل موفق ..

لله درك من ابن بار

لله درك من رجل حياة وأمل وعمل

بالأمس يا بني كنت تسير على الرمل الأحمر

الملتهب .. يوم أن اختلطت الأضواء وضاعت الحدق ..

كل الناس وقفت أقدامهم وتسمرت أعينهم

وغطتهم الأمواج والأعاصير . إلا أنت يا بني وقفت في

شمس ساطعة محرقة وسرت في ظلمات مدلهمة وسط

تلك الأمواج المتلاطمة بنفس كبيرة وآمال ليس لها

حدود .

قالت أرض الجزيرة هذا وهي تنظر إلى ابنها البطل

عبدالعزیز عائداً إليها من غريته عازماً على جمع شملها

ولم شتاتها وتوحيد أجزائها من جديد ..

قالت هذا ودموعها تسيل فرحاً

قالت هذا وقلبها المنهك . وأطرافها المتهدمة من

جراء بوائق الأيام والسنين . يكاد يطير فرحاً وسروراً لأن

بطلها الملهم ، وعبقريها الفذ ، قد عاد إليها ليفتح

سائل

أمامها جميع الأبواب . ويحطم جميع الحواجز التي تحول
بينها وبين وحدة أجزائها أو تعرقل سيرها في دروب
التقدم والحضارة والتطوير ..

قالت أرض الجزيرة هذا وهي ترى بطلها عبدالعزيز
يعود إليها ويستقر في قلبها الرياض بشموخ الرجال
وقلوب الأبطال وآمال الأجيال .

لقد تنفست الصعداء بعودته هذه ظافراً منتصراً ،
وأحست بسعادة تغمرها من أقصاها إلى أقصاها ..
ووسط تلك الفرحة الغامرة تراءت أمامها ذكريات تلك
السنين العجاف . والأيام الخوالي التي ودعها فيها
عبدالعزیز ويدها تلوحان لها سأعود يا أماء .. سأعود
بإذن الله سأعود .. سأعود .

تراءت أمامها في لحظة الفرح تلك .. مصائب
الشقاء والبؤس والفاقة والمرض . تذكرت يد بطلها
عبدالعزیز ، وهو يودعها بابتسامة مضمخة بالحب وألم
الفراق معاً تذكرت يوم أن اختلط صوته بصخور
الصحراء الصلدة ليعانق الآذان والأفئدة معاً . وداعاً
وإلى لقاء قريب بكل الآمال والأحلام والحياة الكريمة

سائل

والعيش الرغيد .. إنها سنوات مرت بلا أحلام .. بلا هدف .. بلا حياة ... بلا آمال .. اختلطت فيها كل القيم والمثل والمبادئ ..

رأت أرض الجزيرة فيها عنتره بن شداد وقد أتى بحصانه في بني عبس من جديد .. أنا عنتره بن شداد .. وما لبث أن استيقظ امرؤ القيس .. ورأى الناس رأس كليب بن مرة يتدحرج .. وصاح جساس .. وندبت جليلة حظها وبكت زوجها وأخاها ..

رأت أرض الجزيرة بني هلال يعيشون تغريبة جديدة .. رأت أبا زيد الهلالي يذهب في رحلة طويلة يبحث عن نقطة ماء في صحراء قاحلة يروي بها عطشه وما لبث أن عاد بلا لجام لفرسه فصاح في أعلى الوادي .. اقطعوا الأشجار واحملوا الجبال عن هذه الصحراء حتى تجدوا لجام الفرس ..

وفي أسفل الوادي رأت الجزيرة جريراً يأتي بدفاتره، والأخطل بحقيبتيه والمتنبي بقلمه .. والفرزدق بعصاه .. كل يريد أن يتكلم فلا يستطيع . كل يريد أن يلوح فلا يقدر ..

سائل

لقد ماتت الأحاسيس . وتبلدت المشاعر ، وتجمدت
الكلمات وهناك تنكر قيس لليلى العامرية .. وحفرت
عبلة قبر عنجرة لتشعل فيه النار .. اهتزت الأشجار ..
وتطايرت الأوراق .. وتحولت الرمال إلى رماد . وهبت
الريح فقامت أعاصير .. وسألت أنهار من دم في أودية
مسطحة .. وبحث الناس عن الماء فلم يجدوه ..

وحتى أبو الأسود الدؤلي عندما تنحنح وقال في
العربية قوله .. لم يسمعه أحد لأن الناس يومها بلا
آذان ..

وعندما تحدث سيبويه في سوق عكاظ في خيمته
اقتلعتها الريح فذهب ولم يعد .. أما الإمام عندما أتى
إلى المسجد منادياً (حي على الصلاة) رأى الناس
يتبركون بالحجر ورأى في جانب آخر امرأة تطوف بنخلة
قائلة « يا فحل الفحول امنحني زوجاً قبل الحول » وفي
ركن آخر رأى طفلاً يسأل الناس بقدحه عند باب المسجد
ليبصقوا فيه كي تشفى أمه وتعود إلى أبيه ..

صور شتى رأتها أرض الجزيرة .. لقد مسخت

الحياة .. كل شيء قد تبدل .. الضحك .. البكاء ..
النحيب ..

النوق بلا ضروع .. الخيل بلا قوائم والسيوف بلا
أغمد .. أعاصير في كل ركن من أركان أرض الجزيرة
.. ثارات بين قبائلها .. اعتداءات لا مبرر لها ..
ووسط تلك المتاهات المخيفة من أعاصير المرض وظلام
الجهل وبؤس الفقر صاحت أرض الجزيرة يا إلهي أين
الخلاص ؟ أين الرجل ؟

أما لهذا الليل من آخر ؟!

أما أن للفجر أن يرسل تباشيره على الكون ؟!
وفي لحظة من لحظات التاريخ الحاسمة تسمع صوت
بطلها المغوار وعبقريها الملهم عبدالعزيز يجلجل في آفاق
الدنيا ليستقر في قلوب أبناء الجزيرة .

أماه لقد أتيت .. أتيتك وفاء بوعدى وحباً لك
ولبنيك جميعاً وتضحية من أجل جمع الشمل ولم
الشتات وتوحيد المكان والإنسان ..

سائل

أتيتك على حصاني الأبيض بسيفي الصقيل
وقرآني الذي به أهتدي .

انظري .. مئذنة المسجد تبتسم لقد أسرجت
ضياءها بيدي هذه ..

وغرست نخلتنا وهذه ثمارها الذهبية ..

لقد حطمت رؤوس الطواغيت ..

وصالحت بين عبس وذبيان .. وأقمت الأفراح في
دار بكر وتغلب ..

وقبّل عدنان قطحان .. وربطت حصان عنجرة بن

شداد .. وسلمت أبا زيد لجام فرسه ومدح جرير الفرزدق

وكف الحطيئة عن الهجاء .. وقال المتنبي في القلم

والسيف قوله أما قيس فقد تزوج ليلى العامرية

وأطفأت عبله النار عن قبر عنجرة .

وفهم الناس كلام أبي الأسود .. ورست خيمة

سبوية .. أما أنتم يا إخوتي أبناء الجزيرة .. لقد ذبحت

شيطانكم بيدي هاتين وعدتم إخوة في وحدة شاملة

كاملة تجمع الإنسان وتلم شتات المكان وها هي الأزهار

التي غرستها تعيش في عرس وبهجة وطرب .
 انظروا إلى أنهار الذهب من تحتكم تجري . وأنهار
 الماء بين أيديكم تسير .
 انظروا إلى أشجار النخيل والليمون قد نبتت على
 تلك الصخور الصلدة وآتت ثمارها بأذن ربها .
 انظروا إلى أطفال الحي يرحون .. إلى النساء
 يرقصن .. إلى الرجال يهزجون في وحدة شاملة كاملة
 فقدتها أرضكم سنين طويلة .
 انظروا إلى سيف الله وحكمه وهو يطبق في
 جزيرتكم ليحقق أمن الله لكم ولحجاج بيته العظيم .
 انظروا إلى ضياء العلم الساطع وهو يعم كل شبر
 في جزيرتكم بعد أن عاشت ظلام الجهل قروناً عديدة .
 انظروا إلى تألق حضارتكم عمراناً وطرقاً وثقافة
 واتصالاً وارتباطاً وازدهاراً ...
 لقد أعيدت السيوف بشاراتها بينكم إلى
 أعمادها .. ورجعت الخيل إلى قوائمها وارتسمت على
 الشفاة ضحكاتهما ..

إنه الحب وليس غيره زرعت في صحرائنا فعادت
لها بهجتها ونضارتها وبدأت حياتها من جديد في تألق
وحضارة صارت بحمده تعالى مضرب المثل في جهات
الدنيا بأجمعها ..

أخيراً نقول في كل مناسبة تمر بهذه الذكرى
العظيمة يرحمك الله يا عبدالعزیز لقد كنت بطلها
المغوار. ورجلها الفذ .. وعبقريها الملهم ونقول لأنفسنا
هنيئاً لنا ما نعيشه في ظل دولتنا العزيزة بقيادة خادم
الحرمين الشريفين وسمو ولي عهد الأمين .



رسالة

وطه الحضارة إعجاز وإنجاز
رسالة من أجل الوطن

أي بني :

إن هذا اليوم الذي نحتفل به بمرور مائة عام على تأسيس هذا الكيان الكبير المملكة العربية السعودية يوم من أيام فخرنا وعزتنا وحضارتنا ..

إنه ذكرى مجيدة يوم أن عاد البطل المغوار وسيد الجزيرة بلامنازع إلى رياض المجد مرسيا دعائم دولة كانت وماتزال وستظل بإذن الله تعالى مصدر إشراق ومنبع نور وعنوان قوة وتماسك وعزة وسؤدد لإنسان هذه الجزيرة ولكل محب للإسلام وعزته وللدولة الإسلامية التي ترفع كلمة الله وتقيم حدوده وترعى مقدسات المسلمين .. إن الذكرى المثوية لعزتنا يا بني جوهرة تتألق في جبين تاريخنا المعاصر على هذه الأرض لأنه يوم الاتحاد والقوة والكيان الكبير عرف الناس به طعم الأمن والأمان وساد الناس ظلال المحبة والعدل والرخاء وتحرروا من ربكة الجهل والخرافات والشعوذة .. وودعوا العصبية بكل مفاسدها وشرورها ووأدوا الأحقاد والشارت بكل مفاتها وويلاتها ..

لقد توغل إعلان مؤسس هذا الكيان الشامخ الملك

عبدالعزیز بن عبدالرحمن الفیصل آل سعود بتوحید
 البلاد تحت رایة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)
 وإطلاق مسمى (المملكة العربیة السعودیة) على هذا
 الجزء من العالم .. توغل ذلك الإعلان فی أعماق
 الأعماق وحفر فی سويداء القلوب وزرع فی كل شبر من
 هذه الأرض وصرنا نقطف ثماره يوماً بعد يوم وننعم
 بخیراته جیلاً بعد جیل .. وهو فی إطلالته ومع عطائه
 السخی یذكرنا بملاحم البطولة لعبقري الجزيرة الملك
 عبدالعزیز یرحمه الله التي قل أن یسطر التاريخ لها
 مثیلاً فی الزمن والعمل والنتیجة .
أي بني :

لن أحدثك عن الملك عبدالعزیز بن عبدالرحمن
 الفیصل آل سعود ذلك العبقري الذي رأى ما كانت علیه
 البلاد من بغض وشحناء وفرقة وما أحاط بها من ثلوث
 خطیر قوامه الجهل والفقر والمرض فعز علیه أن یستکین
 وهذه حال بلاده ومواطنیه فتقلد سیفه واحتضن مصحفه
 واعتمد على الله وحده لا شریک له فكان الله معه
 ونصره وأعزه وخذل أعداءه وعز سلطانه لأن غایتہ

سامية وأهدافه نبيلة وسبيله الإصلاح وإنقاذ الأرض
لتكون كيانا له فاعليته في دنيا الناس ومسار الأمم
والشعوب ..

لن أحدثك عن ذلك الرجل لأنك لا تجهله ولا
يجهله أحد من شباب وأطفال جيلك فكلكم وكلنا
جميعاً عبدالعزيز آل سعود نقراً تاريخه وأعماله
وبطولاته وعبقريته وسمو أهدافه ونبيل غايته وشهامته
وشجاعته وأصالته وعمق تفكيره وبعد نظره في كل
إنجاز يتحقق على أرضنا وفي كل عمل يضيف لصرح
هذا الكيان لبنة تشع لجانب من جوانب حضارتنا ورقينا
وتطورنا ...

إنني أحدثك في هذه الرسالة يا بني عن حال
أرضنا في هذه الجزيرة قبل أن تسعد وتستظل بظل
عبدالعزیز وبنیه حیث كانت بلادنا فی جزيرة العرب
تعیش فی جاهلیة جهلاء وتسودها حیاة الغاب من
الفرقة والتناحر والثار ، كانت البطولة قبل عبدالعزيز
بقدر ما يفتك الرجل ويقتل من الناس ويظلم ويأخذ
حقوقهم وينهب ويسرق ولا يخاف ولذلك كان (الغزو)

بين القبائل حيث يجتمع القوم على أمير لهم يسمونه (عقيد القوم) ممن يرون فيه الإقدام والشجاعة ويتحزون على غزو آخرين بحيث (يصبحونهم) أي يعتدون عليهم صباحاً أو (يمسونهم) أي في المساء على موعد وعلى غرة غالباً فيغيرون عليهم قتلاً وسلباً ونهباً لأموالهم دون وجه حق فيصبح المعتدي عليهم وقد قتل رجالهم وصاروا بأسوأ حال وعرف الناس (الحنشل) والحنشل الواحد والاثنان والثلاثة الذين يسIRON ليلاً غالباً فيسرقون من هذا جملاً ومن آخر شاة ومن ثالث (مجلاد تمر) وهكذا وقد يضطرون إلى القتل إذا رأوا أن القتل ضروري لاحتواء غنيمة لا يمكن الوصول إليها إلا بالقتل وقد يلجأون إلى الحيلة والخداع والمكر للوصول إلى غايتهم والواحد منهم يسمى (حنشليا) .

أما الثأر فهو الآخر مما عرفت قبايلنا وكم سالت بسببه دماء وازهقت أنفوس بريئة وترملت نساء وتيتم أطفال وكانت القبائل لا تأخذ في قتل من يكون سداداً لقتيل إلا عليه القوم وقد يقتل أحد المتخاصمين صاحبه أو تكون (هوشة) أي مضاربة بين قبيلة وقبيلة فينتج

عنها قتيل من أحد القبيلتين فتدخل القبيلة القاتلة في وجهه أو في حمى قبيلة أخرى ولذلك تلجأ القبيلة التي منها القتل إلى البحث عن رجل من القبيلة القاتلة في قرية أو في مدينة أخرى قد لا يعلم بما حصل قتلته على غرة دون ذنب جناه وفي دخول قبيلة في حمى أخرى وفي حلف القبائل مع بعضها سوف اخصص لك رسالة مستقلة في هذا الموضوع إن شاء الله كما أعرفك يا بني عن الجالي أو الجلاوي وهو الذي يقتل إنساناً ويعلن قتله ثم يهرب من ديرته إلى ديرة أخرى يتنكر فيها ويعيش طريداً حتى لا يعلم به أهل القتل فيقتلونه بقتيلهم ..

كل هذا في قبائلنا بالبادية والقرى أما المدن وأشباهاها في ذلك الزمان فقد كانت محصنة بأسوار وأبواب تغلق ليلاً وعليها حراسات ولا تفتح إلا في الصباح خشية من الاعتداء والسطو والقتل ومن أدركه الليل خارج السور كان الهلاك مصيره إن لم يكن له (عزوه) يحمونه أو ينقذونه والعزوة الجماعة .. وكم من قتيل أزهقت روحه من أجل ثوبه الذي يستتر به نفسه

وكم من قاتل تألم وتأسف لا لقتل إنسان برئ لا ذنب له بل (للفشكة) أي للطلقة التي خرجت من بندقيته ولم يحصل مقابلها على أي شيء مع القتل .

كان الضعيف يا بني لا يعيش إلا في كنف قوي ولذلك كانت النعرات القبلية وكان التفاخر والتسلط وكان الحكام في الفترة التي سبقت الملك عبدالعزيز يخشون من سطوة القبائل ولذلك فالأمن لا أثر له بل كان الناس يحكمون أنفسهم بقوانين وضعية عرفية وضعوها وتعارفوا عليها واعتبروها قوانين تحكم علاقاتهم ومصالحهم في غياب العدالة والسلطان القوى ومن بين القبائل التي وضعت لها قوانين تعارفت عليها ووضعت قضاء للحكم بها في التعامل والعادات والتقاليد (قبيلة حرب) وعساني لا أنسى لأكتب لك رسالة مستقلة عن تلك القوانين والأعراف التي حكمت بها نفسها هذه القبيلة كنوع من التنظيم لتحقيق شيء من الأمن المفقود في ذلك الزمان واحتياطات القضاة لتنفيذ أحكامهم التي يصدرونها حتى لا تفقد هيبتها ولا يستهان بها .

أما الجهل فقد مد سلطانه في طول البلاد وعرضها
 وكان صاحب الرسالة التي يريد أن يكتبها أو يقرأها
 يسير اليوم واليومين في القرى والأودية لا يجد من
 يكتب (جوابه) أو يقرأ له رسالته ولذلك كان الناس
 يعتمدون على الرسائل الشفهية ويسمونهم في
 الحجاز (الوصاية) بحيث يقوم من يرغب في إخبار قريب
 له في مكان آخر بتلقين ما يرغبه للمسافر إلى تلك
 الجهة التي قد يقابل فيها (الموصى إليه) أو يعهد بما
 لقن به إلى شخص آخر ليوصله ما تم تلقينه به وهكذا
 مع امتداد ظلام الجهل انتشرت الخرافات والشعوذة
 والتبرك بالأولياء والصالحين والقبور وساد الناس
 الاعتقادات الفاسدة التي وصلت ببعضهم إلى الشرك
 بالله العظيم فلا تكاد تجد جهة أو ناحية من نواحي
 بلادنا الواسعة إلا وتجد فيها (زاوية) أو مكاناً تمارس
 به طقوس الخرافة والشعوذة ويمد فيها الشيطان حباله
 لإيهام الناس والسيطرة على أفهامهم ومداركهم
 وعقولهم فاتخذ الناس وسائط بينهم وبين الله تعالى
 وتبركوا بالأشجار والأحجار والكهوف المظلمة وأقيمت

القباب على القبور والآبار وذبحت الذبائح عليها وصارت مزارات يعتنى بها ويقف عليها السدنة يرتزقون من ورائها ويحكون حولها مختلف الحكايات والخرافات والشعوذة لعلاج المرضى وفك السحر وانتشار الرزق وتكثير الأولاد .

إنه الجهل يا بني الذي إذا خيم على أمة جعلها تفكر بغير تفكيرها وتسير بغير شخصيتها ولا تعرف لها هوية ولا قدراً ولا مكانة .

ومع انعدام الأمن وتغطية الجهل على المدارك والأفهام والعقول ومع الفقر والعوز للذين كانت تعيشهما جزيرتنا بأجمعها قبل الملك عبدالعزيز كان الحلال عند الناس هنا ما حل باليد دون مبالاة بالوسيلة التي حل بها ولا الجهة التي أخذ منها ولذلك لاقى حجاج بيت الله الحرام في تلك السنين الويلات من القتل والسلب والنهب وهم يقطعون الفيافي لأداء هذه الفريضة العظيمة على القوافل التي تسير بهم الأيام والليالي لتنقلهم بين مشاعر الحج والزيارة ولذلك وفي ظل غياب السلطة المهيمنة التي تؤمن درب الحجاج ومع تزايد

السطو على القوافل رأت بعض القبائل التي كانت تقيم على تلك الطرق وجوب حماية قوافل الحجاج فقسمت الطرق بينها والتزمت كل قبيلة بحماية الحجاج من (الخنشل) وأشباهم في منطقتهم على أن تسلم القافلة شيئاً لتلك القبيلة مقابل الحماية وهكذا تسلم كل قبيلة إلى التي تليها والحجاج يدفعون مقابل تلك الحماية لكل قبيلة أيضاً .. ومن هنا تنفذ المؤن وتجذ القافلة بعد وقت أنها لا تملك ما تدفعه لحمايتها فيتعطل الحجاج وتكون مصاعب ومصاعب .. وقد يصادف أن القافلة لم تدفع ما يرضى الحاكم فيسلط هو بطريق غير مباشر على القافلة في الطريق من ينهبها أو يشير فتنة فيها ويموت من جراء ذلك خلق كثير ..

ولكل هذا كان الحج في تلك الأزمان أشبه ما يكون بمغامرة يضع الداخل فيها نفسه في عداد الهالكين فهو يقوم بكتابة وصيته وأداء جميع حقوقه ويلبس إحرامه على أنه كفته ويمضي وقد وضع في اعتباره أنه لن يعود إلى أهله وموطنه مرة أخرى ..

أما الجوع يا بني فقد غير أفهام الناس وشتت

عقولهم بل وأهانهم قبل أن تسعد بلادنا بعبد العزيز
 الملك العبقري يرحمه الله .. لقد جعلهم الجوع يأكلون
 (الميتة) ويصيدون في كثير من الحالات الكلاب والقطط
 ويحمسون (البروق) بفتح الباء وسكون الراء وفتح
 الواو وهو نوع من النبات البري ينتج حبوباً كحب الدخن
 وجعلهم كذلك يقدمون على أكل الجمال الميتة (المتعفنة)
 وورق الأشجار والأعشاب وهو دافع لسلبهم ونهبهم
 وقتلهم بعضهم بعضاً لقلّة ما يجدون وندرة ما يزرعون..
 والمياه يا بني أو بالأحرى موارد المياه كانت تندر
 في صحرائنا في ذلك الوقت فقد يسير الراكب اليوم
 واليومين على ذلوله دون أن يرى بئراً في طريقه أو
 (حسوا) أو غديراً في قاع ترتاده الحيوانات والكلاب
 وتعبت فيه الإبل وتشرب .. ولذلك فإن كثيراً من
 (الطرقية) واحداً طرفي وهو المسافر راجلاً على ذلول
 كثير منهم يموت عطشاً وتأكله السباع وجوارح الطير ولا
 يعلم به أحد من العطش حيث يضل الطريق أو ينفذ زاده
 وماؤه فيهلك في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا كلاً ..
 ولذلك يعتمد الغزاة إلى تعيين مواقع في كثير من

سائل

الحالات في الصحاري التي يندر فيها وجود ماء إلى تعيين مواقع معروفة يدفنون بها القرب مملوءة ماء لكي يرتادوها عند حاجتهم إليها ولا يعرفها غيرهم كما أن الشرب من الغدران المكشوفة التي ترتادها الإبل وتعبث فيها والكلاب والسباع لتشرب منها .. إن شرب الإنسان من تلك الغدران قد تكون مليئة بالديدان والجراثيم أمر عادي في تلك الأيام وطبيعي إذا وجده وكل ما يعمل به من احتياط أن يضع طرف ثوبه أو عمامته لمص الماء من خلال ثقب ما بين أسلاك ذلك الثوب أو العمامة وإن كانت هناك رائحة للماء وهو محتاج إليه سد أنفه وشرب وهكذا كانوا يفعلون في ندرة الماء وعدم وجوده ...

أي بني :

هذا قليل من كثير نقلته إليك ولجيتك لم أعاش شيئاً من ذلك ولكن أولئك الرجال الذين رأوا وعاشوا تلك المحن في ذلك العصر نقلوها تاريخاً صادقاً لا زيف فيه لنا واكتسبوا بنار ذلك الجحيم من الخوف والجوع والمرض وكانوا في شتات وفرقة وعزلة عن العالم ردحاً

سائل

من الزمن وأردت أن أنقل شيئاً مما عاناه إنسان هذه الجزيرة لك لتروا كيف عاش أجدادكم وكيف تعيشون أنتم اليوم ثم لولا الله عز وجل ثم جهود ذلك المؤسس العظيم الملك عبدالعزيز الذي لم شتات هذا التفرق وأرسى دعائم دولته في هذه الجزيرة العربية على أسس ثابتة وأركان وطيدة وجهود أبنائه من بعده الذين تابعوا تشييد هذا الصرح الشامخ البنيان خلال مائة عام هي في الواقع كثيرة في عددها ولكنها قصيرة بمقياس الدول وأعمارها بل هي قصيرة جداً في دنيا الأمم والشعوب.

لولا الله سبحانه وتعالى ثم الملك عبدالعزيز وجهود أبنائه المغاوير لبقينا في عزلتنا وتفرقنا وشتاتنا إلى يومنا هذا ولكنها إرادة الله ولطفه بهذه الأرض وبإنسان هذه الجزيرة ...

من يصدق أن تكون تلك القبائل بشاراتها وعصبياتها تعيش اليوم في وحدة متماسكة تعمل يداً واحدة تحت قيادة واحدة تؤمن بها وتعلو شأن بنيان الوطن وتطور البلاد ..

من يصدق يا بني بأن بلادنا التي ندر فيها

المتعلمون وعم الجهل بها وساد جميع أجزائها قبل مائة عام هي اليوم التي شع نور العلم في كل شبر من أجزائها المختلفة وتألفت بها ثمان جامعات في أنحائها المترامية الأطراف وصار أبنائها أطباء ومهندسين وقادة فكر ورسل معرفة وحملة قلم .

من يصدق بأن الحاج يسير من بلاده ويجد الأمن والأمان والاستقرار وكل ما يحتاجه في رحلته الروحانية إلى الديار المقدسة لا يتعرض له أحد ولا يعيش تحت حماية أحد من بني البشر وقد كفلت الدولة السعودية حمايته وتحقيق أسباب الراحة والاطمئنان له حيثما حل أو ارتحل لا يخاف أحداً إلا الله ولا يدعوا أحداً غير الله سبحانه وتعالى !!

من يصدق يا بني أن السفر في صحرائنا عبر الطرق المعبدة والاستراحات الجميلة والأمن الوارف يعتبر رحلة ممتعة عبر النجاد والوهاد بعد أن كانت في يوم من الأيام صحراء موحشة لا أنيس بها ولا ماء وكل جزء منها في عزلة تامة الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود !!

من يصدق يا بني بأن بلادنا التي كان لا يوجد بها
مصنع واحد صارت اليوم تزخر بآلاف المصانع لمختلف
أوجه الصناعة بدلاً من تعديل المسامير القديمة التي كان
يعمد إليها النجارون لاستخدامها مرة أخرى لعدم وجود
غيرها ؟!

من يصدق يا بني بأن يكون المسجد الحرام يمكة
المكرمة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة بهذه
السعة والضخامة والفخامة في المنشآت والإضاءة
والتهوية والساحات المحيطة والنظافة بعد أن كانا في
ضيق شديد وضنك من ازدحام البيوت حولهما وسوء
نظافتهما وإضاءةتهما وبعد أن كانت الدوارق الخاصة
بالماء تعباً من بعضها فيشربها الشاربون إذا وجدوا بها
الماء ؟!

من يصدق يا بني بأن ماء زمزم يتوفر حالياً في
برادات الماء بالمدينة المنورة في المسجد النبوي الشريف
كما هو المسجد الحرام ؟!! ومن يصدق بأن مساحة المدينة
المنورة القديمة بكاملها صارت ضمن توسعة المسجد
النبوي الشريف في عمارة يندر مثيلها وأنفاق يندر

وجودها ؟!

من يصدق بأن صحراءنا القاحلة التي كانت
مزارعها بالأذرع والبدائية هي الآن تتيه فخراً بالمزارع
الغناء وبآلاف الأفدنة وبشتى أنواع المحصولات
الزراعية.. بل وأنتجت القمح والزهور وألوان الفاكهة
بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخها؟!

من يصدق بأن بلادنا قد هيا الله لها هذا الترابط
والتآلف بين مناطقها المختلفة حتى صار ابن الجنوب
يعمل في مصانع الجبيل وينبع وابن الشرقية يتاجر في
اسواق نجران وابن نجد يعيش في سفوح جيزان وهضاب
أبها وابن الحجاز يتنقل في ربي نجد وعلى سفوح أجا
وسلمى في حب وتآلف وترابط واندماج تم في مدة
قصيرة لاتزيد عن مائة عام بعد أن كانوا قبل ذلك
شعوباً وقبائل شتى تختلف في مشاربها وعاداتها وطرق
تعاملها ولاستطيع أن تتفاهم فيما بينها ؟!

أي بني :

إن كل ذلك وغيره مما تحقق في بلادنا من رخاء
وأمن واستقرار وتطور واندماج ووحدرة وتماسك واعتزاز

سائل

بالإسلام والعقيدة ثم بهذه الأرض والانتماء إليها لم يتم إلا بفضل منه سبحانه وتعالى ثم بذلك القلب الكبير النابض بحب الوطن والإخلاص له وجمع شمل أبنائه الذي حمّله الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود وسار من بعده أبنائه على سيرته وفي إطار جهاده البطولي جيلاً بعد جيل ومَلِكاً بعد مَلِكٍ حتى تسلم الراية الملك العبقري صاحب العقل الكبير والقلب الكبير فهد بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين ونمو ولي عهده الأمين فالحمد لله على توفيقه والشكر له وبالشكر تدوم النعم والسلام .



سائل

د/الخويطر

هذه القطرات المباركة ..
ستكون بحدراً زاخراً ..
تذيرف التراث ..

رسالة هامة أعتز بها تلقاها رئيس تحرير جريدة
المدينة المنورة ونشرت بتاريخ ١٤١٣/١١/٧ هـ على
صفحات الأربعاء .

سعادة رئيس تحرير جريدة المدينة المنورة

الاستاذ / أسامة أحمد السباعي - المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

في عدد الأربعاء من ملحق جريدة المدينة

٧/١١/١٤١٣هـ قرأت ما كتبه الأخ الاستاذ محمد

صالح البليهشي تحت عنوان « رسائل لم يحملها

البريد » (٤) وجاء على ذكر عنوان كتابي « أي بني ».

وقد وجدت متعة فيما قرأت للأصالة في اللوحة

السريعة التي كتبها الاستاذ محمد عن التراث ، ولأنني

لمحت استجابة كريمة لما دعوت إليه في مقدمة كتابي من

أن أوّمل أن يتكفل كتاب قادرون عى الكتابة عن تراثنا

في المناطق التي يعرفون عنها أكثر مما أعرف ، والتي

تستحق أن يتلفت إليها ، وأن يُعْتَنِي بذخائرها التي

بدأت تتراجع إلى خلف الصفوف ولم يبق من أهلها إلا

جيل بدأ يتلاشى مثلها ، والجيل المقبل له حق علينا في

أن يتناول منا المشعل أمانة مصانة وهي ثقيلة إلا أنها

غالية وشريفة.

لهذا تمتعت بما كتبه الاستاذ محمد وفرحت باتجاهه

هذا ..

وليس غريباً أن يشدني ما كتب ، وببهجني ما أدلى به فقد قرأت أكثر من مرة ما عدده عن « الجماء » وأخواتها .. و« التكليلة » و« قريناتها » و« الشيش » ولداته ، والصفحة وما تبعها ، وخشي أن أغضب عندما يشرف أسلوبه بمن ينهجه ، ويشاركني في طريقي الذي ارتضيته من يؤنسني بصحبته .

إنني أرجو أن تحفر هذه المجادة بكثرة السير عليها حتى تصبح خندقاً ..

لو عرف الأستاذ محمد مقدار فرحتي بما كتب لطالب بدفع ثمن هذه الفرحة ، وأنا لا أغالي بل أعني ما أقول ..

إن هذه القطرات المباركة التي تندي رف التراث عندنا ستكون بجرأاً زائراً إذا استمرت ، ونحن في حاجة إلى الاستمرار ، وإلى طرد أي شعور يخالجننا بأن ما نكتبه قليل الأهمية ، لو كتب من سبقونا باستمرار وتابعوا لكان لنا من حصيلتهم ما نفاخر به ... قبل مدة كنت أنظر إلى صورة فوتوغرافية لرجل في مكة أخذت

قبل خمسين عاماً .. فهزتني لأنها أعادتني إلى أيام مضت ولم يكن ما أنظر إليه العقل المتين الذي لو لبس اليوم لأوجب الالتفات ولا السيارة موديل ١٩٣٤م بدائيتها عند سيارات اليوم ، ولكن بجانب هذا ما انهال إلى ذهني من عادات تلك الأيام وتقاليدها .. والروح التي كان يتحلى بها الناس حينئذ ، ومن أدوات كانوا يستعملونها ، كان ثمانية أعشارها من إنتاج بلادنا ..

وتتسع الصورة في الذهن فانتقل معها من عالم إلى عالم .. وليس هناك لذة تعدل لذة ذكرى الشباب ، والتذكر واستعادة الماضي من مثبتات الأواصر التي تربط المرء بترائه ، حتى لا يفقد توازنه الحضاري وأصالته وهي جوهر امتيازه عن سواه من أصحاب الحضارات الأخرى .

أجل ، يا أخ محمد أنا فخور أنك التقطت الكرة ولم تتركها تتدحرج على الأرض حتى تركد ، وتستقر ميتة جامدة . وعلينا أن نبقي عالياً ما وجدنا أننا يجب أن نرفعه عالياً كما نحب له ، وحلقتك الرابعة هذه أرجو أن تصل قريباً إلى الحلقات الأربعمئة . وما ذلك على

الله بعزیز ..

واعید رجائی فی أن یتقاطر الخیر فی هذا المجال
من أنحاء المملكة کل یدلی بدلوہ فیما یعرف ، ولا عذر
لنا فالمتعلم الیوم والحمد لله فی کل مکان فی أرجاء
بلادنا الحبیبة ، وما علینا إلا أن نملاً أنفسنا ثقة فی أن
ما نساهم به مهما قل ثمین غال ..

وحلقة مهمة فی حلقات سیرنا ، وسلسلة تقدمنا ،
وإلا نستقل شیئاً مهما قل ، وأن نشجع کل مجهود »
واعد».

وأصبح علیک حق الیوم بعد أن أثبت بما لا یدع
مجالاً للشک أن لدیك مادة غزيرة أصبح من حقنا أن
نعرفها ، وأن نستفید منها ، والله یوفقک وکل من عمل
لوجهه الکریم .

والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته ...

أخوکم :

عبدالعزیز بن عبدالله الخویطر

الرسالة الأولى :

إلى صاحب السمو الملكي
الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز
أمير منطقة المدينة المنورة

على إثر لقائه بالمواطنين في طيبة الطيبة في حفل
الأمانة المقام بمناسبة عيد الفطر المبارك سنة ١٤١٣هـ
وقد نشرت على صفحات الأرياء بجريدة المدينة
المنورة بتاريخ ١٥/١٠/١٤١٣هـ

سائل

صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز
أمير منطقة المدينة المنورة .. حفظه الله

ارجو أن تسمح لي يا سيدي في هذه المرة أن أبعث
لسموك الكريم هذه الرسالة التي أعرف مقدماً أنك لا
تود أن تسمع ما بها من ثناء عليك لتواضعك الذي
نعرفه ولحبك لأبناء وطنك في طيبة الطيبة الذي لا
نعتبره جديداً من سموك ولا نعتبره أنت ذا بال لما جبلت
عليه من بساطة في القول وثقة بالنفس وحب وإيثار قد
تربيت عليهما منذ نشأتك وطوال حياتك ..

أيها الأمير الكريم :

إنني أتشرف بأن أنقل لسموكم ذلك الشعور العام
بالحب والتقدير والإكبار والإجلال من مواطني طيبة
الطيبة بلدة خير البرية على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام .. لشخصك المعظم وشعورهم بالفخر والاعتزاز
بتلك المبادرة الكريمة وذلك الحب الذي أحس به كل
مواطن مساء عيد الفطر المبارك في حفل أمانة المدينة
المنورة الذي أقيم على شرف سموكم المعظم ..

إن حديثك ليلتها يا سيدي كانت كلماته مفعمة بشذى
الحب لمواطنيك وبعبير التقدير لأفراد مجتمعك .. وأن
فتح المجال وسماعك بإنصات لشكاوى الشاكين
واقترحات المقترحين وآراء الحاضرين على اختلاف
مستوياتهم وتنوع مشاربهم ليلتها كان له آثاره البعيدة
في نفوس من حضروا ومن لم تسعفهم ظروفهم
بالحضور.. ولعلني لا أذيع سرا إذا قلت بأن حديثك
لعمقه وصراحته ووضوحه وبساطته نزولاً من سموك
المعظم إلى مستويات الجماهير .. لا أذيع سراً إذا قلت
بأنه قد وصل إلى كل بيت في المدينة المنورة ووعاه كل
أفراد المجتمع رجالاً ونساء .. شيباً وشباناً .. وقدر كل
أولئك ما امتاز به حديثك من صراحة ووضوح وما
حملته عباراتك الجميلة لمواطنيك من تواضع وحب
واستيعاب وتفهم لكل شكوى أو تظلم أو اقتراح أو
رأى.. بل دعني أقول يا سيدي كم كان شعورهم عظيماً
وافتحارهم أعظم وهم يرون نزولك معهم في جلسة
واحدة بعيداً عن الرسميات .. خاطبتهم خطاب الوالد
لأولاده والأخ المحب لإخوانه والابن البار لآبائه في حديث

سائل

أخوي صادر من قلب مواطن منهم يحس بأحاساسهم
ويشعر بشعورهم ويبني معهم آمالهم في مدينتهم
العظيمة التي يرون في مطلع كل يوم جديد بها ما يقربها
إلى تلك القمة السماء التي تتطلع إليها في عالم
التطوير والبناء والحضارة والرقى والازدهار تحقيقاً
لتطلعات قائد المسيرة المباركة في بلادنا السعيدة خادم
الحرمين الشريفين الملك فهد المفدى وسمو ولي عهده
الأمين ..

سيدي الامير :

إن كلمات (يا أبا فيصل) التي سمعتها من كل
مواطن يقدم اقتراحاً أو يعرض رأياً أو يناقش مشكلة ..
وأن إنصاتك واستيعابك لكل ذلك في ابتسامة محبة
وتواضع جم تدل على ذلك الالتحام والحب المتبادل بين
القمة والقاعدة وبين الحاكم والمحكوم والمسؤول
والمواطن .. تدل على ذوبان الفروق لدينا في بلادنا وأنا
جميعاً نسعى إلى بناء وطننا ورفع أمتنا يداً واحدة كما
قلت : رائدنا في كل ذلك ريان سفينتنا خادم الحرمين
الشريفين مليكنا الغالي فهد بن عبدالعزيز وسمو ولي

سائل

عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز يحفظهما الله ويسدد على طريق الخير خطاهما...

أيها الأمير الشهم :

إن ما تحقق بالمدينة المنورة خلال السنوات القليلة الماضية بتوجيهات القائد الباني الملك المفدى ومتابعة ورعاية سموك الكريم يحق لكل مواطن أن يفخر به ولست هنا في مجال تفاصيل ما تحقق سواء في مجال توسعة وعمارة مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم أو في مجال تطوير مدينة خير البرية عليه السلام .

وأن مناقشتك مع مواطنيك في أمسية العيد حول امتداد التطوير قريباً إلى كافة نواحي المدينة المنورة في الحرة الغربية ونزلة الجبور والدويمة وبقية المناطق .. التطوير على كافة مستوياته خاصة وأن هذه المناطق تكتظ بكثافة سكانية عظيمة وهي بحاجة ماسة إلى فك اختناقاتها وتوسعة شوارعها وتفقد خدماتها ... إن مناقشتك مع مواطنيك في هذه القضية ومعرفتكم لتفاصيلها الدقيقة قد أكد لديهم الثقة وركز لديهم

الأمل وتحقق لديهم أيضاً أنهم لا يفكرون وحدهم في مشاكلهم بل أن مسؤولهم الأول ومن أحيطت مسؤوليتهم به وولي الأمر يفكر قبلهم في أدق تفاصيل مشاكلهم وفي ذلك شيء كبير في عالم المسؤولية والإدارة وشيء أعظم في عالم الأمانة وتحملها ..

أما الشباب الذين شجعتهم لخدمة وطنهم ولا منست جراحهم نحو فتح وإيضاح الطرق أمامهم لتحقيق طموحاتهم بسيرك معهم نحو تلك الطموحات والآمال وأخذك بأيديهم للوصول لأهدافهم وبحثك معهم عن مكانم الرجولة فيهم ومواطن الأصالة في معادنتهم ليكونوا في مستوى الرجولة .

أولئك الشباب كانت كلماتك بلسماً شافياً لهم .. ومناقشتك معهم مورداً لظمئهم .. واسلوبك في مخاطبتهم تربية من طراز رفيع ..
أيها الأمير :

على امتداد التاريخ منذ هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى هذه المدينة العظيمة وانطلاق جحافل الإسلام لنشر النور منها إلى أرجاء الدنيا .. لم تحظ

مدينة من مدن العالم بتتبع تاريخها بتفاصيله الدقيقة وإحصاء حكامها وأمرائها وما قدموه لها بمثل ما حظيت به المدينة المنورة ومكة المكرمة ..

إن التاريخ على امتداد عصوره وأزمانه وأن المؤرخين والباحثين والكتاب في طول العالم الإسلامي وعرضه في مختلف العصور قد شغفوا بتاريخ المدينة وحكامها وأمرائها وهي ميزة قل أن تحظى بها مدينة من مدن العالم ولذلك فإن التاريخ سوف يذكر لخادم الحرمين الشريفين ما أعطى ويعطي لهاتين المدينتين المقدستين وسيسجل بأحرف من نور اهتمامه وحبه لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنطلق الرسالة المحمدية حيث سيجعلها تحتل قمة الشرف لإنجازه الإسلامي الخير في المسجدين والمدينتين المقدستين .

أما أنت يا سمو الأمير : فهنيئاً لك إشرافك ومتابعتك لهذه الخطوات الفساح في دنيا التطوير والبناء في مدينة خير خلق الله قاطبة محمد صلى الله عليه وسلم .

وسوف يذكر التاريخ لك إشرافك وحرصك

سائل

ومتابعتك وحبك لكل إنجاز يتحقق وقد سجلك في
سجل أمراء المدينة البارزين المخلصين وهو شرف كبير
يتمناه كل مسؤول يود أن يذكر اسمه ويخلد في أعماق
التاريخ ...

صاحب السمو الكريم :

إن كل ما ذكر ليس ثناء عليك بقدر ما هو إشادة
وتسجيل لأعمالك ومتابعاتك وحرصك وتلمسك لرغبات
مواطنيك ورغبتك الصادقة في خدمة مدينة المختار عليه
الصلاة والسلام لتحتل مكانتها اللاتقة بها تحت
الشمس، وقد رأيت من الواجب الإسهام بهذه الرسالة
المتواضعة إلى سموك الكريم مردداً مع كل مواطن
مخلص الدعاء لك بالتوفيق .. والسداد لتكون طيبة
الطيبة في تلك القمة السماء التي تتطلع إليها ..
وناقلاً لك ومسجلاً مشاعر مواطنيك في هذه البقعة
المباركة وأنت تشاركونهم أفراحهم وتحس بإحساسهم
وتذيب ذاتك في ذواتهم بتواضع جم ونفس كبيرة .

الرسالة الثانية :

إلى صاحب السمو الملكي الأمير
عبد المجيد بن عبدالعزيز
أمير منطقة المدينة المنورة

وذلك بمناسبة إتمام العقد الأول في إمارته على المدينة
المنورة في عام ١٤١٦هـ وقد نشرت في مجلة الأمانة في
عددتها الثاني عشر في شعبان سنة ١٤١٦هـ .

سائل

إلى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد ... زاد الله توفيقه
يا صاحب السمو :

ها هو العقد الأول من سنوات ولايتك على مدينة
المصطفى صلى الله عليه وسلم يمر بسرعة عجيبة .. لقد
مرت هذه السنوات العشر ورأينا فيها من جلائل
الأعمال في مدينتنا الكريمة ما يفوق الوصف ويعجز عنه
البيان لأن ما تم من إنجازات لا يمكن أن يتحقق في أقل
من نصف قرن من عمر الزمن أو يزيد ولكن عزمك
القوية وإرادتك الصلبة ونيتك الصادقة وقلبك المخلص
وفوق كل ذلك دعم ومؤازرة الوالد الكبير خادم الحرمين
الشرفين قد ذلت الصعاب وقربت البعيد واختصرت
مسافات الزمن وجعلت من الأحلام حقيقة ومن
الطموحات واقعا ...

سيدي الأمير :

إن الأعمال والمنجزات يا سيدي الأمير عندما تكون
عظيمة وكبيرة تحتار الأقلام مهما أوتيت من بلاغة ،
وفصاحة وقوة حجة وبيان في الكيفية التي تخوض
غمارها أو تسبح في أجوائها وحيرتها تلك قد تطول وقد

تتكسرن طويلاً لعظم الإنجاز وسرعته وقوته ورصانه
بنائه .. نعم لقد انكسر قلـمـى مرات عديدة وتبعثرت
كلماته وسيطرت عليه حيرة لا يمكن وصفها لأنه أمام
إنجازات مهولة وأعمال جبارة لا يمكن التصديق بأنها قد
تحققت في بضع سنوات معدودة على الأصابع .

نعم .. لقد بذل ولي الأمر رعاه الله ووفقه لمدينة
المصطفى صلى الله عليه وسلم بذلاً سخياً من أجل
تطويرها لتكون مدينة المستقبل التي تباهي برقيها
وعمرانها مباهاة تتلاءم مع مباهاتها التاريخية
والإسلامية على مر العصور والأزمان ولكن من حسن
حظها أنك قد أشرفت على ذلك البذل في سنواتها
العشر الماضية فكنت بحق رائد صدق وإخلاص
وتضحية.

لقد رأينا فيك نحن سكان هذه المدينة المقدسة
الأمير الشهم المتواضع المتزن الذي يقدر شرف ما أنيط
به من مسؤوليات ويواصل ليله بنهاره لتطوير عمله
والبحث عن مختلف الثغرات التي تحقق الإنجاز تلو
الإنجاز وتستثمر جميع الطاقات وتستصلح جميع

رسائل

النفوس بما أودعه الله فيها من مكامن النبوغ والإبداع
ولا تقف عند حد لشحذ الهمم وتحدي الصعاب وتضرب
من نفسك مثلاً يحتذى في إذابة ذاتك من أجل تحقيق
أفضل النتائج .. لقد رأينا فيك الإداري الناجح الذي
يعيش عمله معه طوال ساعات يومه وليلته .

رأيناك تحس بمسؤولياتك وتقدر شرف ما ولت
عليه في دنيا الناس وفي دنيا التطور والبناء وتفرح
بكل بادرة ترى منها بصيص نور من أجل الحياة الأفضل
التي تحقق إنجازاً وتفتح باباً جديداً نحو الحياة الأرحب .

رأيناك تقدر مراجعك من المواطنين وتعيش مع كل
فرد في مشكلته وكأنها مشكلتك أنت وتلتمس الأعذار
لمن تجاوز لجهله وحسن نيته وتحقق المقولة القديمة التي
يردها العارفون ويطبقونها خاصة من ذوي السلطة
والمسؤوليات التي تقول : « بأن صاحب الحاجة أرعن »
فأنت بقدر مسؤولياتك وسلطتك لم نر فيك إلا توجيهاً
للصغير واحتراماً للكبير وإخلاصاً في أداء ما ولت
عليه من أعمال ومسؤوليات .. كرامة مراجعك

محفوظة وحقوقهم تسيرها في مسارات العدل
والإنصاف دون تجاوز منك أو حيف أو ظلم..
صاحب السمو :

إن ما شاهدناه ولمسناه من أعمال وتطوير ومنجزات
خلال العشر السنوات الماضية التي تشرفنا فيها بولايتك
علينا أميراً يعجز قلبي عن حصرها ولكنها تقف شامخة
شاهدة بسخاء الوالد القائد خادم الحرمين الشريفين
لمدينتنا الخالدة ورغبته - يحفظه الله - في تطويرها
بأقصى سرعة ممكنة لتكون من أرقى مدن العالم وقائدة
للحضارة كما هي قائدة التاريخ والأصالة كما أنها تقف
شامخة شاهدة على حسن إدارتك وأدائك لمسؤولياتك
بكل ثقة واقتدار وحب وتضحية ويأتي في مقدمتها تلك
الملحمة العمرانية الحديثة المتمثلة في أكبر توسعة شهدها
مسجد المصطفى عليه الصلاة والسلام والتي تمت في
وقت قياسي وعلى أرقى المستويات الحضارية في دنيا
الإعمار والبذل ونالت إعجاب القاصي والداني وكانت
ولا تزال وستظل بإذن الله تعالى خير شاهد للأجيال
القادمة على عطاء وحب الدولة السعودية للإسلام

سائل

وخدمة المسلمين وسيكون لخادم الحرمين الشريفين الملك
فهد بن عبدالعزيز القدح المعلى والمكانة البارزة بين
زعماء الإسلام في ثنايا التاريخ الإسلامي على مر
الأزمان إلى أن تقوم الساعة ...

لقد رأيـناك يا أبا فيصل تسهر الليل كله من أجل
إنجاز ذلك المشروع العظيم تسأل وتعقب وتناقش وتوجه
طيلة فترة التعمير لهذه التوسعة العملاقة ليس للمسجد
النبوي فقط بل وما صاحب عمارته من توسعات لمساجد
القبلتين وقباء والميقات والجمعة وغيرها والتي عمرت
عمارة تتناسب مع مكانتها التاريخية والأثرية
والإسلامية .

ورأيـناك وأنت توجه وتقترح وتذلل الصعاب
لمسارات الحركة العمرانية الحديثة في المدينة المنورة من
خلال الدوائر التطويرية الأولى والثانية والثالثة مع
تجميل مداخل المدينة المنورة وإحداث الحدائق العامة
ونوافير المياه وإيجاد المتنزهات العامة البرية منها وفي
داخل المدينة وكذلك الأسواق الحديثة المتخصصة التي
انتشرت في جهات المدينة الأربع على اختلاف

تخصصاتها وتنوعها وعرفنا من خلالك العمل الجماعي
وما يحققه من جلائل الأعمال التطويرية لشركات طيبة
العقارية والزراعية وما نتج عنها من مجتمعات سكانية
تمثلت في تلك القلاع الضخمة من العمارات التي تمثل
كل واحدة منها قرية كبيرة بمستلزمات حياتها
ومتطلباتها والتي وقفت ملامحها وظهرت شاهدة للعيان
حول المسجد النبوي الشريف وفي كل مكان بالمدينة .
صاحب السمو :

يقول شاعرنا العربي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم
ويوم أن أصدرت قرارك التاريخي بهدم البيوت
والأحوشة في المنطقة المركزية وبدأت المعدات تعمل ليل
نهار بصورة مهولة أشفقت ومن على شاكليتي من ذلك
وقلت في نفسي كيف تهدم مدينة بكاملها ؟! وما هو
البديل ؟ وأين يسكن الحجاج والزوار ؟! وتعاضمت

الصورة في نفوس الكثيرين وبقدرها سارت الهدميات بصورة لم تعهدها المدينة من قبل ليلاً ونهاراً وراقب الكثيرون مسار قرارك - حفظك الله- وبدت الساحات حول الحرم النبوي الشريف الميادين والمخططات في المنطقة المركزية وسارت الأمور سيراً طبيعياً في إسكان الحجاج والزائرين ولم تكن هناك أية ربكة أو مشكلة طيلة فترة الهدميات وما وجد لها من بدائل وبذلك حققت وكنت جديراً بما قاله الشاعر :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

وإنه لأمر يدعو إلى الفخر والاعتزاز أن تهدم مدينة بكاملها من أجل التطوير والبناء والإعمار وتسير الأمور سيراً طبيعياً .. وما ذاك إلا بتوفيق الله ثم بالعزيمة الصادقة والنية المخلصة والإصرار على التحدي للوصول إلى الأفضل وتحقيق أسмы الغايات ...

سمو الأمير :

كل المخلصين والمتبعين لحركات التطوير بالمدينة المنورة يقفون تحية إجلال وتقدير لما أنجزت من جلائل

الأعمال بالمدينة المنورة في كل قطاعاتها وجهاتها وقد
 زارني أحد أصدقائي قبل أيام وهو من مدينة غير
 مدينتنا الحبيبة وقد انقطع عن زيارة المدينة وقتاً طويلاً
 وسرت به مع الطريق الدائري الثاني في إحدى جولاتي
 به في المدينة فدهش لما رأى في حركة إعمار بين الدائري
 الأول والثاني وبين الثاني والثالث وزادت دهشته لما
 رأى أيضاً من طرق وكبار ومخارج وأرض زراعية
 وحدائق غناء وما شهدته المدينة من توسع في جميع
 جهاتها وأقسم أن هذه الإنجازات لا يمكن أن تتم في أقل
 من خمسين عاماً وهو رأي كل من زار المدينة المنورة
 ولكنك قلت ووعدت - يحفظك الله - بأن مدينتنا
 ستكون من أعظم مدن العالم بل أعظمها حضارة ورقياً
 وتطوراً وها هي شواهد قولك بدأت تظهر للعيان خاصة
 إذا نظرنا إلى قصر مدة ما تم إنجازه عظم ما تحقق في
 دنيا الواقع .

سيدي الأمير :

كثيرة هي إبداعاتك في دنيا الإدارة والمواطن
 يقصر باعه عن حصرها ولكنها جميعاً مشار إعجاب

ومبعث فخر لكل العارفين وحسبي أن أذكر واحدة من إبداعاتك ومبادراتك الرائعة لخدمة الوطن والمواطن والتي لم تسبق إليها فيما أعلم تلك يا سيدي هي توجيهك الكريم لأعضاء مجلس المنطقة خلال العام المنصرم لزيارة القرى والأودية والمراكز والمحافظات التابعة لمنطقة المدينة المنورة وهذه نظرة حسيمة وفكرة عميقة الأبعاد سبقت إليها وأنت السباق لكل فكر صائب ورأي سديد يسهم في تحقيق هدف نبيل وغاية سامية ..

إن زيارة أعضاء مجلس المنطقة التي وجهت إليها-يرعاك الله- نموذج فريد للحياة مع المواطن في موقعة ومعرفة رأيه وما يحتاج إليه من متطلبات النهضة والتطوير بأسلوب علمي وقرب ومعايشة لكي لا يعيش المجلس بمعزل عن المواطنين ومعاناتهم ولا يكون تعامله مع الأوراق والآراء والاقتراحات فقط ..

وفوق ذلك أردت - يحفظك الله- أن يستطلع أعضاء المجلس تاريخ مختلف جهات المنطقة موقعاً وإنساناً وتراثاً وتلك وسيلة غير مباشرة منك لتنمية

سائل

الثقافة وتقوية الروابط بين المواطن في المجلس والمواطن خارجه وبين المواطن في المجلس ومختلف جهات المنطقة كما قلت: موقعاً وإنساناً وتراثاً ..

صاحب السمو:

يوم أن شرفك قائد نهضتنا المباركة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يحفظه الله بإمارتك للمدينة المنورة - وأنت الجدير بذلك والقوي الأمين عليها إن شاء الله تعالى - لا شك أنك سعيد الحظ لأنها بلد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وعاصمة الإسلام الأولى ولها من الفضائل ما لا توجد « مجتمعة » لبلد آخر ولم لا؟!

وهذه البلدة يا سيدي الأمير مأرز الإيمان ومنشأ المصطفى عليه السلام ومهاجره ومضجعه ومنها مبعثه وهي مهوى افئدة المؤمنين على مر التاريخ ولم تحظ مدينة من مدن العالم بتتبع أخبارها واستقصاء أخبار ولاتها وأحداثها من المؤرخين والعلماء والباحثين في مختلف حقب التاريخ كما حظيت به المدينة المنورة ولذلك فإن برك بالمدينة المنورة من قبل ولي الأمر وبر المدينة بك

سائل

شرف لا يعادله شرف لأن التاريخ والمؤرخين والباحثين
والمفكرين والأدباء .. وقبل كل هذا وبعده ذلك الأجر
العظيم والمثوبة منه سبحانه وتعالى لمن يتولى أمر المدينة
ويحسن فيها ...

سيدي الأمير عبد المجيد

معذرة إن أطلت في رسالتي هذه إليك وهي في
واقعها لا تزيد عن مجموعة من الخواطر ولمحات
الإعجاب بما أنجزت خلال العقد الأول من ولايتك على
المدينة الحبيبة لم أستطع الاستقصاء فيها ولا عمدت إلى
ترتيبها بل كتبتها - يشهد الله - كما وردت دون
تسويد أو تبيض ، ولعل في وسع صدرك متسعاً لما قد
يكون بها من نقص أو تداخل أو أخطاء . والسلام عليك
يوم أن أتيت إلى المدينة ويوم أكملت العقد الأول من
ولايتك عليها أميراً .

ومع مطلع شمس كل يوم تشهد المدينة عملاً
تطويرياً تسيرها به إلى الحياة الأفضل والرقى والتقدم
والازدهار.

سائل

الفصل الثاني

« سائل لم يحملها البريد »

سائل في حب الوطن

سائل

سائل لم يحملها البريد ...

أي بني ...

سائل في التراث والأدب والثقافة
والتربية والأخلاق ...

سائل

الرسالة الأولى :

ماذا هذه الرسائل ؟

أي بني..

أكتب لك هذه الرسالة والتي ستتلوها رسائل كثيرة
 إن شاء الله والتي أطمح أن تستمر بحيث تتلقاها تبعاً
 أثبت خلالها ما يجيش في نفسي مما أردت إيضاحه لك
 ولجيلك من الشباب الذين يعيشون حياة العصر بما فيها
 من فرح وترح وبما فيها من توهج وبهرجه ونعمة عيش
 وأمن وأمان .. إنني أكتب لك هذه الرسالة أو الرسائل
 على الأصح عن المدينة المنورة وهي تعيش في سنوات
 العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري وقد خطت
 خطوات فساحاً في عالم التطور والتطوير ووقفت عمارة
 مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم شامخة عملاقة
 استوعبت المدينة القديمة بكاملها وبدا المسجد درة
 متوهجة وآية من آيات الفن المعماري الحديث سعة وقوة
 وصلابة وجمالاً وتنسيقاً .. وصار بحمد الله وتوفيقه ..
 مصدر فخر لكل مسلم يقلب ناظره في جنباته المختلفة
 وما بذل فيه من جهد ومال وتنسيق ورعاية وحسن
 تنظيم.

لقد تشرف يا بني خادم الحرمين الشريفين الملك

فهد بن عبدالعزيز آل سعود ببذل كل غال ونفيس من أجل عمارة بيوت الله وفي مقدمتها المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة حتى صار هذان المسجدان درة في جبين الدهر وآيات للفن لا يرتقي إليها عمل في أي بقعة من بقاع المسلمين خدمة للأمة الإسلامية وحفاظاً على مقدسات الإسلام ورغبة في راحة ضيوف الرحمن من الحجاج والمعتمرين والزائرين طول العام ..

أعرف أنك من مواليد المدينة المنورة وأن هذا لا يضيف لك جديداً وأنت الآن تعيش في مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنت قد قاربت العشرين عاماً هو كل عمرك ..

ولكنني أرجو أن لا تقاطعني في حديثي إليك عبر هذه الرسائل وحتى أوفر عليك الوقت في التساؤل أقول: مرة أخرى بأن المسجد النبوي قد استوعب في سعته المدينة القديمة بعماراته الشامخة وميادينه الفسيحة كما تراها ويراهها أبناء جيلك في هذا العصر الزاهر وانطلقت الشوارع الفسيحة في طول المدينة وعرضها ووجدت

الحدائق العامة بنخلها وأشجارها الملتفة وشلالاتها ونوافيرها في كل أنحاء المدينة وربطت ما كانت تسمى بالضواحي كقباء والعوالي وذو الحليفة والجرف والعيون وسلطانة بالمدينة نفسها حتى صارت هذه أحياء لها لاتنفك عنها ولا تنسب إلا إليها وها هي العمارات الشامخة تتربع في كل حي بأدوارها المتعددة وفنها وروعته وحسن تنسيقها.. وها هي أعمدة الكهرباء بألوانها الزاهية ونوعياتها المختلفة وها هو الماء يتدفق في كل شبر يسير مع الكهرباء وتמידات الهاتف التي تربط المدينة بكل أنحاء الدنيا ..

إنه التطور يابني الذي تعيشه مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمين ومتابعة الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة الذي أكد مراراً بأن طيبة الطيبة برعاية واهتمام الملك فهد بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمين سوف تكون من أجمل مدن العالم قريباً إن شاء الله .. وهذا ما نلاحظه نحن المواطنين الذين كتب الله لهم السكنى فيها

رسائل

ومتابعة ما تشهده من تطور حضاري يسابق الزمن.

ابني العزيز .. هنا وأمام كل ما شرحتة سابقاً وهو غير مجهول لديك أصل إلى ما أريد قوله لك ولأبناء جيلك في هذه الرسائل التي سوف أكتبها تباعاً إن شاء الله عن حياتكم التي تعيشونها وما عاشه الأجداد في جنابات مدينتكم العظيمة وما حولها من قرى وهجر وبواد .. لن أتكلم عن حياة الصحابة رضوان الله عليهم ولا عن حياة التابعين يرحمهم الله إلا بقدر ما تحتمه الضرورة ويفرضه الموقف .. لأن ذلك له مجال آخر .. ولكنني سأتكلم عن الحضارة التي تنعم أنت وجيلك في أحيائها بما توفر بها من السكن المريح والإضاءة المشعة والتهوية الجيدة والماء الوفير والغذاء المتنوع والتعليم والثقافة ووسائل العصر التي أضفت عليكم وعلينا نحن معكم الكثير من الراحة ورغد العيش وفتحت أعينكم عليها وأعمت عيوناً كثيرة عن شكر هذه النعم وعن تذكر الماضي بما يضم من أصالة وعمق وفرح وترح.

إنني أسعى في هذه الرسائل إلى توضيح مسميات ما يقابل « الفيلا » التي تسكنها اليوم في بيت الحجر

سائل

والطين وبيت الشعر والخيمة وما كنا نأكله بالأمس
وكيف كنا نحصل على الماء بأدواته المختلفة وما هي
ملابس جيلنا ووسائل مواصلاتنا في طول المدينة
وعرضها ..

سوف أتكلم عن حجاج الأمس وركب أمس المكي
والرجبية وما ساد من عادات مبتدعة ما أنزل الله بها
من سلطان ..

سوف أحدثك عن كل هذا وغيره لتؤدي شكر
النعمة أولاً لما أنت فيه وما تشهده وأبناء جيلك من
حضارة وارفة الظلال ولأطلعك ثانياً على جزء من تاريخ
آبائك وأجدادك يوم أن تبقى الجمال بأحمالها حتى
الصباح خارج الاسوار.

ولتطلع ثالثاً على مسميات لكي تحفظها تربطك
بالماضي بأصالته وعمقه وحلاوته ومراراته .. إنني أعرف
يا بني أنك لاتعرف «الضبة» و«الغرغاز» والطيرمة
والدقيسي والرواق وأعرف أنك تجهل «القاعة والجلء
والجملون والبرابيخ والمرفع والنجاف تجهل هذا كله وغيره
ولكنني سوف أوضحه لك في الرسائل القادمة والسلام.

الرسالة الثانية :

❖ اهتمام الملك عبد العزيز بالعلم وإيمانه بما له
من دور في بناء الأمم.

❖ من اهتمامه بالمدينة موافقته على تأسيس ثاني
مدرسة ثانوية بها بعد ثانوية تحضير البعثات
بمكة المكرمة.

❖ في سنة ١٣٦٢ هـ كانت الموافقة على افتتاح
ثانوية يعدل الموافقة على إنشاء جامعة في
هذه الأيام.

❖ مدرسة طيبة الثانوية كان لها الفضل في تعليم
النخبة الذين شاركوا في بناء حضارة الوطن.

❖ رموز لها تاريخ في بدايات التعليم بهذه المدرسة

أي بني...

شهدت مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم احتفالاً كبيراً بمرور خمسين عاماً على افتتاح مدرسة طيبة الثانوية أول ثانوية بالمدينة وثاني ثانوية بالمملكة العربية السعودية بعد ثانوية تحضير البعثات بمكة المكرمة ... واحتفالها هذا فرصة طيبة لأوجز لك ولجيلك شيئاً من تاريخ هذه المدرسة الشامخة التي كتب لها أن تبقى مزدهرة نصف قرن من الزمان ولا تزال تعطي عطاءها غضا ندياً في ظل هذه الدولة الرائدة بقيادة الميامين من آل سعود الذين آمنوا بالعلم واحتفوا بالعلماء في هذه الأرض المباركة ...

أوجز لك شيئاً من تاريخ هذه المدرسة في هذه الرسالة لأن تاريخ مدرسة طيبة الثانوية يعتبر جزءاً من تاريخ مدينتنا العظيمة وقد كان لهذه المدرسة شرف السبق الذي يحق لها أن تفخر به ويحق لأولئك الرجال الذين كان لهم شرف الإسهام في العمل بها أن يفخروا أيضاً لأنهم عملوا في وقت يعز فيه العمل الواعي المستنير .

سائل

أي بني...

انتقل بك إلى عام ١٣٦٢ هـ وهو عام ميلاد هذه المدرسة العملاقة حيث احتفلت المدينة المنورة في ذلك العام بافتتاح طيبة الثانوية على أثر خطاب تلقاه معتمد المعارف بالمدينة المنورة يومها فضيلة الشيخ محمد سعيد دفتردار رحمه الله يفيد بموافقة مديرية المعارف بمكة المكرمة على افتتاح الثانوية بعد جهود كبيرة قام بها الاستاذ الجليل أحمد بوشناق لتذليل مصاعب افتتاح هذه الثانوية وفرح طلاب العلم والمهتمون بالتربية أيما فرح وفرحت المدينة بأسرها بهذا الخبر العظيم لأن افتتاح مدرسة ثانوية في تلك الأيام من عمر هذه البلاد بعد استقرار الأمن فيها وتوحيد شتاتها على يد المغفور له الملك عبدالعزيز رحمه الله يعني افتتاح كلية أو جامعة ويعني كذلك أن الأبواب قد فتحت على مصاريعها لطموح الشباب ومثقفي الأمة لتحمل مسؤوليات النهضة المباركة التي تنتظرها البلاد من أقصاها إلى أقصاها ..

إن افتتاح مدرسة ثانوية المدينة المنورة وهي الثانية

بعد تحضير البعثات على مستوى المملكة العربية برهان عملي لاهتمام موحد الجزيرة قائدها العبقري جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله بالعلم والمعرفة وتهيئة أبناء البلاد للاضطلاع بمسؤولياتهم تجاه نهضة بلادهم ورقبها وتقديمها وإيمانه بما للعلم من قوة وتأثير في صقل مدارك الناس وتغيير مفاهيمهم وتوسيع نظرتهم وتطلعاتهم .. كما أن موافقته يرحمه الله على افتتاح ثاني ثانوية بالمملكة بمدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم برهان عملي أيضاً على اهتمامه بطيبة الطيبة ومالها من دور فعال في الريادة والقيادة .

ومن أجل ذلك شمر كل المثقفين يومها في المدينة المنورة وهم قلة في ذلك الوقت نظراً لانحسار المعرفة وتفشي الجهل والأمية .. شمر كل المثقفين لأفتتاح المدرسة ووجوب أدائها لمهامها في الإعداد والتنشئة لتكون عضداً قوياً ورافداً أساسياً لثانوية تحضير البعثات (الثانوية الأولى بالمملكة) والتي تعد خريجها للدراسة الجامعية خارج المملكة العربية السعودية في تلك الأيام ..

ابني العزيز..

إذا ذكرت مدرسة طيبة الثانوية في مآرز الأيمان ومهاجر المصطفى عليه الصلاة والسلام قفزت صورة وشخصية رجلها الأول أستاذ الجيل الشيخ أحمد بوشناق لأن جهوده في افتتاح المدرسة تذكر فتشكر وهو الذي بذل اتصالاته مع مدير المعارف في ذلك الوقت الأستاذ طاهر الدباغ بمكة المكرمة يوم أن كانت مديرية المعارف بها والذي قام بدوره في إقناع مجلس المعارف الذي كان يتبع مجلس الشورى بضرورة افتتاح ثانوية المدينة والتي رأت النور مع إطلالة يوم الثاني عشر من شهر ذي القعدة عام ١٣٦٢هـ والتي أسندت إدارتها إلى معتمد المعارف بالمدينة المنورة الشيخ محمد سعيد دفتردار وأسندت وكالتها إلى الاستاذ أحمد بوشناق بمسمى (مدرس في درجة وكيل) وهو أحد المسميات التي كانت مديرية المعارف تعتمد عليها لتهيئ أحد المدرسين ليقود إدارة المدرسة بعد وقت من الزمن .

ولمشغوليات المعتمدية بالمدينة يومها ألقى فضيلة الشيخ الدفتردار بمسؤوليات المدرسة وشجونها وشؤونها

على كاهل الأستاذ بوشناق الذي كان حماسه لافتتاح المدرسة وفرحته بذلك في تلك الأيام قد غطى عليه كل وقته وصار يذلل صعابها ويفتح لها كل المنافذ للبقاء والاستمرار والنجاح .

وحفرت أسماء النخبة من مدرسي المدرسة في أذهان الطلاب على قلتهم في تلك السنة وممن وافق عليهم المفتش المنتدب لافتتاح المدرسة وهو الشيخ الاستاذ / محمد صادق كردي الأساتذة :

عبد القادر وصفي .وعبد الرؤوف أفغاني لتدريس اللغة الانجليزية ومحمد النجار لتدريس الحساب والهندسة ومحمد سعيد دفتردار لتدريس الأدب واللغة العربية إلى جانب إدارة المدرسة والقيام بمهام معتمدية المعارف وأحمد أحمد بوشناق لتدريس اللغة العربية والعلوم والتاريخ ووافق المفتش على اشتراك الأستاذ أحمد عمار في التدريس بالمدرسة بدون مقابل فترة من الزمن ثم اعتمد مدرساً بمقابل وسارت الدراسة خلال الثلاثة أشهر الأولى في دار الشيخ سنبل فدار الأستاذ بوشناق نفسه ولك أن تتصور يا بني ذلك الحماس

لافتتاح المدرسة وكل إمكاناتها سبورتان وعدد من المقاعد استعيرت من مدرسة النجاح الابتدائية ومكتب أحضره الأستاذ بوشناق من بيته ليضعه في ردهة بين غرفتي الدراسة .

لك أن تتصور يا بني ذلك الحماس الذي جعل الطلاب يدرسون في دار معدة للحجاج حيث يشاركون أولئك الحجاج في مداخل الدار وممراته ودورات مياهه وهي دار صغيرة على أي حال وانتقلت المدرسة بعد ثلاثة أشهر من هذه الدار بباب المجيدي إلى دار الخزانة وبقيت في مقرها هذا عشرة أعوام من عام ١٣٦٣هـ إلى عام ١٣٧٣هـ حيث أزيل الأخير ودخل في توسعة المسجد النبوي الشريف وبذلك انتقلت المدرسة إلى مقرها الثالث بجوار بئر حاء في منحدر شمال بيوت البوشناق .. وعانت من ضيق المبنى وعدم استيعابه لفصولها وأنشطة طلابها معاناة شديدة وبذلك أصدر جلالة الملك سعود رحمه الله أمره بترميم مبنى الكلية العلمية والتي كان مزمعاً انشاؤها بالمدينة المنورة وتوقفت فكرتها لقيام الحرب العالمية .. أمر جلالته بترميم المبنى مع بداية

سائل

السبعينات الهجرية ليكون مقراً لثانوية طيبة بالمدينة المنورة .. وقد سار العمل في الترميم والبناء بسرعة فائقة وبإشراف الأستاذ بوشناق نفسه وأقيم الدور الثاني وكان يشرف على كل صغيرة وكبيرة .. بل اتفق مع المهندس المنفذ على إقامة مسرح كبير في وسط المبنى وشيد المسرح بمواصفات فنية عجيبة وتدخل الأستاذ بوشناق في نوعية الكراسي المعدة والتي استوعب المسرح منها ستمائة كرسي أعدت في مصر في ذلك الوقت بجهوده الذاتية وصار المسرح تحفة فنية رائعة وكان له دور كبير في نشاطات المدرسة بل ونشاطات المنطقة أربعين عاماً ومع إطلالة عام ١٣٧٥هـ انتقلت المدرسة إلى هذا المبنى الذي بقيت فيه إلى اليوم وأقيم احتفال بهذا شرفه جلالة الملك سعود بنفسه تقديراً لمكانة المدينة وأهمية المدرسة..

أي بني..

هذا مسار المدرسة في مجال الأماكن التي تنقلت إليها خلال خمسين عاماً أما الدراسة فكما قلت لك بدأت بعدد بسيط لا يتجاوز خمسين طالباً وكانت

المرحلتان المتوسطة والثانوية معاً حيث تضمهما دراسة متصلة يدخل الطالب في السنة الأخيرة منها امتحان الثانوية العامة والتي لم تكن متاحة تلك السنة في مدرسة طيبة لقلّة الإمكانيات وقتها حيث أن على الطالب أن يكمل دراسته بمدرسة تحضير البعثات بمكة والتي تحولت فيما بعد إلى اسم المدرسة العزيزية الثانوية وأول فصل ثانوي افتتح بالمدرسة بمدرسة طيبة كان عام ١٣٦٦ هـ والتحق به ثلاثة عشر طالباً وفي عام ١٣٦٧ هـ كان عدد طلاب السنة الثانية ثانوي بالمدينة أحد عشر طالباً وبذلك صار متاح للطالب أن يدرس السنة الأولى والثانية ثانوي بالمدينة ويكمل السنة الثالثة بمكة ولم تعرف ثانوية طيبة القسم الأدبي إلا في عام ١٣٧٤ هـ أجرى الامتحان لطلاب الثانوية العامة بالمدينة وتخرجت أول دفعة أدت امتحان التوجيهية بالمدينة وحصلت على شهادة الثانوية العامة ولا بأس من سرد أسماء خريجي الدفعة الأولى هذه وهم : إبراهيم أحمد أسعد وإبراهيم عاتق فريد وإبراهيم عبدالكريم الصويغ وإبراهيم محمد مظهر وأحمد بدر شلبي وأحمد

عبدالحفي أبو خضير وحسين عمر منصور وحمزة مختار
 ربيع وسالم مصطفى صالح وسامي علي بشاوري وسامي
 مالك خجا وعامر الحمد الهوشان وعبدالعزیز درویش
 حکیم وعبدالله عمر بري وعبدالله عبدالرحمن سليمان
 رفة ومالك يوسف جليدان ومحمد أحمد نعمة الله
 ومحمد شفيق عبدالحكيم عثمان ومحمود عبدالجليل برى
 ونشأت محمود ديولي ويوسف محمد سحلي ..

وشهد عام ١٣٧٨ هـ انفصال المرحلة المتوسطة عن
 المرحلة الثانوية وانتقل الطلاب إلى متوسطة الصديق
 وصارت مدرسة طيبة الثانوية وفقاً لنظام التعليم الجديد
 الذي بدأ سريانه من تلك السنة وقسمت المرحلة الثانوية
 إلى الإعدادية ومدتها ثلاث سنوات والثانوية ومدتها
 ثلاث سنوات وبذلك أخذت مدرسة طيبة الثانوية حقها
 في النمو والتوسع واستوعبت العدد الهائل من الطلاب
 فيما تلا ذلك من أعوام ومن أبرز من تخرج من هذه
 المدرسة العريقة :

الأستاذ / علي بن حسن الشاعر سنة
 ١٣٦٣ هـ والأستاذ حسين أبو بكر القاضي ١٣٦٣ هـ

ومحمد يوسف بن فضل إلهي ١٣٦٦هـ ومعالي الدكتور
 أحمد محمد علي ١٣٧١هـ ومعالي الدكتور رضا محمد
 سعيد عبيد ١٣٧١هـ ود . غازي عبيد مدني ١٣٧٢هـ
 والسفير فؤاد صادق مفتي ١٣٧٥هـ ود . حسين محمد
 علي العلوي ١٣٧٩هـ والأستاذ الدكتور محمد عبدالغني
 عثمان مشرف ١٣٨٠هـ والأستاذ إياد أمين مدني
 ١٣٨٢هـ ود . خالد كماخي ١٣٨٢هـ والمهندس المعتز
 بالله حسن خاشقجي ١٣٨٤هـ ود . أحمد عبدالقادر
 محمد المهندس ١٣٨٥هـ ود . أنيس خليل عبدالرحمن
 ١٣٨٥هـ ود . محمد عبدالرحمن الحصين ١٣٨٥هـ
 والأستاذ أحمد عبدالله داغستاني ١٣٨٦هـ ود . محمد
 شوقي ابراهيم مكي ١٣٨٦هـ . ود . إبراهيم علي علوي
 ١٣٩٠هـ ود . حمزة محمد أبو طربوش ١٣٩٢هـ ود .
 يوسف عبدالرزاق كتيبي ١٣٩٢هـ والاستاذ محمد علي
 الحجيري ١٣٩٤هـ ود . وليد عبدالقادر حسن طاهر
 ١٣٩٦هـ ود . خالد عبدالقادر طاهر ١٣٩٩هـ .. وهناك
 العديد من بقية أبرز الخريجين والذين لا يتيسر تعداد
 قوائم أسمائهم في هذه الرسالة وهم اليوم يتسمنون قمم

الأعمال في مختلف مناطق المملكة بجانب زملائهم
يؤدون ضريبة حقوق الوطن عملاً وإخلاصاً وتضيحة ..
أي بني ..

نسيت أن اذكر لك أسماء الدفعة الأولى التي
تقدمت للامتحان بعد افتتاح مدرسة طيبة الثانوية
مباشرة وكان لنجاح الناجحين صدى كبير في تلك الأيام
وقد حدثني بهذا الاستاذ المربي الفاضل محمد حميدة
حيث يذكر بأن الدفعة الأولى كان عددها ثمانية عشر
طالباً وهي أول دفعة بالمدرسة ولما أجرى الامتحان لم
ينجح سوى خمسة طلاب لصعوبة المواد ومشقة الامتحان
وهم :

عبدالهادي طاهر وأسعد زهير وسالم أسعد وعبد
الرحمن بخاري ومحمد حميدة وتسألني يا بني عن
الرواتب الخاصة بالمدرسين في تلك الأيام وهي أواخر
الخمسينات وبداية الستينات .. إليك النص التالي وهو
كفيل بإيضاح المعالم لما تسأل عنه :

في اليوم الثامن والعشرين من شهر المحرم عام
١٣٥٨ هـ وردت إلى معتمد المعارف بالمدينة البرقية

سائل

التالية من مدير المعارف المرحوم الشيخ طاهر الدباغ
يقول فيها : معتمد المعارف بالمدينة : صودق من المقام
السامي برقم ١١٥٤ في ١٣٥٨/١/٢٧ هـ على اعتماد
استقالة الأستاذ عبدالحق من سلخ ذي الحجة ١٣٥٧ هـ
وتعيين الأستاذ محمد عبدالكريم من ٢٧ الجاري بدله
وتعيين الأستاذ أحمد بوشناق بدل عبدالكريم من التاريخ
المذكور براتب قدره ٣٠٠ قرش وأبلغ للمالية ..

وفي اليوم العاشر من شوال عام ١٣٦١ هـ تلقى
الشيخ أحمد بوشناق الخطاب التالي من معتمد المعارف
المرحوم الاستاذ محمد سعيد دفتردار يقول فيه : حضرة
الفاضل الاستاذ أحمد بوشناق كتبت لنا مديرية المعارف
العامية برقم ٢٢٥ في ١٣٦١/١٠/٨ هـ أن الهيئة
الإدارية قررت ترفيعكم إلى الوظيفة المحدثه بالمدرسة
المنصورية براتبها الذي قدره ٥٢٥ قرشاً على أن يبقى
عملكم بالمدرسة الناصرية قائماً وأنه جرى اعتماد ذلك
من غرة شوال عام ١٣٦١ هـ وبلغت المالية بذلك
ولاحظتكم علماً واعتماد ما شرح تحرر والسلام
عليكم..

ولك أن تسأل يا بني عن معتمد المعارف من هو؟
 فأقول كانت مديرية المعارف بمكة قبل وزارة
 المعارف وكانت توظف معتمدا لها في كل منطقة هو
 بمثابة مديرية التعليم بالمنطقة ولكنها تسميه معتمداً وقد
 ارتبط (المعتمد) بالمدينة المنورة بفضيلة الشيخ محمد
 سعيد دفتردار الذي عين معتمداً للمعارف فور وصوله
 المدينة عام ١٣٦٢ هـ بعد حصوله على الشهادة العالمية
 من الأزهر وإجازة التدريس وقد كان الدفتردار يرحمه
 الله أديباً شاعراً مثقفاً شغل منصب معتمد المعارف
 حتى بداية عام ١٣٧٤ هـ حيث خلفه الأستاذ القدير
 والأديب اللامع الشيخ عبدالعزيز الربيع يرحمه الله .
 وقد نالت ثانوية طيبة من رعاية واهتمام المعتمد الشيء
 الكثير كما حظيت بمتابعة ورعاية وتشجيع الأستاذ
 عبدالعزيز الربيع طوال حياته وأثناء قيامه بإدارة التعليم
 بالمدينة فكان رحمه الله يتابع خطوات هذه المدرسة
 ويعجب كثيراً بتلك الإدارة المثالية التي تتربع على قمة
 طيبة الثانوية ممثلة في شخص مديرها القدير الأستاذ
 أحمد بوشناق والذي قاد المدرسة ٣٢ عاماً كان خلالها

سائل

قمة في العطاء والخلق والتربية والإخلاص والمتابعة
لأبنائه الطلاب والذين كان يحرص عليهم ويوجههم
ويفتح لهم أبواب المستقبل بتواضع ودمائة خلق وبعد
نظر ومرونة عجيبة .

أي بني ..

لقد أطلت عليك في هذه الرسالة ولكنني أعلم أنك
تحبذ أن أتحدثك بشيء من عبق تاريخ هذه المدرسة لأن
عبق تاريخها يعطيك إضاءات لجوانب عدة تهتم بها في
طيبة الطيبة ولأن مسار نصف قرن مع التربية والتعليم
كفيل بإيضاح الفروق وتبيان المعالم بين ما كان وما هو
كائن وما سيكون وهي جوانب لا يستغنى عنها كل
باحث أو ناشد للحقيقة ..

بقيت بعد هذا رموز في تاريخ هذه المدرسة العريقة
لا يمكن أن تنسى ومواقف لا يمكن أن تنمحي أما
المواقف فنترك للأستاذ أحمد بوشناق ليقول شيئاً منها
حيث ذكر حفظه الله أن من المواقف لما رأي بعض الناس
بالمدينة مسرحاً مدرسياً يضم أكثر من ستمائة كرسي
يعتبر الأول من نوعه بالمملكة ورأوا سير المباريات

الرياضية وطابور الصباح وشاهدوا الرحلات الترفيهية والعلمية والندوات الثقافية المبنية على الحوار والمناقشة بين الطلاب ومدرسيهم وذلك في الستينات من القرن الماضي بهذه المدرسة رأوا أن في ذلك مخالفة للأعراف والتقاليد لطلاب العلم ورأي آخرون أنها مخالفة للدين وأن ذلك من العلمانية الممقوتة المبنية على تعاليم الغرب فبعثوا بشكاوى إلى مديرية المعارف يشتكون فيها أحمد بوشناق لأنه الراعي لهذا كله .. بل واشترى كرة قدم من المنطقة الشرقية بستين ريالاً فضة وأحضرها إلى المدينة المنورة فبعثت المعارف مفتشاً لاستيضاح حقيقة الأمر ورأي المفتش أن هذه الأنشطة وإن لم تكن في المناهج إلا أنها لا تضر منها ولذا أيدّها في تقريره الذي رفعه إلى المديرية .. وذكر البوشناق بأن بعضهم قد اعترض على تأسيس مدرسة تدرس العلوم الحديثة في المدينة المنورة وأكدوا بأنه لا بد أن يدرس أبناء المدينة علوم الدين فقط ولا يلتفتوا إلى العلوم الدنيوية أو كما يسميها بعضهم علوم أوروبا ويقول : اذكر بهذه المناسبة أنه في أحد الأيام وأنا داخل الحرم النبوي وجدت

أحد المدرسين بالمسجد النبوي يشرح لطلابه وعندما رأي
تحول مباشرة إلى الهجوم على التعليم ورجال التعليم
الذين يريدون أن يفسدوا حسب رأيه الإسلام بعلمهم
وأخذ ينتقد ويشدة التعليم النظامي .

وفي أحد الأيام وردت مع بداية الستينات
الهجرية شكوى إلى مديرية المعارف بمكة المكرمة تفيد
بأن مدرساً اسمه أحمد بوشناق يدعو الطلبة إلى الإلحاد
ويؤكد بأن الأرض كروية فأرسلت مديرية المعارف المفتش
محمد صادق كروي لبحث الموضوع وبقي في زيارته
أسبوعاً قدم تقريره بعد ذلك فرقي الأستاذ بوشناق إلى
مدرس أول براتب قدره ٣٣٠ قرشاً .. وهناك في طيبة
الثانوية ومن أساليب التربية التي رأى البوشناق
تطبيقها تكوين لجنة في كل فصل لمحاكمة الطالب
المخالف وإشراك الطلبة في القيادات الذاتية ففسرها
بعضهم بتكوين الأحزاب ورفعت شكوى إلى مديرية
المعارف تؤكد بأن الأستاذ بوشناق يكون أحزاباً بالمدرسة
الثانوية وترسل مديرية المعارف المفتش ابراهيم الشورى
لاستطلاع الأمر فلم يجد شيئاً مما ذكر .. هذه بعض
مواقف الرفض لكل جديد وهي لمحات جرى التقاطها من

أحاديث الاستاذ بوشناق وهناك الكثير الذي لا يتسع المجال له .

أما عن الرموز التي حفرت في الأذهان ولا يمكن أن تنسى من قبل كل دارس في هذه المدرسة فيأتي في مقدمتها أبو اسكندر وهو اللقب الذي عرف به وهو الأستاذ محمود عباس اسكندراني أشهر رموز المدرسة رافق الأستاذ بوشناق مراقباً وهو أحد خريجي المدرسة لعام ١٣٦٥ هـ عرفه الطلاب عنواناً للإخلاص والتفاني والحزم وعرفوا (خيزرانتة) عصاه الطويلة التي لم يسلم منها أحد وكانت محببة من الجميع وكانت تلاحق الطلاب حتى في كازينو العنبرية ليلاً لطلاب الليلية وهم رجال وموظفون ونهاراً لكافة الطلاب ولا يمكن أن يغضب منه أحد أبداً بل وأحياناً كانت تلاحق المفتشين الذين يزورون المدرسة عن طريق الخطأ المتعمد منه رحمه الله وقد قضى في المدرسة ٣٤ عاماً مراقباً حتى وفاته عام ١٤٠٣ هـ ومات رحمه الله وهو لم ينجب ولكن جميع طلاب المدينة يعتبرون من أبنائه وقد اتضح ذلك في جنازته وذكره يرحمه الله رحمة واسعة ..

أما مصطفى عثمان برناوي وعطا الله سليمان

المولد وعبدالله بن علي الشمراني فهم كذلك رموز لا تنسى وقد عملوا مستخدمين بالمدرسة حيث عاصر مصطفى برناوي المدرسة منذ أول يوم لتأسيسها وبقي بها حتى أحيل للتقاعد عام ١٣٩٨هـ لمدة ٣٦ عاماً والتحق عطا الله المولد بالعمل في المدرسة منذ عام ١٣٦٩ هـ حتى ١٤٠٩ هـ لمدة ٤٠ عاماً وكذلك عبدالله الشمراني من عام ١٣٦٩ هـ حتى عام ١٣٩٩ هـ ولمدة ٣٠ عاماً وهؤلاء المستخدمون الثلاثة يعتبرون رموزاً لا تنسى لمدرسة طيبة الثانوية ومن الرموز الهامة التي يذكرها الطلاب جيداً بهذه المدرسة الشيخ محمد ثاني ود. محمد العيد الخطراوي ومحمد صالح البليهشي وعبيد الله أمين كردي وأحمد ضياء الدين ابراهيم وأحمد نمكاني وسعد مبارك الغانمي وصالح محمد الحيدري وعبدالغني مدني وعبدالله محمد ناصر القليطي وفرج الرحيلي و خليل محمد خليل ومصطفى الطيب شريقي ومنصور ضياء وغيرهم كثير لا يمكن حصرهم في عجالة كهذه .

وبعد ... رأييت يا بني من خلال هذا الايجاز في هذه الرسالة لماذا تم الاحتفال بمرور خمسين عاماً على

سائل

إنشاء مدرسة طيبة الثانوية في هذه المدينة المباركة ..
بل دعني أقول: رأيت كيف أنعم الله على الأستاذ
أحمد بوشناق ليرى هذا الاحتفال الذي يرى فيه ثمرة
غرسه وإخلاصه في الأيام الخوالي تؤتي ثمارها لطلاب
مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم برعاية وتدعيم
وحرص وتوجيه الدولة السعودية التي جعلت من العلم
ركيزة لها في هذه الأرض السعيدة بعد توحيد شملها
ولم شتاتها على يد ذلك القائد العبقري الملك عبدالعزيز
ابن عبدالرحمن آل سعود ؟



رسائل

الرسالة الثالثة :

رسائل لم يحملها البريد ...

عنوان لرسائل د / عبدالرؤوف اللبيدي رحمه الله

أي بني ...

عنوان للدكتور عبدالعزيز الخويطر أستاذانه فيه ...

أي بني..

في رسالتي الماضية لم يتح لي أن أوضح لك سبب اختياري لعنوان هذه الرسائل وهو : « رسالة لم يحملها البريد » ..

إن هذا العنوان يا بني قد استعرتة من كاتب قدير وأستاذ جليل اسمه د. عبدالرؤوف اللبدي كان عضواً بهيئة التدريس بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية وكان يكتب تحت هذا العنوان في مجلة الجامعة الإسلامية في أواخر التسعينات من القرن الماضي وقد كتب رسائل تجاوزت العشرين رسالة بدأها « برسالة إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم » وأنهاها برسالة « إلى من يود أن يكون مدرساً ناجحاً » .

وتعتمد تلك الرسائل على الدعوة الإسلامية وتعميق أصول العقيدة بأساليب بيانية رائعة ولغة عربية جميلة .. وكانت تلك الرسائل مؤثرة إلى حد بعيد وقد قرأتها وبقي في ذهني منها الفكرة والعنوان ولذلك فأنا استعيरे اليوم مؤقتاً .

أما العنوان الثاني « أي بني » الذي رأيت

مخاطبتك به هو الآخر ليس من فكرة أبيك لأن أباك كما تعرفه محدود الثقافة والمعرفة ولكنه استعاره أيضاً نصاً « أي بني » وفكرة من أستاذ قدير ومرب فاضل كان له قصب السبق في كل ذلك ألا وهو الدكتور « عبدالعزيز الخويطر » وزير المعارف السابق وعضو مجلس الوزراء حالياً ...

لقد أصدر تحت هذا العنوان « أي بني » أجزاء من كتابه وهو مقارنة بين الماضي والحاضر والذي خاطب فيه كما يقول حفظه الله : : « الجيل الراكض اللاهث ليقف ويلتفت حوله ويرى ما كان عليه أبوه بمحيطه وآلاته ومعداته ودوابه ومساكنه وعاداته بأفراحه وأحزانه بآلامه ومتعه بوجده وعدمه بتفكيره وانطباعاته ويقارن بين ما كان والده عليه وما هو نفسه عليه ويقول لما حباه الله به « الحمد لله رب العالمين » ..

والدكتور الخويطر يا بني رجل قدير إذا كتب وإذا عمل وأين أبوك من رجل عملاق كالخويطر والذي تعرض بأسلوب أدبي مميز للعديد من الموضوعات مقارناً الماضي بالحاضر أمام جيل اليوم يحلى أسلوبه العفوية والبساطة

ودقة التعبير وجزالة اللغة وحسن السبك وإشعاع التراث ورونق الجديد فيما كتب عنه من موضوعات شتى كالجمال والسيارة والموقد والمطبخ والطشت والغسالة وخبز التنور والصامولي والدوشق واللحاف والمرتبة وسراج التنك والفانوس والمرور الحلتيت والبندول وغير ذلك مما تعرض له أيضاً في الجزء الثاني من كتابه كالنخلة والصحراء والقرى والمدن والخيول والأعياد والجراد ...

لقد كتب وأجاد بأسلوب مشوق وبيان عجيب .. إنه يشد القارئ ليسير معه بشغف وأسلوب متجدد وكل الذي أرجوه يا بني أن تحظى المكتبة العربية بأجزاء وأجزاء من كتاب الدكتور الخويطر في نفس المسار ولعله يجد الوقت الكافي ليمتع قراءة بذلك قريباً أن شاء الله .
كما أنني أرجوه أن لا يغضب عندما يرى أحد أبنائه وتلامذته يسير على خطاه بأسلوب أو بآخر خاصة وهو رجل تربية من الطراز الأول الذين يسرهم أن يحذو طلابهم حذوهم في كل فضيلة ومسار خير .

أما العنوان « أي بني » فاستعارته مؤقتة أيضاً اخترتها لما لها من جرس خاص ونغمة مميزة أخطب بها

أبناء الجيل الحاضر الذين لا يفرقون بين « الجماء
والسكاء والسفعاء والذرياء والصبحاء والبرقاء والريداء
والصمعاء والهطلاء والعطراء » من الغنم .

أخاطبك بها أنت « أي بني » والذي لا تعرف
الفرق بين « التكليلة - والنجاف - والركن - والدستور
- والنقل - والتخصيص - والرأس - والتكحيل -
والتجصيص » في بناء بيوت الحجر والتي كان يعرفها
أجدادك حق المعرفة .

أخاطبك بها أنت « أي بني » والذي لا تعرف
« الشيش - والغولة - والمرفع - والستارة - والحلقة -
واللسان - والمفتاح - والخابور - والخوخه - والرزة -
وحبل الباب » في الأبواب التي كانت ...

أي بني .. كل ذلك لا تعرفه كما أنك لا تفرق بين
« الصفنة - والعيبة - والعدلة - والمزودة - والجراب -
والقلة - والمظهرة - والنحو » في أوعية الحب والسمن
والأقط التي كانت تجلب إلى السوق ...

أي بني .. لا تعجل بمعرفة كل ذلك فمن استطال
الطريق قصر مشيه وإلى اللقاء في الرسالة القادمة ...

الرسالة الرابعة :

البيت القديم... بناؤه من الحجر والطين
وعمله رئيس الأسرة...
الخوخة... الضيعة... المفتح... حبل الباب
والستارة... القاعة وبيت الدرج... والحنية..
من الجلاء سقط في صحنه السليق...

أي بني..

وأنت تعيش اليوم في بيت مسلح (شقة - أو فيلا) وتعرف الحوش والباب الحديد والكيلون والمطبخ وغرفة النوم وبقية أجزاء البيت العصري والشقة والمصعد والدرج والنافذة الزجاجية والخشبية والالمنيوم والمراوح والمكيفات .. تعرف بالطبع هذه الأشياء وغيرها في بيتنا .

ولكنني أرى في عينيك غرابة من مسميات بيتنا القديم .. لا تعرف أسماء محتوياته من الغرف والممرات ناهيك عن الأثاث والأدوات ...

هات يدك يا بني لأعرفك على بيتنا في ذلك (الزقاق) الضيق والذي ولدت فيه وحبوت ثم تعلمت المشي واللعب أمام بابه في ذلك الحوش الكبير ...

لقد أزيل البيت الذي تعرفه وكذلك بقية البيوت في ذلك الحوش ضمن التوسعة الكبيرة التي شهدتها المدينة المنورة لكي تساير بقية مدن مملكتنا الغالية بقيادة راعي النهضة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد وسمو ولي عهده الأمين ...

ولكنني يا بني حريص على تعريفك بمكونات بيتنا
الحجري والذي كنا نسكنه قبل انتقالنا إلى منزلنا
العصري هذا وأرجو أن تحفظ الأسماء من مكونات ذلك
البيت لأنها تذكرك وبقيّة أبناء جيلك بحياة أجدادك
بفرحها وترحها وحلوها ومرها ...

لقد كانت الأسرة والتي قد تتكون من الأب
وزوجته وأبنائه متزوجين وغير متزوجين تعيش في بيت
واحد .. وقد لا يحصل الزوج وزوجته من الأبناء على
أكثر من غرفة ينامون فيها وقد يكون لديهم أبناء ومع
ذلك فغرفة النوم واحدة للأب وزوجته وأبنائه وهكذا بقيّة
إخوانه كل في غرفة مع زوجته ..

ورئيس الأسرة هو الأب الكبير وتساعدته في تلك
الرئاسة زوجته أم الأبناء ويحظى الوالدان الكبيران
بالاحترام والتقدير من الأبناء وزوجاتهم وأولادهم .. إذ
لا يقطع بأمر لم يوافق عليه رئيس الأسرة كما أن الأم
التي هي أم الأولاد لها حدود في أمرها ونهيها أمام
الوالد الكبير ..

وقد يكون ماكلهم جميعاً ومشربهم واحداً بحيث

سائل

تقوم كل امرأة بنوبتها يوماً في القيام بشؤون البيت من طبخ وتنظيف أو يكون هناك توزيع للمهمات داخل البيت وكل يقوم بما أوكل إليه من عمل على مستوى النساء أو الرجال الذين يقومون هم الآخرون بأحضر متطلبات البيت بمسؤوليات محددة يرسمها رئيس الأسرة والذي يكون قوله الفصل في كل موضوع .. وهو الذي يتفقد الأسرة كبيرها وصغيرها ويعاقب المسيء مهما كان كبره في الأسرة .

وقد ضربني جدك يحفظه الله ويطيل عمره على موضوع سأحدثك عنه مستقبلاً وأنا متزوج ولدي ثلاثة أبناء أنت وأخواتك أمام أمك وأعتقد أن أحدكم يذكرها .

أعود يا بني لموضوع البيت وتكويناته حتى لا أخرج عن حديثي إليك في هذه الرسالة .. إن بيوت المدينة غالباً تتكون من :

أولاً : باب الزقاق : والباب من الخشب القوي والمسامير الكبيرة التي صنعت محلياً قديماً بحيث ترص ألواح الخشب بجوار بعضها بطول الباب والذي لا يزيد

غالباً عن مترين في أغلب الأحوال وتكون الألواح من الخشب أو من جذوع النخل أو من سيقان الطرفاء (الإثل) الكبيرة وتمسك الألواح بالألواح أقل في العرض تسمى عضود الباب وتسمى الحلقة وهي من الحديد أو النحاس في إحدى عضود الباب بحيث يطرق عليها من ينادي من الخارج ..

- والضبة : تسمى بالباب من الخارج بمثابة قفل الباب من الخشب وتتكون من جزئين (الجمجمة) رأس الضبة ويثبت على الباب بمسامير غليظة وفيه البكرة والفلق وبه سلة خشبية طويلة متحركة بها ثقب المفتاح ويدخل في المجرى حوالي ٣٠ أو ٤٠ سم .

- المفتاح : وهو مفتاح الضبة بطول ٣٥ أو ٤٥ سم من الخشب وبرأسه مسامير لرفع السكرية من فتحات خاصة ..

- الخوخة : هي ذلك الغار في الجدار الذي تدخل فيه السلة من الضبة ويدخلها تسقط السكرية في ثقب السلة والتي لا يمكن أن ترتفع إلا بمسامير مفتاحها نفسه ..

سائل

- الرزة أو الترياس : وهذا عبارة عن صيخ حديد بعرض الباب معلق في جانبه من الداخل فإذا أغلق الباب تم عرض الصيخ ويثبت بشنكار في عضد الباب من الجانب الآخر وبذلك يستحيل فتح الباب وهذا الترياس به مهما كانت الظروف والاسباب .

- حبل الباب : وللباب حبل مثبت في زرفانة خاصة بحيث إذا أغلق الباب تسقط الزرفانة وهي كبيرة في مجرى خاص بها فلا يفتح الباب وإذا ما دق أحد الباب ورأى أهل الدار فتح ذلك الباب سحب الحبل الذي يكون مثبتاً في الدور العلوي فيرفع الزرفانة ليفتح الباب وهو بمثابة الكيلون الكهربائي في هذه الأيام إلا أن ذلك الزرفان يرفع بالحبل .

- الشيش أو الستارة : وهذا يجرى تركيبه أمام الباب من الخارج وهو من الخشب بحيث يسمح بدخول الهواء والإضاءة ولا يسمح برؤية من بالداخل وذلك في حالة فتح باب الزقاق وجلس النساء في الدكة أمام الباب من الداخل .

أرأيت يا بني كيف تكون تعقيدات باب الزقاق

سائل

وهو الباب الأساسي للبيت .. والذي يقوم بصنعه نجارون مهرة ويتسغرقون في ذلك أشهراً عديدة؟

وبعد باب الدار تجد الدكة على اليمين والمقعد على اليسار ثم السيب فبيت البئر والذي قلما يوجد بيت بالمدينة ليست به بئر ، إذ أن جميع بيوت المدينة القديمة كانت البئر فيها أساسية وأغلب آبار البيوت مألحة إذ لا يستعمل ماؤها إلا للغسيل ..

- الديوان : يكون في متوسط البيت وهو قاعة كبيرة بدكتين غالباً ..

- القاعة : وهذه تكون في مؤخرة البيت وهي أيضاً بدكتين في بعض الحالات ..

- الجلاء : هو منور في السطوح يسمح بدخول النور للديوان ويغطي في وقت الأمطار وكذلك للقاعة غالباً .

- الدرج : وغالباً يبني من الحجر وكل خمس أو ست درجات على حسب ارتفاع السقف يلف الدرج ولفته هذه تسمى (حنية) وفي الحنية تلك يكون الحمام وفي الحمام ليست هناك محابس أو أكواع بل تكون فتحة

الحمام متصلة إلى المجرى في أرضية البيت وتترى في
المجاري تلك بعض الصراصير والعقارب والخنشان التي
كثيراً ما آذت الناس وسببت لهم مشاكل كثيرة يصل
بعضها إلى الوفاة ..

وبالحمام توجد الأباريق والحنفية ولمبة أو فانوس
ويجري تفقد الحنفية وما بها من ماء يومياً ..

وهنا يا بني .. وبعد أن رأيت السأم يدب اليك من
خلال هذا الشرح الطويل عن باب الزقاق لا بأس أن اقص
عليك قصة صديق لي رأي أناساً لديهم (عزومة) في
دار من الدور ذوات الجلاء وهي فتحة السقف التي
توسط الديوان وكان ذلك في وقت مجاعة شديدة وكان
يريد الدخول لياكل مع المدعويين فلحظ أنهم قد وضعوا
حارساً يحمل عصا غليظة على الباب فحدثته نفسه أن
يتسلل إلى سطوح الجيران ويسير من سطح إلى سطح
لا اتصالها ببعضها حتى ينزل على اصحاب الوليمة من
درج بيتهم ففعل هذه الطريقة دون تفكير ولم ينتبه إلى
الجلاء المفتوح وأثناء تقديم الطعام كان ولسوء حظه
(أرزاً سليقاً) وهذا نوع من طبخ الرز بالحليب ولا يبرد

إلا بعد حين وصادف أن وضع صحن منها تحت الجلاء
فسقط صاحبنا من الجلاء على الصحن وسط المدعوين
وكانت ثيابة رثة ففعل فيه (السليق) الأفاعيل في
جميع جسمه وذعر المدعوون وقاموا بغسل جسمه
ومعالجته وأطعموه منه ولكنه بقي شهراً وهو يعاني من
تلك الجراح ..

أرأيت يا بني كيف يفعل الفقر والفاقة .. إنها
عظة .. وإلى رسالة قادمة ..



الرسالة الخامسة :

❖ بفضل الله ثم بفضل دولة آل سعود صار الحاج
لا يخاف إلا الله فالسبيل آمنة والطريق ميسرة
والأرزاق متوفرة ومواظبه العبادة تظلمها
السكينة.

❖ الحج في الماضي يعد هدياً آمنه هندوب المغامرات
الشائكة ...

❖ مراحل السفر... الشقاقات.. الزلول..
السفايف.. الخيزرانة... الجاعد... المشعب
... البدة... الصفة... الخرج.. مدلولات لها
متابعها في الماضي ...

أي بني...

تلقيت يوم أمس مكالمتك الهاتفية التي تنقل لي فيها رغبتك ورغبة أصدقائك لكي أحدثكم عن الحج ومصاعبه والاستعداد له وركب الحج المدني ومكالمتك هذه يا بني لم تستغرق منك إلا بضع ثوان استطعت بواسطتها أن تقول ما تريد في هذا العصر الذي احتل فيه « الكمبيوتر » قمة الحضارة وصار بوسع الإنسان في مجال الاتصال أن يتحدث إلى أي جزء من العالم بعد تطور وسائل الاتصال والتي كانت بدايتها في العاشر من الشهر الثالث من سنة ١٨٧٦م عندما اتصل (الاسكندر جراهام بل) مخترع التليفون بزميله توماس أ. واتسون قائلاً له: « أريدك هنا يا مستر واتسون.. أحضر » ولم يكن التليفون هو اهتمام « اسكندر بل » الأصلي بل كان الصمم هو الموضوع الأصلي الذي شغله وشغل والده من قبله ولذلك حاول « بل » أن يرسل تياراً كهربائياً ذا شدة تذبذبية تتحكم فيه على التوالي موجات صوتية منعكسة فصنع « طبلة » رفيعة من

الحديد تهتز عند استقبالها للموجات الصوتية كما تفعل طبللة الأذن تؤثر الاهتزازات في الحقل المغناطيسي لقضيب مغناطيسي وهذا يؤثر بدوره في سلك متصل على بعد ما بآلة مسجلة بها طبللة حديدية مماثلة للتي في الجهة الأخرى فتتلقى الاهتزازات وتكرر الموجات الصوتية الأصلية ...

هذا ما قرأته في كتاب أحداث شهيرة من التاريخ وقلت وأنا أتلقى مكالمتك والكتاب بين يدي سبحانه الله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين .. ها هو العالم يتطور وها هو الاتصال بلغ شأنًا لا مثيل له في نقل الصورة والخبر وتمنيت لو أن تلك الصور التي أنقلها لك ولزملائك يا بني عن الماضي بأحداثه ومسمياته قد لحقها هذا التطور في تسجيل الأحداث خبرا وصورة في عالم الاتصال .. لو كان ذلك كذلك لكفانا مؤونة نحن المؤرخين والكتاب كل هذا العناء في الكتابة والبحث وبذل الجهد لإعطاء بعض ملامح الصورة .. ومن يدري لعل الأجيال القادمة تجد في متناول يدها في أي وقت تشاء أحداث العالم وتواريخ الشعوب بعاداتها

وتقاليدها وحتى أدوات الطهي ودواليب الملابس تجد كل ذلك في أشرطة «فيديو» تباع في سوق حراج الخرقة ، أو تجد شيئاً من ذلك بجوار الكتب العلمية والتاريخية على أرفف المكتبات بحيث تهيأ تلك الأشرطة للبقاء مئات السنين .. وعند ذلك يا بني قد يضع المؤرخون والكتاب أقلامهم ولن يجدوا من يقرأ لهم لو كتبوا ..

- أي بني ... سألتني عن الحج والاستعداد له وركب المدينة للحج وأنا لم أعاصر ذلك الركب ولكنني أنقل لك عن جدك الذي عاصر تلك الأيام ولا يزال يتذكر تفاصيلها وأنا يا بني قد أقصر في نقل الصورة للحج وما يلزم له من استعداد لذلك الركب ولكن كما يقولون في الأمثال : « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » والذي جعلني أذكر التطور الهائل الذي لحق بمجال الاتصالات في هذا العصر هو ما تمنيت أن أراه في ذلك الركب وغيره ... تمنيت أن أرى الشقذف والهودج .. وتمنيت أن أرى الركب بما يضم من رجال ونساء وصبية وما معه من دواب كالجمال والخيول والحمير .. تمنيت أن أرى زاد كل راكب وأسمع صوت « المزهد » بالهاء

المشددة المكسورة وماذا يقول النجّاب .. كثيرة هي الأشياء التي سوف تراها الأجيال اللاحقة عنا إذا قدر الله تطور هذه الحضارة وسخرها الإنسان لخدمة الحياة والتاريخ ...

أيها الابن العزيز : كان الحج كما يصفه جدك يحفظه الله يعد ضرباً من المغامرة خاصة لمن كان يحج بمفرده وهذا أمر محال فالطرق وعرة والمواصلات معدومة والخوف يضرب أطنابه في أي مكان يحل الحاج فيه أو يرتحل وهذا ما يحتم على أهل المدينة الحج سويّاً في ركب معين ويذكر جدك بأن والده لما أراد الحج قام بشراء ذلول بيضاء اللون في شهر شعبان وبدأ يهتم بتغذيتها ونظافتها حتى تحسن حالها وصارت على درجة كبيرة من القوة والتحمل وفي يوم الرحيل قام بوضع الشداد على تلك الذلول وتم فرش الجاعد بعد أن علق الخرج الكبير بطرفيه على ظهرها حيث تتدلى الكتل الملونة المسماة « السفايف » وتكاد هذه تلامس الأرض وتضفي على الذلول وراكبها الكثير من الجمال والإشراق وتعلق أيضاً « الصفنة » من الجهتين وهي أصغر من الخرج

وجميعها من الصوف كما أن « السفايف » أيضاً من الصوف الملون الأحمر والاسود والأزرق ويتم وضع الأشياء الضرورية في « الصفتين » لقربهما من الراكب أما الأخرى فتوضع في الخرج بضم الخاء وسكون الراء والجيم .. وعادة يمسك راكب الذلول أو المطية بلجامها أو برسناها كما يمسك بيده الأخرى « خيزرانة » أو عصا طويلة يحث بها « المطية » أو الذلول على المشي إذا أراد إسراعها أو إناختها في أي مكان .. كما أن « القرية » بكسر القاف وسكون الراء أو « البدرة » تعلق تحت الخرج والبدرة أصغر من القرية يبرد بها الماء وهي مصنوعة من جلد الماعز أو الضأن بعد دبغه والطريق من المدينة إلى مكة تستغرق للأبل ثمانية أو تسعة أيام وبها ثلاث عشرة مرحلة هي على النحو التالي :

- المرحلة الأولى : من المدينة إلى الفريش والثانية

من الفريش إلى المسيجيد والثالثة من المسيجيد إلى الرويثة والرابعة من الرويثة إلى الأثاية والخامسة من الأثاية إلى الحفاة والسادسة من الحفاة إلى القاحة والسابعة من القاحة إلى ودان والثامنة من ودان إلى

رابع والتاسعة من رابع إلى قديد والعاشرة من قديد إلى خليص والحادية عشرة من خليص إلى عسфан والثانية عشرة من عسфан إلى الجموم والثالثة عشرة من الجموم إلى مكة المكرمة .. وقد يختصرها بعضهم إلى عشر مراحل وقد تختلف التسميات المذكورة بين وقت وآخر وهذه المراحل لمن سافر إلى مكة المكرمة عن طريق درب الحاج أو الطريق السلطاني كما يسمونه ..

وهناك طريق آخر بعد المسيجيد يتجه إلى بدر فمستورة فرابع فالقضيمة ثم إلى مكة المكرمة ويسلك بعضهم طريقاً ثالثاً يسمى الطريق الفرعي وهو طريق وادي الفرع وهذا يمتد من المدينة فآبار الماشي فاليتمة فالشفية فالريان فالمضيق فأم العيال فأبى ضباع فرابع فالقضيمة ثم إلى مكة المكرمة ... وجميع هذه الطرق كانت محاطة بالأخطار والمتاعب الجسام وتستغرق الرحلة إلى مكة المكرمة كما قلت سابقاً تسعة أيام ذهاباً ومثلها في العودة إلى المدينة وسبعة أيام بين مشاعر الحج وبذلك قد يصل الحاج إلى المدينة بعد خمسة وعشرين يوماً أو ثلاثين يوماً منتهياً من حجة هذا لمن حج من المدينة المنورة فما بالك بمن كان يحج من نواحي

فجد وهجر واليمن مثلاً ؟

ما بالك بمن كان يحج من الشام أو تركيا أو شمال أفريقيا ؟!

ما بالك بمن كان يأتي إلى الحج من جنوب شرق آسيا وأدغال الصين في تلك الأيام ؟!

لقد حدثني يا بني رجل من أندونيسيا بأن الحاج الذي كان ينوي الحج من هناك تستغرق رحلته إلى هذه الأراضي المقدسة سنة كاملة يستغرق منها قرابة ستة أشهر حتى يصل إلى المدينة المنورة وقد أدركنا بعض حجاج من جنوب شرق آسيا يأتون إلى الحج في شهر رجب من كل عام ومع طول الطريق في البحار والمتاعب الجمة وعناء السفر يتعرضون لأخطار السلب والنهب والقتال .

إنها معاناة ومصاعب جمة لا تصدقونها لأنها قد انتهت بحمد الله وبفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل هذه الدولة المسلمة الدولة السعودية التي أقامت شرع الله وهيأت للمسلمين كل وسائل الراحة ليؤدوا هذه الشعيرة في يسر وسهولة ... يأتون إلى هذه الديار ولا

يخافون أحداً إلا الله سبحانه وتعالى ... يأتون إلى هنا فيجدون السبل آمنة والطرق معبدة والأرزاق متوفرة والماء بارداً ومواطن العبادة من المساجد تظللها السكينة ويأتيها الهواء المبرد والماء البارد والنظافة التي لا مثيل لها والعيون الواعية الساهرة على الأمن والأمان .. يجدون اللطف في المعاملة وحسن الاستقبال والحرص على مصالحهم وسلامتهم وصحتهم ..

انتهت تلك المصاعب بحمد الله وصارت خيالاً لاتصدقها يا بني وجيلك لانكم تعيشون ونعيش نحن وينعم حجاج بيت الله بهذه النعم تحت مظلة هذا الأمن الوارف الذي يوجب علينا الشكر لله سبحانه وتعالى أولاً ثم لهذه الدولة السعودية الرائدة والحامية لمقدسات الإسلام والمسلمين .. يوجب علينا الشكر لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود الذي جعل من المسجد الحرام أو المسجد النبوي الشريف ومشاعر الحج وجميع المساجد من المآثر الإسلامية الخالدة مفاخر إسلامية يعتد بها وصارت درراً في جبين الحضارة الإنسانية المسلمة تؤكد قوة الإسلام وأصالة الأمة

الإسلامية على مر العصور والأيام .
أي بني...

نسيت أن أقول لك بأن الذلول أو المطية هي الراحلة من الإبل جملاً كان أو ناقة التي يمتطيها الراكب في سفره أما الجاعد ونوعيته والصفنة والخرج وأخواتها والسفايف والخيزرانة والمشعاب فهو ما أشرحه لك في رسالة قادمة مستقلة لهذه المسميات وغيرها .

كما أنني أعدك يا بني في الرسالة القادمة بحديثك عن الركب المدني إلى الحج وكيف يتم ذلك الركب وعن شيخ الركب والحادي والمزهد - بضم الميم وفتح الزاء وكسر الهاء المشددة - والبواردية الذين يكونهم شيخ الركب لحمايته .. وعن الهودج والشقذف والشبرية إلى غير ذلك مما يضم الركب المدني إلى الحج فألى اللقاء في الرسالة القادمة والسلام ..



الرسالة السادسة :

❖ الحجة في المأهني وصوره ...
❖ المناخنة ... وشيخ الركب ولواؤه ... الحادي ...
البواردية ... المنزه جمال الشقادف ...
وحصان الشيخ ... الهودج ... الشبرية ...
الرفق بالقوارير ...

أي بني..

ها هي ساحة مسجد الغمامة من الجهة الشمالية
وأعنى بها المناخة بمدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم
قد صارت اليوم ضمن التوسعات لساحات المسجد
النبي الشريف الذي استوعبت توسعته الأخيرة كامل
مساحة المدينة القديمة برعاية واهتمام خادم الحرمين
الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله ووفقه ...

هذه المناخة يا بني الممتدة من مسجد الغمامة إلى
باب الكومة شهدت الكثير من الأحداث التاريخية على
مر العصور والأزمان شهدت الكثير من المعارك الطاحنة
التي دارت على ساحتها وشهدت ألوانا شتى من صور
البيع والشراء لمختلف ألوان السلع والبضائع وابتسمت
لألوان عديدة من مجالس الفرح والمسرات وضمت آلاف
القوافل التي كانت تقل الحجاج والزائرين ..

كانت المناخة مركز الثقل بالمدينة المنورة .. كل
جديد ينزل بها وكل مناد أو حاد أو صائح يتعالى صوته
منها وكل مسافر يودع ذويه ومحبيه على أرضها ..

إنها تاريخ حافل لكثير من الأحداث المرتبطة بتاريخ المدينة المباركة .. المدينة المنورة وكم تمنيت أن ينبري لتنقيب تاريخها وما شهدته من أحداث أحد من زملائك المهتمين بالتاريخ والشغوفين بالتراث .. وكم أعجبت بالصور الجميلة التي قدمها لنا الأديب القدير وابن المدينة الدكتور / عاصم حمدان عن هذه المناخة ولكنني أطمع من الآخرين أن يقدموا لنا ألواناً أخرى من صور تاريخها لأن التعمق في تلك الصور من التاريخ يخرج لنا كنوزاً من تاريخ البلدة الطاهرة نفسها وهو مطلب نبحث عنه جميعاً بشتى الصور والأساليب .

أي بني ..

لقد اخذتني المناخة بتاريخها وكدت أنسى ما وعدتك به من إعطائك صورة عن الركب المدني في كل عام والذي كان يتم تشكيله لأداء فريضة الحج في الأيام الخوالي قبل أن يعرف الناس هذه النعمة لوسائل المواصلات المتعددة بالسيارات والطائرات والبواخر ..

وأعود من أجل ذلك لأقول بأن جدك يحفظه الله قد شاهد هذه المناخة وهي تموج في يوم من الأيام بآلاف

الدواب من الجمال والحمير والخيول في مثل هذه الأيام قبل موسم الحج يجتمع كل أناس تحت إمرة شيخ على ظهور دوابهم ويسمى ذلك الشيخ «شيخ الركب» وهو الأمر الناهي المتصرف الذي يأمر بالسير وينادي بالمبيت حيث اعتاد الناس هنا أن يسيروا للحج جماعات لاضطراب الأمن وصعوبة السفر وبعد المسافة التي تستغرق تسعة أيام للوصول إلى مكة المكرمة ومثلها في العودة ومثلها لأيام الحج وبذلك قد تستغرق الرحلة ثلاثين يوماً كما أخبرتك في رسالة سابقة وقد قسم الطريق إلى ثلاث عشرة مرحلة .. ولكل ذلك فلا يستطيع فرد أو مجموعة قليلة من الناس أن يحجوا لعدم الأمان ولضمان التعاون والمساعدة .

وشيوخ الركب هذا هو الذي ينضم تحت لوائه مجموعة الحجاج ولكل شيخ ركب لواء معين معروف به «يركز» اللواء في صباح يوم السفر أو قبله بيوم أو يومين ليستعد كل حاج ويعرف موقع ركب الشيخ من المناخة لأنه ينطلق منها أكثر من ركب ولكل ركب شيخه .. وفي يوم المسير ينادي حادي الركب الذي حدده الشيخ

وعرفه مسبقاً قائلاً في ساعة السفر : الفلاح ..
 الفلاح..الفلاح ... الفلاح .. يرددها بصوت مرتفع
 يسمعه كل من في المدينة تقريباً وحادي الركب هذا
 يختاره الشيخ ويهيئ له « الزاملة » « الزاد » وكل ما
 يلزم وهو ضروري للمناداة بأوامر الشيخ أثناء السفر
 وللحذاء الذي تسير الأبل على صوته وتنشط في سيرها
 ومواصلته ..

ويتكون الركب عادة من الشيخ على حصانه أو
 جملة المميز ونائبه الذي هو الآخر رفيق الشيخ ولكنه
 أقل منه في التميز في اللباس ونوع الدابة التي يركبها
 .. وهذا يتخذه شيخ الركب لمساعدته والإنابة عنه في
 حالة مرضه أو موته .

وفي الركب مجموعة من « البواردية » الذين
 يحملون بنادقهم لحماية الركب من قطاع الطرق وهؤلاء
 أيضاً من مسؤوليات الشيخ فهو الذي يجهز لهم ركوبهم
 وما يلزمهم إضافة إلى أنه يعتمد إلى محالفة بعض
 القبائل المحيطة بالمدينة لضمان عدم الاعتداء على من
 يحجون معه ومن أن كل حاج يجهز دابته التي يرغب

الحج عليها من جمل أو حمار أو بغل أو حصان إلا أن شيخ الركب يستأجر بعض الجمال التي تسير مع الركب بدون أحمال وذلك احتياطاً لمن لم تستطع دابته الوصول إلى مشاعر الحج والعودة ...

ومن أولئك الذين يضمهم الركب «المزهد» بفتح الزاء وكسر الهاء المشددة وسكون الدال وهذا المزهد قد يكون هو الحادي إذا كان يجيد الحداء للإبل وإن لم يكن ذلك كان الحادي غيره أما هو فيقوم بأنشاد بعض الأناشيد بصوت شجي إذا قرب موعد سفر الركب من المدينة وتتضمن أناشيده وموايله الترغيب في الحج والأجر والثواب الذي يناله الحاج من رب العالمين سبحانه وتعالى والتزهيد في الدنيا وزخرفها والترغيب أيضاً في الآخرة ونعيمها وتستمر أناشيد وموايل المزهد قبل تحرك الركب فإذا ما بدأ سيره من باب العنبرية يمر الركب بجوار منزل أمير المدينة الذي كان يبادر بمنح الركب قيمة عشائه كاملاً تلك الليلة حيث يهيا العشاء في آبار علي «ذي الحليفة» ميقات أهل المدينة وهناك يتم المبيت ومع صلاة الفجر يتحرك الركب مواصلاً سيره

إلى مكة المكرمة ويقابل أول مرحلة في الفريش أو آبار
 المشي ، وفي كل مرحلة ، يتم إنزال ما على الدواب من
 متاع كاملاً ويستريح الركب وتعلف الدواب وتسقى ثم
 يتم تربيط المتاع على الدواب من جديد لبدء المسير إلى
 المرحلة التالية وهكذا حتى الوصول إلى مكة المكرمة ..
 أي بني ..

لك أن تتصور مقدار المعاناة والتعب والمصابرة
 التي يلاقيها المسافر في تلك الأيام تعب السفر
 ومعاناته وتعب الفك والتربيط للمتاع وتعب إعداد
 الطعام وجلب المياه وتغليف الدواب وسقيها والنظر فيما
 لحقها من تعب أو عناء نتيجة الأحمال التي على
 ظهورها .. لك أن تتصور إلى أي مدى تبلغ المشقة
 بذلك الركب الذي قد ينقص الواحد منهم قوت يومه وهو
 معرض للأخطار وقطاع الطرق وهواجيس المرض تلاحقه
 لما يناله من تعب ومعاناة .. لك أن تتصور كل ذلك
 وغيره وتنظر لما نحن فيه من نعمة في هذا الوقت وتقول
 الحمد لله رب العالمين ...

نسيت أن اذكر لك يا بني بأن الجمال التي تسير

الهوري ضمن الركب تحمل على ظهورها الهودج جمع هودج وهو مكان يعد على ظهر الجمل بواسطة أخشاب ويكون مستطيلاً كهيئة « الحن » غرفة صغيرة محاطة في أركانها بأخشاب وملفوف عليها من جهاتها الأربع بعض الحنابل والمفارش لتقي الراكب الشمس والهواء وعادة ما يعد الهودج للنساء حيث تستطيع الراكبة أن تتحرك في جلستها وتكشف وجهها دون أن يراها أحد..

وهناك الجمال التي تحمل الشقادات جمع شقدف حيث يشد كل شقدفين على جمل واحد والشقادات مثل الشباري جمع شبرية غير أن الشقدفين يتم تغطيتهما معاً على ظهر الجمل قريباً من هيئة الهودج أما الشباري فتشد كل شبريتين على ظهر الجمل من جانبيه مكشوفة وهي مثل الشباري التي يحملها ذوو العجزة أو المؤجرون في المطاف اليوم وأمام الجمال التي تحمل الهودج والشقادات والشبريات الجمال الأخرى التي تحمل المتاع وفوق المتاع الراكب المفرد والراكب خلفه الرديف ويتقدم الجميع سراة القوم على ظهور مطاياهم في ذلك الركب..

سائل

ويرافق الإبل الفئات الأخرى في الركب مثل الحمارة وهم
الذين يمتطون الحمير والآخرين الذين يمتطون البغال
والخيل إن وجدت حيث يندر استخدام الخيل في مثل هذا
السفر الطويل ويندر وجودها بصورة كهذه في الحجاز .
أي بني..

في الرسالة القادمة إن شاء الله تعالى أحدثك عن
« السراة » وعن فجاب الطواقي ونجاب المكاتب في
ركب الحج المدني بعد انتهائه من الحج وعودته إلى
المدينة فألى اللقاء والسلام ...



الرسالة السابعة :

- ❖ في مظلة الأمة والتطور السعودي لهذه البلاد
قصرت المسافات وتيسرت السبل وعرف
الإنسان معنى الحياة والحضارة.
- ❖ الحاج كانت تستغرق رحلته إلى الحج من المدينة
المنورة ثلاثين يوماً.
- ❖ حادي العيس ودرهمه الزلول وتعليف الدواب.
وأطيط الأشدة... وطرب الإبل ونشاطها..
- ❖ السدرة... نجاب المكاتب... نجاب الطواق...
المراجيح وأنواعها...
- ❖ حصان الطاسة وأخته الشجية... صورمه
الماهي في المدينة المنورة.

أي بني :

لاحظت أنك في رسالتي السابقة إليك قد استغربت من طول المدة التي يتسغرقها الحاج في ذهابه وإيابه من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة وقلت وزملاؤك بأن ثلاثين يوماً كثيرة خاصة وأن المسافة بين مكة والمدينة لا تزيد على ٤٥٠ كم تقريباً .. وهذه النظرة يا بني تختلف تماماً عن مقاييس ذلك العصر لأن القافلة وهي تسير في تلك الدروب الوعرة عبر النجاد والوهاد بأحمالها التي تثقلها و(تنط) منها الأشدة فيسمع لأطيطها وهي تسير الهويني جرس موسيقي وسط ذلك الظلام الدامس في تلك الدروب المقفرة والسكون المطبق الذي لا يبده سوى ذلك الأطيع الهامس وذلك (الحداء) الذي يشنف آذان الإبل فتنشط على موسيقاه وتصغى لوقعه فتطرب وتنسجم معه وتنسى ما أثقلها بل وتنسى تلك المسافات التي تسيرها .

وتقول لى بأن الإبل تنسجم وتطرب ؟! أقول لك نعم إنها يا بني تطرب وتنسجم ويبدد (الحداء) بكسر

الحاء وفتح الدال وسكون الهمزة تعبها فتنشط وتقطع
المسافات الطويلة وهي أكثر نشاطاً معه ولكنها بالمقابل
يقل نشاطها وتتباطأ في مسيرها ويجد الكسل والخمول
إليها طريقه إذا لم تسمع ذلك الحداء ..

والذلول براكيها (تدرهم) إذا رفع صوته بالحداء
وهو عليها .. والدرهمة للإبل الإسراع في السير بخفة
ونشاط وهو دون الجرى المفزع المتعب للجمل . ولأهمية
الحداء للإبل تغنى الشعراء بالحداء وطالبوه مترجين
بسلوكيات معنية حسب اتجاهاتهم وميولهم وكثر قولهم
يا حادي العيس ..

وعساني يا بني أبعث لك رسالة قادمة عن الحداء
وأنواعه وأهميته للإبل وراكبيها .. وأعود مرة أخرى
بعد أن هزني شوق الحداء واسترسلت فيه كما تسترسل
الإبل في مسيرها .. أعود مرة أخرى لأقول بأن المسافة
التي ترونها اليوم قصيرة بفضل الله تعالى ثم بفضل
هذه الحضارة التي تتفياون ظلالها والتي تقطع بسيارة
(مكيفة) في أقل من أربع ساعات أو ثلاث إلى مكة
المكرمة عبر طريق بستة مسارات تحيط بجوانبه أسلاك

تمنع الدواب من المسير حتى لا تعرقل الحركة وتقف على جوانبه الاستراحات المهيأة نظافة وإضاءة وتهوية وطيب مأكّل وإقامة .. إن هذه المسافة عبر هذه الجبال والأودية السحيقة كيف يكون بعدها ومشقتها . الخوف منها ومما بها لو سرتها يا بني مشياً على الأقدام أو راكباً دابة من الدواب ؟! ثم أية أعباء جسام تتحملها من أجل حمل (الزاد) والماء ؟! ثم لو وجدت الدابة والزاد والماء أي جهد يبذل من أجل الاستراحة وإعداد الأكل وتعليف تلك الدابة ؟! إنها معاناة عاشها الأجداد يطول شرحها ولا تتحمل سماعها فضلاً عن معاشتها فالحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ثم الشكر لهذه الدولة السعودية التي نشرت مظلة الأمان وجعلتنا ننعم بمعطيات هذا .

يا بني :

وكم تكون فرحة الحاج وهو يقضي نسكه ويحزم متاعه ليعود إلى بلاده ؟! إنها فرحة لاتعادلها فرحة حيث يحس بأنه قد أدى فريضته مرضياً بذلك وجه ربه ويبلغ حنينه مداه ليعود إلى أهله ووطنه وأمتة خاصة في

الزمن الماضي يوم أن كان السفر يعني انقطاع الخبر بالكلية وركوب البرية والتعرض لكل أذية فلا إذاعة تسمع ولا صورة تلفزيونية تنتقل من كل مشعر ولا اتصالات هاتفية ولذلك يعتمد الناس في تلقي الأخبار على (النجابة) ومفردها (نجاب) وهو الرسول الذي يرسل بالخبر أو الخطاب ويؤمر بتبليغه ممن أرسله أو من غيره وهذا ما يسمونه نجاباً ومنه نجاب المكاتب .. وقد اعتاد ركب المدينة المنورة إلى الحج قديماً أن يكلف شيخ الركب نجاباً يرسله إلى المدينة المنورة بعد قضاء الركب لفريضة الحج بحيث يسرع قبل وصول الركب المدني بخطابات من في الركب إلى ذويهم بالمدينة يبشرونهم فيها بصحتهم وسلامتهم وموعد وصولهم المدينة وبوصول نجاب المكاتب إلى المدينة يطمئن الناس وتعلو البشري وجوهم ويستعدون لاستقبال حجاجهم في الموعد المحدد .

وقبل نجاب المكاتب يستقبل الناس بالمدينة (نجاب الطواقي) وهذا النجاب مخصص لأخذ طاقة من حج لأول مرة بعد انتهاء الحج وقطع خمس أو ست مراحل

في طريق عودة الركب إلى المدينة حيث يرسل شيخ
الركب فنجاب الطواقي هذا بما معه من طواق على ذلول
سريعة تقطع المسافة في أربعة أيام أو خمسة فإذا ما
دخل المدينة استقبل بالبشر والفرحة وينتقل من منزل
لآخر لابسا زياً معيناً مميزاً على ذلوله (يبركها) أمام كل
منزل حج منه حاج لأول مرة ويسمونه (السراة) ويسلم
ذويه (طاقية) ويبشرهم بصحته وسلامته فتنهال عليه
الأعطيات والهدايا منهم ويحظى فنجاب الطواقي
باستقبال حافل ويرافقه الأطفال مشيعين له من حي إلى
حي ومن منزل لآخر ومع توزيعه لابتساماته لهم يوزع
عليهم مما أهدى له بقلب مرح محب ونفس راضية
منشركة. (والسراة) هذه تعبير يطلقه أهالي المدينة وما
حولها من قرى على الحاج الذي يحج لأول مرة صغيراً أو
كبيراً حيث يقوم ذووه بعمل عزومة أو عزيمة كما
يسميها بعضهم أثناء سفره يدعى إليها الجيران
والأصدقاء من النساء فقط احتفاء بحجه ودعاء له
بالعودة سالماً وفي بعض القرى حول المدينة يلعب النساء
داخل دار أم أو زوجة أو أخت الحاج (السراة) بعد

وليمة الغداء أو العشاء المقامة بهذه المناسبة أما الأطفال فتقام لهم (مرجحة) في الشارع أمام باب الدار وتتكون تلك المرجحة من تثبيت جذعي نخلة أو ساقى طرفاء (إثل) تثبتاً جيداً وربط حبل من طرفيه في أعلى الجذعين أو الساقين وإنزال الحبل متدلياً بين الجذعين حيث يجلس أو يقف الراغب في المرجحة ويقوم آخر بدفه أماماً وخلفاً ويساعد هو إن كان كبيراً في ذلك الدفع حتى يصل دفعه ذهاباً وخلفاً إلى ما يوازي رأسي الساقين العلويين وفي ذلك براعة المتمرّج وقوته وشجاعته وفي أثناء المرجحة يهزج الأطفال جماعات وفرادى مرددين قولهم : (سرارة جاك راعيك قضى حجه وباغيك) بصوت شجي جميل منغم وهذه المرجحية تسمى أيضاً (سرارة) .

وتبقى هذه (المرجحة) مقامة حتى يأتي الحاج (السرارة) من حجه وبعد مجيئة بيومين أو ثلاثة ترفع من مكانها والحاج (السرارة) في ركب المدينة يقابله ذووه في عودته ويحضرون له الملابس المزركشة والعقال المقصب وخيزرانة أو مشعاب ويحضر له حصان يركبه

ويرتدي جبة مقصبة أو مشلحاً فوق الحصان ويدخل من باب العنبرية وقد أعدت له الطاسة وهي فرقة صغيرة موسيقية تعزف أمامه من باب العنبرية حتى باب السلام وخلفه يمشي أصدقاؤه ومعارفه ..

في باب العنبرية هذا يختلط الركب من الحجاج بطاسات الحجاج السرارة وكذلك معارف وأصدقاء كل حاج حيث يكون مهرجاناً بديعاً يمتلئ محبة وغبطة وفرحاً وسروراً .. بل تخرج المدينة بكاملها فرحة بعودة الحجاج سالمين غانمين ويسير الموكب من باب العنبرية والمناخة أمام مسجد الغمامة فسوق الحباية والعياشة وباب المصري فسوق الحدة القماشية إلى درجة باب السلام فلا تسمع إلا مهلاً مكبراً ومنادياً في جانب آخر : عاشق النبي صلى عليه وفي كل بيت ترتفع زغاريد النساء وفي كل ركن به امرأة أو رجل يرتفع الحمد والشكر لله رب العالمين ..

وأمام برحة باب السلام يقف الركب وينزل كل حاج السرارة ويتجه إلى الروضة المطهرة ويصلي ركعتين ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك

يفعل بقية الحجاج القادمين ضمن الركب ثم يتجه كل حاج إلى بيته أما الحجاج السراة فإن كل حاج يركب حصانه وأمامه الطاسة العازف حتى يصل باب داره ويدخله ويبقى العازف عند الباب يعزف الحاناً شجية حتى يحين موعد الغداء فيتغدى مع الحاج ويعطي شيئاً من المال ثم ينصرف ..

يا بني :

هذه صور من الماضي نقلتها إليك كما سمعتها من كبار السن قبل أكثر من ١٢٠ عاماً أو تزيد تعجب بها ساحات باب العنبرية والمناخة ورحبات أسواق الحباة والعياشة والتمارة ورحبة باب السلام للمسجد النبوي الشريف .. تلك الصور فيها شيء من البدع والطرافة والغرابة بالنسبة لنا ولكن ذلك المجتمع تخيم عليه الألفة والمحبة والبساطة في أوسع معانيها وتظله القناعة التي نفتقر إليها في هذه الأيام .. وهنا أقول لك إلى اللقاء في الرسالة القادمة والسلام ...

الرسالة الثامنة :

- ❖ بيتنا ... القديم ودور المعلم في إحكامه.
- ❖ القراري .. الدستور ... الركن ... الرأس ...
- النقل ... التحويل ... السقالة ... الشاقوف ..
- المهزبة المرازيب والطيرمة والدقيسي والحنية
- وباب الزقاق .. أسماء لها معالم في البيوت
- الحجازية ..
- ❖ التخصيص كان بداية تعليم الأطفال مع
- (البناء) ...
- ❖ الترابط الأسري سمة من سمات العهود
- الماضية ...

أي بني..

لم أكمل لك حديثي عن بيتنا القديم ذلك البيت الذي يرتبط بذكريات الجميلة وأجملها يوم أن رزقني الله بك ونزلت ضيفاً جديداً في ذلك الصباح الباكر وقد انتظرتك طويلاً بعد ثلاث بنات .. لقد كدت أطيّر من الفرح يومها .. واستقبلت عشرات المهنيين من الأصدقاء والأصحاب وجرت مراسيم التسمية والختان والعقيقة وغيرها والتي سوف أحدثك عنها في رسالة قادمة ..

المهم أنني أود أن أكمل لك حديثي عن بيتنا والذي يعتبر نموذجاً من نماذج بيوت المدينة المنورة التي كانت مبنية من الحجر في معظم أحيائها ومن اللبن والطين في بعضها الآخر .. وقد حدثتك عن باب الزقاق ومكوناته والدكة والدهليز أو الدهليس كما يسميه بعضهم والمقعد والسيب وبيت البير والدرج والحنية والديوان والجلال واليوم أحدثك عن :

المجلس : وهذا غالباً ما يكون في الدور الأول بعد الأرضي مما يلي الشارع أي أنه يكون على الواجهة ..
المطبخ : ويكون مطلقاً على بيت البير بحيث يستطيع من في المطبخ أن يجذب الماء من البير وهو في

المطبخ تسهيلاً للتنظيف والغسيل على ربات البيوت ..
 المؤخر : وهو غرفة كبيرة أو غرفتان في مؤخرة
 البيت وقد يوجد في الدور الأول حمام للترويش فقط
 وقد يوجد أكثر من غرفتين على الواجهة وفي المؤخر
 وهذا يتوقف على مساحة البيت وعرض واجهته ..
 الطيرمة : وهي عبارة عن سقف الدرج أو غطاء
 الدرج وقد توجد مدخنة وهي جلاء (فتحة) في سقف
 المطبخ لإخراج الدخان وقد يكون المطبخ في الدور
 الأرضي ..

ولا يخلو البيت من مستودع « مخزن » لحفظ
 الأرزاق به ولا يخلو من مكان معد للحطب والفحم وقد
 يوجد به غرفة في السطوح تسمى (الدقيسي) تحفظ
 بها فرش ومراتب النوم وخاصة أن الناس كانوا ينامون
 في السطوح معظم أيام السنة ...

المرزاب : ويصنع هذا من الخشب أو من جذوع
 النخل حيث يجوف بطول متر إلى متر وربع تقريباً
 ويثبت في مستوى السطح على الجدار مما يلي الشارع
 لتخرج من خلاله مياه الأمطار التي تسقط على
 السطح ..

هذه أهم مكونات البيت في المدينة المنورة والذي قد يكون من دورين أو ثلاثة ومعظم البيوت مبنية بالحجر المطابق وبعضها تبني باللبن أو الطين .. أو بالفخار إلا أنهم يحرصون على أن يبني الأساس من الحجر ولو بارتفاع متر عن سطح الأرض .

ومادام حديثي لا يزال عن البيت فإنني أورد لك يا بني مسميات في مجال بناء البيت سواء في المونة التي يبني بها الجدار أو في مجال اليد العاملة التي تقيم الجدار وتشيد البناء ومن ذلك ..

المعلم : وهو البناء الذي يبني الجدار وهو ذو شأن كبير في ذلك الزمان ويتقاضى أكبر أجر لما يقوم به من مهمة وكان أمره الأمر ونهيه النهي في مجال صناعته .. وكم كان البنائون متقنين لأعمالهم في ذلك الوقت .. إنه يقيم بناء البيت من الحجر بميزان معين وعمل متقن وله فنيات في إقامة العقود والبوابات والشبابيك وفي أثناء عملية البناء وبجانب دندنته وغنائه تسمعه ينادي ركن دستور رأس الأحجار التي يحتاجها في البناء ..

القراري : وهو دون المعلم ولكنه يهيئ له الحجر المناسب ويقوم بتشذيب الأحجار وتزيين جوانبها لتستقر

على الجدار بصورة خاصة ويتسعمل الكثير من الأدوات كالشاقوف والمرزية والمقراص وغيرها ..

العمال : وهم الذين يقومون بعمل (عجنة) الطين ومناولة المعلم (البناء) ما يحتاجه من الأحجار وأدواتهم التي يعملون بها الفاروع والمسحاة والقفة (الزنبيل) الذي كان يصنع من سعف النخل أما العجنة من الطين التي هي الخلطة التي توضع بين الحجر ليتماسك فإنهم يكففونها بالمسحاة ويطؤونها بأرجلهم لتختلط مع ما يضيفونه إليها من التبن أو النورة أو غير ذلك ..

السقالة : وهذه يقف عليها البناء عندما يرتفع البناء ليشرف على الجدار إشرافاً مباشراً ويوضع عليها ما يحتاجه من أحجار وخلطة ونقل وغير ذلك ويقوم المعلم بمساعدة عماله ببنائها وإعدادها جيداً لتقوم بمهمتها ..

أما أنواع ما يحتاجه (المعلم البناء) من الأحجار في بنائه ، ينادي به لإحضاره بين وقت آخر فهو :

- الدستور : وهو حجر مستطيل لربط البناء .

- الركن: حجر له جهتين متساويتين ليحتل مكانه

أما على واجهتين في الركن أو للفتحات كالأبواب

والنوافذ ليعطي جماله جهة الجدار وجهة الفتحة في

النافذة أو الباب ..

- الرأس : وهو مثل الدستور في الطول إلا أنه

ينتهي بجهة أخرى مزينة مستوية ..

- التكليلة : نوع من الحجر يربط بين حجرين

آخرين ..

- النقل : هو الذي يكون بين جهتي البناء لأن بناء

الحجر لابد أن تكون جهته مزدانتي متساويتين وما

بينهما يكون النقل أو الدبش ..

- التخصيص : وهو بالحجر الصغير تملأ به

الفتحات بين الأحجار الكبيرة مما يلي الواجهة وهذه

يخصصها البناء لابنه أو لمن يريد تعليمه من صغار

السن بحيث يقوم ذلك بسد الفراغات بالطين والحجر

الصغير تحت إشراف المعلم البناء ..

- التكهيل : وهذه مرحلة لتزيين بناء الجدار حيث

يقوم البناء بعد إقامة الجدار بإلقاء نظرة عامة عليه

يتفقد ويدب بقية الفراغات بالطين بنعومة خاصة وبفنية

معينة ليبدو الجدار الحجري أمام ناظره جميلاً يشاد

بمعلمه في كل وقت ويفتخر به صاحبه ..

أي بني..

- لقد كان عم أبيك الكبير رحمه الله بناءً ماهراً في مجالات بناء الحجر أو الطين أو الطوب وكان يشاد به ويبحث عنه لإتقانه في عمله وروعة بنائه وجماله وله فنيات خاصة في بناء الحجر وقد عن لي في يوم من الأيام أن أعمل معه لاكتساب صناعته والاستفادة منه وكان يحبني كثيراً ويرغب في ذلك الوقت أن أتعلم معه ومنه فاشتغلت معه في التخصيص وأحضروا لي عدداً من الأحجار الصغيرة وبدأت أعمل واطمأن إلى عملي وتركني وعند الظهر شعرت بتعب شديد وقلت في نفسي لاجاجة لهذه الأحجار التي يتم التخصيص بها وعلي أن أعبئ هذه الفراغات بين الأحجار بالطين فقط فانتهيت ذلك في وقت قصير فاستغرب وأتى رحمه الله لينظر في عملي وكنت فرحاً بما أنجزت ولأول مرة وبدون مقدمات أتلقى ضربة قوية بالمسطرين وهو الآلة التي يسوي بها الطين أو الخلطة بيد البناء وتلاها كف قوي فمصعة أذن لا تزال آثارها باقية تعلمت من خلالها الكثير والكثير واستوعبت درساً لن أنساه في إتقان العمل والصبر عليه وتحمل أذاه .. إنهم كانوا يقسون

سائل

علينا في التربية ولكنها قسوة حمدناها بعدئذ وكان
أحدنا يخاف من عين عمه أو قريبه أو جاره أو صاحب
أبيه مثل ما يخشى عين رقابة والده لأن ذلك المجتمع
يا بني كان كله أسرة واحدة .. إذا فرح أب بنجاة ابنه
سرى ذلك الفرح في جميع البيوت وتحدث به الرجال في
مجالسهم داعين مبتهجين مشيدين بتلك النجاة أمام
الكثرة الكاثرة من شباب أطفال الحي وفي ذلك تربية
من نوع آخر لذلك الجيل من الشباب وإذا تعثرت قدم
بشاب من شباب الحي رأيت جميع الجيران يتألمون لتلك
العشرة ولا يكفي ذلك الألم بل تجدد منهم المتابع لتلك
العشرة أيضاً الباحث عن أسبابها وتجدد الناصح الأمين
لذلك الشاب وتجدد المساعد المخلص لذلك الأب في تربية
ابنه وتقويمه ..

أي بني ..

لا أريد أن استرسل في ذلك الترابط الأسري فله
رسالة مستقلة ستصلك إن شاء الله في وقتها .. أما
الآن فإنني أودعك فيألى الرسالة القادمة عن الرواشين
والمشربيات والذوق الرفيع الدافع وراء تميز بيوت المدينة
بهذا اللون المعماري الجميل .. والسلام ..

الرسالة التاسعة :

- ❖ المعلم ... والرواشيه ... والمشيريات ...
- ❖ الشربة ... الزير ... المسنكي واللبان والقفل ...
- القرية ... البيرة أسماء في سماء الماء ..
- ❖ التلاجة وماؤها الخداج .. محاصور الشربة
- والزير والقرية ..
- ❖ (دندنة) المعلم (البناء) على السقالة كانت معه
- الأنغام المحببة في الحي ...

أي بني..

في رسالة سابقة حدثتك عن « البناء » وهو المعلم كما يسميه أهل المدينة والذي كان له شأن كبير في رسم البيت وإقامة بنائه وإرساء أساسياته الحجرية وتوزيع غرفه ودهاليزه ومقاعده ومؤخراته والذي كان إذا اعتلى « السقالة » التي يشرف من خلالها على الجدار وينظم بنيانه يحس العمال والحجارون الذين يعملون معه بهيبته وعلو منزلته بينهم وبين أسرة صاحب البيت نفسه ولم لا؟! وكلمة منه تمنع أي واحد منهم من مواصلة العمل بل وتوقف عمله في وسط النهار ولذلك فالجميع يسترضونه وهم تحت إمرته .. ويحاول صاحب البيت أن يكسب رضاه لإنجاز العمل وإتقانه ويحضرون له ولعماله الشاي ويهيئ الماء البارد وربما تكفل بغذائهم في بعض الأيام .. ويحظى « المعلم » باحترام الجميع وتقديرهم حيث لا يمر به أحد من سكان الحي وهو « ينددن » فوق السقالة ويصدر أوامره للعاملين معه بطلباته مرتدياً جبته ولافاً عَمَّتْه على رأسه .. لا يمر به أحد من سكان الحي إلا ويسلم عليه وبعد السلام يقول له : « عوافي يامعلم » فيرد عليه « الله يعافيك » وفي هذا احترام وتقدير

سائل

لعمله وفوق ذلك كله تحس برابطة أسرية اجتماعية يظللها الصفاء والنقاء والطهر والحب والإيثار..

ولا يقتصر دور المعلم يا بني على البناء وتفصيل الغرف والمداخل بل يتعدى ذلك إلى فنيّات تبرز الذوق الرفيع خاصة في واجهة المبنى والذي يرسم فيه نوعيات الرواشين والمشربيات والتي تتلاءم مع ما يستغرقه المبنى من مساحة خاصة في واجهته التي هي بمثابة المرآة على الشارع للغادين والرائحين .

أي بني..

إن الرواشين والمشربيات قد وجدت بالمدينة المنورة منذ أن بنى الانسان بيته متعدد الأدوار وهي خاصية تميزت بها مدن الحجاز خاصة بصورة واضحة وهي بدون شك تدل على ذوق رفيع وجمال رائع ودراسة دقيقة للطقس وتقلبات الجو حيث يقام الروشان على كامل واجهة المبنى ببروز لا يقل عن ٦٠ سم ولا يزيد بحال عن ٩٠ سم وذلك في الأدوار العلوية من المبنى ..

أما المشربيات فقد اشتقت من « الشراب » وهي الأوعية الفخارية التي يبرد فيها الماء حيث يعمل النجارون على بروز جزء من الروشان تحمل عليه الشراب

سائل

وهذه الشراب واحدها الشربة كما يسميها أهل المدينة
حيث توضع في المشربة بعد تعبثها بالماء فتعرض
لتيار الهواء الذي يمر من فتحات الروشان فيبرد الماء
داخل الشربة برودة طبيعية ..

أي بني ..

ما أحلى ذلك الماء البارد الذي بداخل الشربة أو
الزير والذي جرى تنظيفه وتبخيره « بالمستكى » واللبن
والقفل بفتح القاف والفاء .. إن لذلك الماء حلاوة ونكهة
وبرودة افتقدناها في هذه الأيام مع تربع الشلابة على
قمة التبريد والتي أعطتنا ماء بارداً « خداجاً » قبل وقته
فأثارت عليك وعلى إخوانك التهابات اللوز وغيرها
وسببت لنا الكثير من المتاعب والأوجاع ولا تظن يا بني
أنني أنكر أفضالها أو أرغب القضاء عليها ومحوها من
الوجود ... ولكنني أذكرك وجيلك بالكيفية التي كنا
نبرد بها الماء في الشراب والأزيار والقرب وأذكر تلك
الأيام التي كان شارب الماء يحس بلمسات وبصمات ربة
البيت في النظافة وفي نكهة الماء الذي نشربه ..

لقد استرسلت في ماء الشربة والزير يا بني وتركت
ما أنا اليوم بصده في هذه الرسالة فاعذرني وسوف

أحدثك عن القرية والوزير ودورهما في حياتنا تلك التي كان شارب الماء يحس بلمسات وبصمات ربة البيت في النظافة وفي نكهة الماء الذي نشربه ...

لقد استرسلت في ماء الشربة والوزير يا بني وتركت ما أنا اليوم بصده في هذه الرسالة فاعذرني مرة أخرى وسوف أحدثك عن القرية والوزير ودورهما في حياتنا تلك الأيام في رسالة قادمة ولنعد إلى الروشان مرة أخرى .. أتدري يا بني بأن روشان بيتنا الذي كان قد استغرق عمله ستة أشهر عند نجار بارع وكان المعلم والنجار في تفاهم مستمر طيلة العمل في البيت على المقاسات والزوايا والأركان وكان يحدثنا عن ذلك اليوم الذي فرح فيه وشعر بالزهو والافتخار يوم أن ركب النجار ذلك الروشان وصار حديث سكان الحوش إعجاباً بفنياته ودقة صناعته .. بل وتلقى التهاني من محبيه وعارفيه بانتهاء العمل من البيت وتركيب روشانه بمشربياته ونوافذه وفرح سكان الحوش صغاراً وكباراً يوم أن رأوا جذك يذبح « طليين » خروفين عزومة لهم وفرحاً بذلك وتصدر الحاضرين المعلم بعماله وحجارته بالجيم المشددة والنجار بصبيان « عماله » إضافة إلى وجهاء الحوش

والأقارب والجيران ..

وكنت يومها صغيراً لم أتجاوز السادسة من عمري
وقد كلفني جدك بمتابعة من يصب القهوة لجمع الفناجين
الفارغة وغسلها في تلك العزومة أو العزيمة كما يسميها
بعضهم وكنا قد قمنا بتعبئة الأزيار بالماء منذ الليلة
الماضية ليبرد الماء وأرسلني جدك إلى جيراننا أبلغهم
بذلك قبل يوم من إقامة تلك المناسبة قائلاً لهم : « يقول
لكم أبي .. الله يحييكم على فنجان قهوة عندنا في
البيت الجديد بكرة الظهر » .. كما قامت جدتك بإبلاغ
جميع النساء وفتح جيراننا بيوتهم للنساء أما الرجال
فكانوا في بيتنا وقام بالطبخ وعمل القهوة رجال من
الجيران أتوا جدك دون استدعاء أو استعانة مصممين
على القيام بالواجب .. إنه يوم بقى في ذاكرتي لم
تستطع أحداث بعده محوه أو مسح بعض تفاصيله ..
أما الحوش ونظامه وما يتحتم على كل ساكن فيه من
واجبات ومسؤوليات والمخزن ومساحته فهو ما أحدثك
به في الرسالة القادمة إن شاء الله والسلام ..

الرسالة العاشرة :

- ❖ الخط ما قرئ .. دعوة ظالمة ..
- ❖ أنت خطوط شبابنا كجدة الجراداة النائهة ...
- ❖ في غمرة ازدهار الآلة الكتابة ظهر الكمبيوتر وهي بهامه النافذة ...
- ❖ في الوقت الذي قل فيه المتعلمون وندر التعليم برزت خطوط تستهوي وتعشق ...
- ❖ أياك الاهتمام بحصة الخط ؟ وأيه عبارة (ثلاث درجات لجمال الخط وتنسيقه) في امتحاناتنا ؟
- ❖ الخط العربي تكالبت عليه تقنيات العصر وعقوق بينه به ...

أي بني :

وصلتني رسالتك التي ذكرت فيها متاعبك
وهومك من تدريس اللغة العربية والتي تمنيت فيها لو
تخصصت في غير هذا المجال الذي ذكرت لي طرفاً من
معاناتك فيه لتشعب مواد اللغة العربية وكثرة دفاترها
وضخامة عمل التصحيح والمتابعة فيها .. وقد استأثرت
كثيراً وأنا أتصفح رسالتك .. بل وصدقني يا بني بأن
الغضب قد أخذ مني كل مأخذ لا لتبرمك ومعاناتك من
تدريس اللغة وشكواك من معاناتك أيضاً من إقناع
الطلاب بأهميتها وقداستها تعلمها فهذا له مجال آخر
سوف أتحدث عنه في رسالة خاصة لك ولأمثالك من
الشاكين المتضجرين المولولين .. لقد غضبت من سوء
خطك الذي فقد كل معايير الجمال والتألق والانسجام
وصارت عادة اللامبالاة فيه طاغية عليه وصار في
مجموعة (كجرة جرادة تائهة) في رمل ناعم لا تعرف
لها اتجاهها في التشريق أو التغريب .. وكم .. وكم
نصحتك سراً وجهراً بالاهتمام بالخط وتحسينه لأنه جزء
من شخصيتك خاصة في مجال التدريس بل وأعتبره
مكماً وجزءاً هاماً من شخصية الرجل المتعلم عموماً لأن

الخط العربي تراث أصيل يجب أن نحافظ عليه وهو جزء من اللغة العربية بل ويعتبر قلبها النابض وحيويتها المتألقة وهندامها الجميل .

أي بني : لا أطالبك بأن تكون خطاطاً ولا أطالب زملاءك من المدرسين بهذا المطلب لأنني إن قلت ذلك لكم في هذا العصر ربما اتهمتموني بالجنون والبعد عن الواقعية والحياة في عصر غير عصركم الذي تحملت الآلة الكاتبة فيه والكمبيوتر عبئاً ثقيلاً بل وسترت عيوب الكثيرين من متعلمي عصرنا وأنصاف وأرباع متعلميه .. وكأني بهذه الآلة الكاتبة المسكينة وهي تتيه فخراً بخدماتها الجليلة لكتاب هذا العصر قائلة لهم لا عليكم فتبعاتكم وأعباءكم أحملها وخدماتي ميسرة وحروفي واضحة وخطي جميل فلا تتعبوا أنفسكم في الكتابة والتفنن فيها تقول هذا حتى نسي أولئك بعض الحروف ونبت أصابعهم عن الإمساك بالقلم وصارت لا تجيد كتابة ولا تحوي قلماً ولا تعرف يراعاً ولا محبرة ..

كأني بهذه الآلة الكاتبة وهي في غمرة تيهانها وقمة فخرها بكل هذا تفاجأ وبدون سابق إنذار بزمجرة (الكمبيوتر) بلغاته وحروفه وتنسيقه وصفائه وحسن

سائل

عرضه وتلون إغرائه وقد لوى عنق تلك الآلة (المسكينة)
ورمى بها من النافذة إلى خلف الصفوف ليقول لها ولمن
قدمت خدماتها لهم : (أنا هنا في موقع الصدارة) ومن
موقعه يشرق تألقه بأنواع الخطوط التي سماها بغير
اسمها ولونها بألوان جذابة أصولاً وفروعاً لتغثروا بها
ولتنسوا كل شيء يصلحكم برسم الحرف وكتابة الكلمة
واستقامة السطر وعشق الفن والزخرفة في الخط العربي
الجميل الذي ترسمه اليد وتفرح به النفس ويشرق به
الوجدان ..

أي بني : إنني لا أعادي هذه المخترعات التي
قدمت خدماتها لنا ولكنني أقول لك ولزملائك من
المدرسين : إن (الكمبيوتر) بكل إشراقاته وخدماته
وألوانه وخطوطه لن يقف معك في الفصل ليكتب لك
على السبورة أمام طلابك ولن يلقنك أو يصحح لك أو
ينبهك إلى استقامة السطر وأنت تشرح الدرس في
الفصل ولو حدث هذا لألغى وجودك ومحا شخصيتك
وجعلك هيكلاً بلا روح ..

أي بني :

أن عدم اهتمامكم أنت وجيلك برسم الحروف

وتركيب الكلمات وتنظيم الكتابة ركب في كل منكم
 شخصية مهزوزة حتى صرنا نسمع تلك المقولة الظالمة
 التي تقول : (الخط ما قرئ) والتي ردها العجزة
 واللامبالون وأنصاف المتعلمين حتى رأينا في عصرنا
 الحاضر أساتذة في اللغة العربية يدرسون في مدارسنا
 على مستوى المتوسط والثانوي وربما الجامعة وهم لا
 يحسنون أبسط قواعد الإملاء ورسم الكلمات واستقامة
 السطور وفي ذلك في رأيي الخاص جناية لا تغتفر في
 عالم العلم والمعرفة ..

وبسبب مقولة : (الخط ما قرئ) رأينا سجلات
 التوجيه بالمدارس وهي تئن بأخطاء إملائية بشعة يقع
 فيها الموجهون وهم على مستوى التوجيه عندما يزورون
 المدارس ويسجلون وقائع زياراتهم ونصائحهم
 وتوجيهاتهم ..

وبسبب تلك المقولة واللامبالاة في الكتابة وعدم
 الاهتمام رأينا بعض سجلات الضبط وبعض سجلات
 كتابة العدل في المحاكم في عصرنا وقد اكتست
 صفحاتها بخط (جرة الجرادة) التي لا تعرف في أي
 اتجاه تسير ولا من أي نقطة بدأت ولا في أي موقع

سائل

انتهت وصرنا نقرأ الكتابة بالمعنى وبسياق الكلام فقط
هذا إذا كنا نحن نقرأ ذلك المكتوب فما بالك إذا خرج
إلى جهات لا تعرف العربية إلا بشق الانفس ؟!
ما هو التصور الذي يخرج به القارئ وما هو
المستوى الذي يضعنا فيه ؟!

أي بني :

قبل أيام قدر لي أن اطلع على خطابات صادرة من
ديوان أمارة المدينة المنورة في أواخر الستينات من القرن
الماضي كما اطلعت على سجلات توجيه في إحدى
المدارس التي افتتحت مع بداية النصف الثاني من القرن
المنصرم وقادتني الظروف والصدف إلى الاطلاع على
بعض السجلات مع بداية السبعينات أيضاً بالمحكمة
فرأيت العجب العجاب من حسن الخطوط وتنظيمها
والاعتناء بها وإشراقها وحلاوة عرضها والحرص على
المعنى ودقته واللفظ وجماله .. رأيت الخط الذي
يستهويك لتعشقه والأسلوب الذي يأسرك لتقرأه وتحس
من خلاله أن كاتبه عالم فنان وخطاط بارع وخطيب مفوه
كل هذا في وقت ندر فيه التعليم وقل فيه المتعلمون
وقلت في نفسي : سبحان الله ما بالنا اليوم ونحن نكاد

سائل

نقضي على الأمية ونحبس الجهل في غرفة مظلمة حتى يموت .. ما بالنا نتعلم وننسى جوانب هامة من حياة المتعلمين وسماتهم وسلوكهم وحتى أخلاقياتهم .. ما بال قومنا من المعلمين لا يهتمون بالخط العربي ورسم الحروف وصياغة الكلمة حتى نسوا أو جهلوا كرسي الصاد والضاد وموقع الهمزة وعصا الطاء والظاء والألف المقصورة والممدودة ؟!

ما بال قومنا من معلمي اللغة العربية وبعضهم ممن يدعي الشعر لا تعرف كيف تقرأ خطة ولا يعرف كيف يسير على خط مستقيم ؟!

لماذا لم نعد نسمع بحصة الخط في مناهجنا على اختلاف مراحل التعليم وننتقي لها أجود الخطاطين لنغرس في نفوس أبنائنا جمال هذا الخط كما نحاول أن نعمق في أذهانهم ألوان الفن التشكيلي الذي صار شغلنا الشاغل في هذه الأيام ؟!

ولماذا لم نعد نرى تلك الجملة الأخاذة الهادفة التي كنا نقرأها مع بداية الأسئلة في امتحانات مختلف المواد والتي تقول بكل شموخ وعطاء وتربية (ثلاث درجات لجمال الخط وتنسيقه) ؟!

سائل

ثم أي ضير إذا انتقينا لكتاب الضبط في المحاكم
وكتابة العدل ودواوين بعض الإدارات الحكومية ذوي
الخطوط الجميلة من الموظفين ومنحهم ديوان الخدمة
المدنية بدل ندرة كتميز لهم على من سواهم لأنهم بذلك
يسهمون في كتابة التاريخ لوقتنا الحاضر أمام الأجيال
القادمة بخطوطهم التي تبقى في السجلات كما بقيت
خطوط من سبقنا واستطعنا بوساطتها ويستطيع غيرنا
أن يصور حياتهم وثقافتهم وعمق تفكيرهم وتعاملاتهم
وأساليب معيشتهم ..

ثم إنهم بتميزهم وتحسيسهم بذلك التميز يقتدي
بهم غيرهم ليكونوا مثلهم وهكذا نستطيع أن نحافظ
على هذا الفن التراثي الذي تكالبت عليه تقنية العصر
وعقوق بنية حتى صار خريج الجامعة يجهل أبسط
قواعده ..

أي بني : كم تأملت لرداءة خطك وخطوط جيلك
وعدم اهتمامكم بهذا التراث الأصيل وأنا لا أطالبكم
بأن يكون كل منكم خطاطاً ولكنني أتألم من قلة الاهتمام
بالتنظيم والتحسين بقدر الإمكان وأتألم من سرعان
اللامبالاة حتى رأينا خريج الجامعة كما قلت لك وهو

سائل

يخطئ في أبسط قواعد الإملاء بخط ردي يدعو إلى
الاحتقار والسخرية ولا أدري يا بني من المسؤول عن كل
ذلك ولعلي أتطرق لهذا في رسالة قادمة والسلام .



الرسالة الحادية عشرة :

- ❖ القلم الأنيق ... لا يكتب كتابة عود العوسج...
- ❖ خط الكاتب جزء منه شخصيته .
- ❖ بواسطة ما نذكره من كتابة تتعرف الأجيال اللاحقة على ثقافتنا ومعارفنا وتعاملاتنا ...
- ❖ في هذا العصر ترك المعلمون عقاب الطلاب بكتابة عدد من الصفحات ...
- ❖ لقد أرسلت لك بالسيف ولم أرسل لك الساعد الذي يضرب به .

أي بني :

لم أستطع في رسالتي السابقة أن أقول لك كل ما في نفسي لتألمي الشديد من سوء خطك في الرسالة التي تلقيتها منك وقد قرأتها وأنا أحس بدوار وغضب ليس له حدود وتقول : بأنك لست وحدك في سوء الخط ورداءته وتستشهد ببعض زملائك من خريجي الجامعات وحاملي الشهادات العليا وأنا يا بني أقول بأن هذه هي المصيبة التي ابتلينا بها في عصر العلم والثقافة الذي نعيشه .. لقد أفرزت لنا الكليات بصورة غير مباشرة وبلا سابق إنذار نوعيات من الخريجين لا يحسنون أبسط قواعد الإملاء حتى لكأنك تحس وأنت تستعرض ما يكتبون أن هذا الخط لا يرقى إلى مستوى الصف الخامس الابتدائي والأدهى أن بعض أولئك يتخرجون مدرسين في مدارسنا بعد فيقف أحدهم أمام طلابه وهو يهتز ويتصبب عرقاً من خجله لسوء ورداءة كتابته ثم يستمرئ بعد وقت يردد أمام تلاميذه المقولة الظالمة الجاهلة المجهلة بأن (الخط ما قرئ) ويقتدي به الطلاب في هذا حتى يصل الأمر إلى لجوء المدرس في تصحيحه لامتحانات طلابه لأن يقرأها بالمعنى ويغض عينيه عن

سائل

عشرات الأخطاء التي لا يكاد يخلو منها سطر في
الكتابة .. يغمض عينيه إذا كان يعرفها وهي عنده
شيء عادي إذا جهلها لأن فاقد الشيء لا يعطيه ..
أي بني :

كما قلت لك في الرسالة الماضية بأن المشكلة قد
أصبحت عامة وأن سجلات التوجيه بالمدراس والتي
يدون بها الموجهون ملاحظاتهم ونتائج زياراتهم مليئة
بتلك الصور البشعة من رداءة الخط وسوء العناية به
ومليئة كذلك بعشرات الأخطاء الإملائية التي يقع فيها
الموجهون فضلاً عن المدرسين والطلاب وأن سجلات
المحاكم وكتاب الضبط ودواوين الكثير من الإدارات تئن
من سوء الكتابة التي يمارسها الموظفون على صفحاتها
وهي تعتبر جزءاً من تاريخ عصرنا لأجيالنا اللاحقة
ولأدري أي تصور يكون لدى تلك الأجيال عنا وعن
ثقافتنا ومعارفنا لأننا بواسطة هؤلاء الكتاب ندون
تاريخنا بثقافته ومعارفه وتعاملاته وتناقضاته التي
يمارسها الكثير منا ..
أي بني :

لقد فكرت كثيراً في مكن الداء في هذه المشكلة

فرأيت أن رسم الحرف في البدايات الأولى بالدراسة
 الابتدائية يحتل قمة استقامة رسم الحرف ومعرفة كنهه
 وجماله وحسن عرضه وقد كان مدرسوننا يغفر الله لمن
 مات منهم ويوفق الآخرين ويطيل أعمارهم في طاعته
 يتشددون معنا في هذه الناحية ويملكون المقومات
 الأساسية لصياغة الكلمة ورسم حروفها فهم يتبعون
 جزئيات الحرف في رسمه وعرضه وموقعه في الكلمة
 وتشكلاته في ذلك الموقع وكم عانيت من جزاء صارم في
 رسم سن الصاد والضاد إذ بسبب رسم ذلك السن الذي
 يميزهما عن الطاء وأختها فرض على مدرس الخط كتابة
 عشرين صفحة في ليلة واحدة فلم أتمكن من كتابة ذلك
 الكم من الصفحات وأتيت صباحاً والسهر ينهكني
 وأصابني قد ملئت الكتابة ولا تكاد تمسك بالقلم ولم
 أستطع كتابة أكثر من خمس عشرة صفحة وإذابه يرحمه
 الله يغضب غضباً شديداً ويمزق دفتري الذي عانيت
 الكثير في كتابة سطره وفوق ذلك كله يأمر بأحضار
 العصا ويضربني خمس عصايات على يدي ويفرض
 جزاءً آخر وهو كتابة خمس عشرة صفحة أخرى كواجب
 ليوم غدٍ .. رأيت كيف كانوا يعلمون ويعاقبون

ويربون؟! ومع هذا لم نتعقد كما يدعي جيلكم وعلماءه
 النفسانيون أو النفسيون وكان عقاباً رائده الإخلاص
 وعنوانه المحبة والرغبة الصادقة في التعليم والفائدة ..
 كنت يومها في الصف الرابع الابتدائي حيث ارتسمت
 في ذهني الكثير من معالم التعامل مع الخط والكتابة
 وسارت معي تلك الصور والمعالم طيلة الدراسة
 الابتدائية وما تبعها من مراحل وكان المدرسون يتابعون
 ويشجعون ويوجهون ويشيدون بكل بادرة تنم عن تألق
 أو موهبة ..

لقد نسيت يا بني أن أذكر لك بأن والدك لا يقحمك
 لتكون خطاطاً أو يطالبك بما لم تستطعه ولكنني أطالبك
 بالاهتمام بقدر ما تستطيع بحسن الخط والتأني فيه
 وتنظيمه ومتابعته لأن عدم الاهتمام يولد اللامبالاة التي
 تسير بالإنسان حتى يهمل وينسى كل شيء والكتابة
 والخط ورسم الحروف من الأمور التي إذا تركتها تركتك
 ويلحق بها المشي والقراءة وأشياء أخرى إذا رغبت
 معرفتها فاذكرها في رسالتك القادمة التي أرجو أن أرى
 بها الاهتمام الذي ذكرته لك والعناية التي أرغبها ..

أي بني :

إذا كانت هذه ثقافتكم الإملائية والكتابية في هذا الوقت الذي تزخرفيه المكتبات القرطاسية بألوان شتى من الأقلام والمحابر ومختلف أنواع الأوراق البراقة فكيف تكون يا بني لو كان قلمكم عود (العوسج) ومحبرتكم رماد الخرق البالية والفحم وسواد القدر وشيء من الفراء كما كان الأجداد يكتبون !؟

ومن المضحك أنك تذكر بأن في جيبك قلماً أنيقاً اشتريته بثلاثمائة ريال وهو الذي ساعدك في كتابة رسالتك التي أزعجتني وقبل أن أتعرض لقلمك الأنيق أورد لك قصة أمضى سيف من سيوف العرب حيث سأل الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أمضى سيف في العرب ف قيل له :

إنه سيف معدي كرب الزبيدي فأرسل من أتاه به ليراه فلم يجد به ما يميزه عن غيره من السيوف فاستدعى صاحبه وهو أحد فرسان العرب المشهورين وسأله عن ميزة سيفه الذي صار به أمضى سيف في العرب فقال : يا أمير المؤمنين لقد أرسلت لك بالسيف

ولم أرسل لك بالساعد الذي يضرب به !!

وهنا أقول يا بني : إن السر ليس في القلم الأنيق الذي تحمله في جيبك وتفتخر بقيمته كثرت أو قلت بل السر في اليد التي تمسك بالقلم وتسيره لرسم الحروف وصياغة الكلمة والتي كلما اعتادته وربطت الصداقة به وألفها وألفته عرفت قيمته وقيمة التعامل معه ..

وأعود مرة أخرى فأقول : لقد أدركنا بعض مشايخنا في (كُتَّابِهِمْ) خاصة في القرى وهم يكتبون كما قلت لك يا بني بعود (العوسج) والعوسج شجرة برية لا تكبر كثيراً وتنبت في الجبال ويمتاز عودها بمطاوعته للتشكيل كعود القصب حيث يحضر الشيخ أعواد (العوسجة) ويشكل منها الأقلام كما هو الحال في أعواد القصب فيقوم بتسوية رأس العود ويشكله على هيئة القلم العادي ثم يكتب به بحيث يضع رأسه المدبب في الحبر مع كتابة كل كلمة لأنه لا يحمل في داخله حبراً كما هو الحال في أقلام عصرنا ولك أن تتصور تلك المعاناة التي يلاقيها كاتب لا يستطيع حبر قلمه أن يكمل له كتابة جملة أو جزءاً من كلمة ...

أما الحبر الذي يقوم الشيخ بصنعه بنفسه فهو كما أخبرتك آنفاً لا يزيد عن رماد الخرق البالية وشيء من الفحم العادي وما يعلق بالقدر أو الصاج الذي يخبز عليه من سواد وغراء الشجر حيث يخلط الجميع في زجاجة ويعتقه ليكون حبراً لا يختلف مع تقادم السنين والأيام .. وبهذا القلم وما شابهه وبهذا الحبر يكتب الكاتب على القراطيس ويعلم الفقيه ويكتب على الألواح لطلابه لم يكن لديهم أقلام فارهة تحمل في طياتها مستودعات الحبر الجاهز الذي يشع إشراقاً بألوان زاهية مختلفة .. وبأقلام العوسج أو القصب وبذلك الحبر البدائي ومع تلك المعاناة في غمس رأس القلم في الحبر مع بداية كل كلمة ترك لنا علماءنا ومشايخنا آلاف المجلدات التي تزخر بفنون العلم والمعرفة على اختلاف صنوفها ومعارفها ولا تزال بعض مخطوطاتهم على مستوى الكتب أو على مستوى الوثائق وهي قملأ النفس غبطة وسروراً وتأسر العين واللب معاً لجمال خطها ودقة تعبيرها وفنية عرضها وثبات تألقها وألوانها وقد مر عليها مئات السنين ...

فأين يا بني أقلامنا من أقلامهم؟! وأين حبرنا
 الجاهز الملون من حبرهم؟! وأين القراطيس التي قد لا
 يجدونها في كل وقت من أوراقنا الناعمة الزاهية؟!
 وحسبي هنا ما ذكرت لك وإلى اللقاء في الرسالة
 القادمة والتي أحدثك فيها عن (أبجد هوز .. والتهجي
 والقاعدة البغدادية) والسلام ...



الرسالة الثانية عشرة :

كُتِبَ القرية... قراءة اللوح... في مسجد الفقيه.
 ❖ كم هو عزيز علي ذلك اللوح الذي رافقني حتى
 رثاء النوم كنت أضعه بجواري...
 ❖ وكم هو مفرح ومؤلم يوم أن رأيت النار تشتعل
 فيه وقد وهدج وقود الإتمام طبخ الغداء.
 ❖ في جذوع سقف المسجد حلق الفقيه حبلاً
 مفتولاً منه ليف النخيل وقال لنا هذه الفكرة...
 ❖ عصا الفقيه مع جريد النخل والكراخ وسلك
 الأستاذ مراحل من بها العصا في دنيا
 التعليم...

أي بني..

مع بداية السبعينات من القرن الماضي لم تكن في
 قريتنا مدرسة وسمع أهالي القرية بأن بعض القرى ممن
 حولنا فتحت بها مدارس ابتدائية وكنت أسمع الرجال
 الكبار في القرية بين مؤيد ورافض لفكرة وجود المدرسة
 في القرية ولكل فريق من أولئك وجهة نظره التي يدافع
 عنها ويعلل بحماس وشواهد يسمعها أو ينسجها في
 خياله ليقنع الآخرين وكان جدك يحفظه الله من المؤيدين
 لوجود المدرسة بالقرية وخاله يرحمه الله كان من
 المتحمسين لافتتاح المدرسة وكان ممن يقرأ ويعرف قيمة
 القراءة فتقدم بطلب إلى معتمدية المعارف يومئذ بالمدينة
 وقد شرح في طلبه ظروف القرية وحاجة أبنائها لوجود
 المدرسة التي تعلمهم وتنير طرق العلم أمامهم ووعد
 خيراً وتم إدراج القرية في الأولويات لذلك وانتظر
 المؤيدون لافتتاح المدرسة وطال انتظارهم فقام أحد شيوخ
 القرية وافتتح « كتاباً » له في مسجد من مساجد القرية
 وتبرع بتعليم من يرغبون من أطفال القرية القراءة
 والكتابة ...

وكنت واحداً ممن دخل عند « الفقيه » وهذا الاسم

الذي كان يطلق على كل من وقف يعلم الأطفال في قرى
الحجاز ومدنه في ذلك الوقت ..

لم تكن لدينا دفاتر نكتب عليها ولا نعرف
الأقلام، التي تكتب على الورق وكل الذي عرفناه يومئذ
أن كل واحد منا قد تأبط لوحاً من خشب قد أعد
للكتابة من جهتيه وكانت الألواح تختلف مقاساتها
ونوعياتها وكنت فرحاً بما لدي من لوح لأنه من أحسن
الألواح وأجودها ولا أدري من أين أتى به جدك .. لقد
كان لوحاً جميلاً أملساً له مقبض بقدر مساحة قبضة
اليد وبعد المقبض في الجهة المقابلة للوح له رأس محدب
تحديباً جميلاً قد ثقب في وسطه ليتمكن تعليقه بالحبل
الذي يربط من الثقب .. وما عرفت قيمته إلا بعد أن
رأيت تميزه في يدي على بقية الألواح التي بيد زملائي
عند الفقيه ولذلك كنت متعلقاً به لا يفارقني ليلاً أو
نهاراً حيث ألازم ذلك اللوح طوال النهار في المسجد
وفي الليل أنام وهو بجانبني أو عند رأسي من حرصي
عليه وإعجابي به .. وقد لازمته وحرصت عليه حتى
بعد أن ذهبت أيام الدراسة وامتهنت التعليم لارتباطه

في ذهني ببدايات لا أنساها ومواقف في غاية الدقة والأهمية في عهد الصبا والدراسة الأولى وما حزنت على شيء قدر حزني عليه يوم أن أتيت في أحد الأيام إلى البيت ورأيت النار تلتهم ذلك اللوح تحت قدر الغداء الذي كانت تعده جدتك يحفظها الله وقد نفذ الحطب يوم أن كنا نطبخ طعامنا عليه قبل وجود الغاز والكهرباء .. وضعته في النار عندما رأت الناس لا يكتبون عليه وقد عمت الدفاتر والأقلام وصارت بيد كل طالب .. وأكدت لي تحت تأسفي عليه وحزني لعدم رؤيته أنها لا تعلم ذلك وأن وقت الغداء لا يحتمل التأجيل وقد نفذ الحطب وتخشى من صولة جدك وغضبه عندما يأتي والغداء لم ينضج ولم يعد وكان للغداء والعشاء والفطور مواعيد محددة لا يمكن تغييرها في ذلك الوقت ..

كانت المرأة يا بني تصحو من نومها قبل صلاة الفجر وتعد الفطور لزوجها ولأطفالها فإذا ما أذن الفجر قام كل من في البيت وصلى ومن لم يصح من نومه توقظه أصوات « الهوندات » أو الهاون الذي تدق فيه قهوة البن بعد حمسها لأن قهوة الصباح بعد صلاة الفجر

من أساسيات حياتهم فقد لا يكون الإفطار مهماً ولكن القهوة مهمة إلى درجة كبيرة لديهم وبعد صلاة الظهر يكون موعد الغداء وبعد صلاة المغرب يكون موعد العشاء .. إنه برنامج دقيق محدد يختلف كثيراً عن مواعيد نومكم ووجبات أكلكم في هذه الأيام .

وكانت المرأة يا بني تقوم بأعباء جسام طيلة يومها وحتى المساء تشقى شقاء ليس له حدود لخدمة زوجها وأطفالها وبيتها وكانت تحس بالسعادة في ذلك الشقاء والتعب وعساني لا أنسى لأكتب لك رسالة أخرى عن تلك المرأة وسعادتها وشقائها في ذلك الزمن يوم أن كانت تضطلع بمسؤولياتها كاملة ، وتسعى مع زوجها لتحقيق سعادة بيتها ولا تعرف خادمة ولا سائقاً غير بيتها وشؤونه وشجونه ...

- أي بني ..

أعود ثانية إلى فقيهننا وكتابه والذي علمنا في أول يوم قابلناه فيه بالمسجد إلى كيفية مسح اللوح وإعداده للكتابة وأشار إلى ركن ملئ « بالعصى » التي أعدها من جريد النخيل لمن لم يسمع كلامه أو يتعدى

على غيره أو لم يحفظ ما يعطى من دروس .. وشاهدنا
 حبلاً معقلاً قتل من ليف النخل قد ربط طرفاه بجذع
 السقف وبقي متدلياً إلى قرب الأرض في آخر المسجد لا
 نعلم لماذا ولم يقل لنا شيئاً عنه ولم نعرف الهدف من
 تعليق ذلك الحبل إلا في يوم رأي الفقيه أن أحدنا
 يستحق عقاباً أكثر من ضربة بالعصا على ظهره أو في
 رأسه أو على يديه حيث أمر طالبين من كبارنا أجساماً
 وسناً بادخال رجلي من استحق العقاب في ذلك الحبل
 المتدلي وأمرهما بشد طرفي الحبل بعد تثبيت رجلي
 المعاقب به ثم أخذ جزاءه وعرفنا بعد ذلك أن هذه «
 فلكة» معلقة بالسقف وهي تختلف عن «الفلكة»
 الأخرى التي عرفناها فيما بعد والتي كانت عبارة عن
 عصا غليظة قد شقت في أواخر طرفيها وأدخل بهما
 حبل قوي وربط طرفاه ببعضهما ويتم إدخال رجل أو
 رجلي المعاقب بين الحبل والعصا الغليظة ثم يتم برم
 العصا الغليظة بواسطة اللذين يسكانها حتى تثبت بين
 العصا والحبل فلا يستطيع المعاقب الإفلات أثناء
 الضرب على بطن الرجلين الذي يقوم به الأستاذ الضارب

أو الفقيه إضافة إلى « مصع » الاذن والتأنيب والتوبيخ المباشر وغير المباشر . ومع كل هذا لم يخطر ببال أحدنا أن يتأخر عن الفقيه وكتابه لحظة من نهار خوفاً من عقابه .. وكنا نحترمه ونجله ونقدره ونقبل يده إذا قابلناه في أي مكان .. وبقدر ما يلاقي أحدنا من عقاب لديه كنا لا نجروء على إخبار أهلينا بذلك لأن إخبارهم يعرضنا لمساءلات جديدة وربما لعقاب جديد أقله مقابلة الوالد للفقيه وتأييده وإظهار مخالقات جديدة تحمسه على عقاب جديد ..

كان العقاب يا بني صارماً والخطأ لا يغتفر لدى الفقيه ونلاقي عليه أشد الجزاء ومع هذا لم نتعقد كما يدعى فلاسفة التربية الحديثة وكنا نسمع من كبارنا قولهم « بأن عصا الفقيه من الجنة » .. وإن « العصا لمن عصا » وإن « العلم لا يأتي إلا من رغبة أو من رهبة » والصغير على أي حال لا يطلب العلم من رغبة في ذاته .. إنها أقوال كثيرة نسمعها ولا مجال لمناقشتها حول عصا المعلم ومامرت به من أدوار وتطورات حتى ألغيت تماماً في زماننا هذا وما نتج عن إلغائها من تفاعلات

سائل

وتناقضات في عالم التربية والتعليم وما شهدنا من تجاوزات في تلك العصا وآثارها وما افرزته لنا تلك التجاوزات بين الإفراط والتفريط في عالم النشء وإعدادة واستقامته .. حتى رأينا تجاوزات لم تكن تصدق من بعض المعلمين وحتى سمعنا بصورة تدعو إلى السخرية من طالب اليوم وهو ينفث دخان « السيجارة » صاعداً إلى الهواء وهو يمر من أمام أستاذه في شارع عام قائلاً له : عوافي يا أبو عرب .. أو القوة يابو عزيز..

على أي حال يا بني لا أريد أن أدخل في تفاصيل هذا الباب في عالم التربية اليوم ولعل على أجد من الوقت ما يساعدني على نشر غسيل هذه القضية وأستعرض لك في رسالة قادمة أن شاء الله التطورات التي مرت بها « عصا » المعلم ابتداء من عصا الفقيه في كتابه إلى كراج الأستاذ في عنفوان شبابه إلى سلك الأستاذ « حمادة » في جيبه إلى ذوبان تلك العصا حتى تحولت إلى جعجعة بلا طحن وصارت بعض صحفنا مع الأسف تغالي في تهويل تلك الجعجعة وهي أبعد ما تكون عن واقع التربية والتعليم بين شبابنا ..

سائل

-أي بني..

لقد وعدتك في الرسالة الماضية أن أحدثك عن
بدايات التعليم عند الفقيه وكيف قرأنا « أبجد هوز
حطي .. كلمن ... سعفص قرشت ثخذ ضظع » وكيف
عرفنا التهجي ، وما هي القاعدة البغدادية ؟ ولكنني لم
أتمكن من ذلك في هذه الرسالة لدخولي بلا إرادة مني
في مواضيع أخرى هي في واقعها ذات صلة بما أنا فيه
فاعذرنني يا بني وإلى الرسالة القادمة لأشرح لك كل
ذلك والسلام ...



الرسالة الثالثة عشرة :

القاعدة البغدادية .. التهجي بطريقة أخرى

أبجد .. هوز .. حطي .. كلمه .. سعفص .. قرشت ..

تخذ .. منظر .. الحروف الأبجدية

❖ كانت متعتنا عقاب الفقيه لأحدنا بالفلكة ونحو

سامون .

❖ اللوح .. الحبر .. المحبرة .. قلم العوسج ..

المغرا الأبيض .

❖ (المدر) الخفضة .. الرفعة .. النصبة .. الجزمة

.. أشياء رافقتنا عند الفقيه .

أي بني :

كما أخبرتك في الرسالة الماضية .. لقد دخلنا نتعلم عند (الفقيه) الذي تبرع لتعليم صبيان القرية القراءة والكتابة يوم أن تأخر افتتاح مدرسة القرية في بداية السبعينات من القرن الماضي ، والذي رأيناه صارماً في قراراته متحمساً للتعليم وقد اتخذ مكان تعليم (كتابه) في مسجد من مساجد القرية قريباً من بيته ومن دكانه لأنه كان بجانب تعليمه لنا يمارس تجارة بسيطة في دكان ملاصقة للمسجد .

وأتيناه ونحن نتأبط ألواحاً للقراءة عليها لأننا لا نعرف الورق والدفاتر والأقلام وعندما اجتمعنا إليه في أول يوم بالمسجد جلسنا حلقة حوله على حصير من سعف النخل قد فرش به المسجد الذي سقفت نصف مساحته بالجريد وجذوع النخل وبنيت جدرانه باللبن والطين وتركت نصف مساحته حوشاً مكشوفاً محاطاً بجدار مبني كذلك باللبن والطين والمسجد باب واحد وكان سوره الخارجي لا يزيد عن المتر تقريباً ولكننا مع هذا لا نخرج ولا ندخل إلا مع ذلك الباب مع أننا في إمكاننا أن نقفز السور لنخرج من المسجد في حالة عدم

وجود الفقيه ولكننا لم نجرو على ارتكاب حماقة كهذه
لأن جريد النخل في ركن المسجد قد أعد لكل مخالف
لتعليماته .. وكنا نجد متعة كبيرة حينما يعاقب الفقيه
أحدنا ونحن سالمون .

المهم أننا يا بني جلسنا حوله بالمسجد على حصير
الخصف وألواحنا أماننا وأخذ من يومه يشرح لنا كيفية
مسح اللوح حيث أحضر (المغر) وهو حجر أبيض هش
يؤتي به من الجبل ويتم دقه في (الهوند) أو الهاون أو
المهراس حتى ينعم ثم ينخل ويتم عجنه بالماء حتى
يتماسك ثم يجرى تنشيفه حتى يكون في مثل قبضة
اليدين حيث يشكل وهو أخضر أي مبلول بالماء هكذا فإذا
ما جف تماماً وأراد أحدنا مسح اللوح بمعنى إزالة الكتابة
السابقة نثر الماء على وجه اللوح المكتوب وسير (المغر)
المعد على وجه اللوح بشيء من الدعك الخفيف فتذهب
الكتابة السابقة ويكتسب اللوح بياضاً جديداً ناصعاً
عندما يجف ثم يجرى تسطير اللوح في جانبه المبيض
الجديد بخطوط مستقيمة عرضية بدعك ورق (السن)
أو (العشرق) الأخضر على اللوح عرضياً لتترك خطوطاً
خضراء يكتب في وسطها الفقيه على اللوح بقلمه الذي

سائل

يتخذ من العوسج ويشكله حسب رغبته دقة ونحافة وقبضة كما أخبرتك سابقاً في رسالة ماضية .

يكتب الفقيه على اللوح بعود (العوسج) ويغط رأس قلمه هذا مع بداية كتابة كل كلمة في الحبر الذي لا يتعدى عن كونه مزيجاً من الغراء المأخوذ من الأشجار والفحم ورماد الخرق البالية وسواد القدر أو الصاج الذي يخبز عليه كما قلت لك سابقاً .

يكتب على تلك السطور بشئ كبير من المعاناة والتعب .. ويكتب لكل واحد منا في لوحه ما يراه مناسباً لمستواه التحصيلي ..

ولا أستطيع أن أصف لك يا بني مقدار تلك الفرحة التي يشعر بها أحدنا عندما يحفظ ما في اللوح جيداً بحفظ وتهج عن ظهر قلب ويسمع من الفقيه كلمة أو جملة (امسح اللوح) إنها فرحة لا تعادلها فرحة لأن في مسح اللوح متنفساً لنا لإطالة الوقت في المسح والتجفيف والتخطيط لذلك اللوح الكريم كما أن في مسح اللوح إنجازاً جديداً يرضي طموحنا في ذلك الوقت ويشبع ما بيننا من تنافس وسباق .

أي بني : وفي جلستنا حول الفقيه في ذلك اليوم

سرد لنا جزاه الله خيراً خطة عمله في تعليمنا والعقاب الذي ينتظره أحدنا إذا لم ينفذ تعليماته وأوامره وكانت الدراسة لديه على فترتين من الصباح إلى الظهر ومن بعد العصر إلى المغرب .

فعرفنا حروف الألف من (أليف . باء . تاء . إلى الياء) قراءة وحفظاً وكتابة .. أ . ب . ت وتهجينا الألف باء بالطريقة التالية حسب التنقيط.

أليف لا شيء عليه . الباء وحدة من تحت . التاء ثنتين من فوق . الثاء ثلاث من فوق . الجيم وحدة من تحت . الحاء لا شيء عليه . الخاء وحدة من فوق .. وهكذا بقية حروف الألف باء وننطق كلمة (وحدة) بفتح الواو وتشديد الحاء وفتح الدال .. بحيث يعرف عن طريق هذا التهجي الحرف المنقوط من غير المنقوط من حروف الألف باء إلى الياء وعدد النقط وموقعها هل هي تحت الحرف أم فوقه .

وعرفنا القاعدة البغدادية وتهجي حروفها مثل/أ.إ.أ. با . بي . بو . تا - . تي . تو . ثا . ثي . ثو . جا . جي . جو .. وهكذا مثل : أن . إن . أن . بن . بن . تن . تن . تن .

سائل

وعرفنا أبجد . هوز . حطي . كلمن . سعنفس .
قرشت ثخذ ضغط.

وتعلمنا كيف نفصل حروف أبجد . هوز : مثل :
أبجد أليف باء . جيم دال : هوز . هاء وواو زاي .
حطي/حاء طاء ياء . كلمن : كاف لام ميم . نون ،
سعنفس ، سين عين فاء صاد . قرشت : قاف راء شين
تاء . ثخذ : ثاء . خاء ذال . ضغط : ضاد ظه
غين/وهكذا .

وكنا نردد تهجيه معرفة تنقيط حروف الهجاء
وحروف أبجد هوز بتنغيم خاص وربما معاً أحياناً وكانت
أصواتنا عالية بها حتى حفظناها في وقت وجيز .
وبعد كل ذلك بدأنا في قراءة قصار السور حيث
يقوم الفقيه بكتابة السورة كاملة في اللوح وربما من
جهتيه مشكلة ونقوم بحفظها بتشكيلها وتهجيتها وكان
لكل منا السورة التي يقرؤها من لوحه وكم كان التنافس
بيننا شديداً في الحفظ والتهجي .. وكان الواحد منا يا
بني يجد مرارة وحرقة عندما يقف أمام الفقيه ويتعثر
في قراءته أو تهجيه ثم يقول له الفقيه لم تحفظ بعد
عاود الحفظ والتهجي مرة أخرى .

وقد لاقينا في التهجي الكثير من المتاعب حتى
 اتقناه وهو ليس كمثل تهجيكم في هذه الأيام إن الفتحة
 كنا نسميها نصبة والضممة نسميها رفعة والكسرة
 نسميها خفضة والسكون نسميها جزمة ويظهر أن
 تهجيننا السابق هو الأصل لأننا نقول للفاعل مرفوعاً
 وللمفعول منصوباً وللفاعل المضارع المسبوق بلم مجزوماً
 .. ولذاك أعتقد أن الضمة والفتحة والكسرة والسكون
 حديثة في التسمية لأن الأولين قد أخذوا من الرفع
 الرفعة ومن النصب النصبة ومن الجزم الجزمة في التهجي
 وهكذا ..
 أي بني :

أسرد عليك الآن كيف كنا نتهجى مثلاً (الحمد لله
 رب العالمين) عند الفقيه وقد سرنا بهذا التهجي حتى
 وصلنا سور (المجادلة) بحيث تحفظ السورة عن ظهر
 قلب ثم نحفظ تهجيتها كاملة مع الحفظ ونسمع كل ذلك
 أمام فقيها جزاه الله خيراً .

المهم أننا نتهجى (الحمد لله رب العالمين) هكذا :
 انصبأ . الزمل . حنصبحاء أمزَمَ دوا رفع دو (الحمد)
 لحفضلي اللاشدة ونصبه اللا . هخفضه (الله) .

رَنْصَبْرَ أَبْ شِدَّةً وَخَفَضَةً أَبْ (رب) أَنْصَبْ الزَّمْلُ
عَنْصَبَعٍ لَنْصَبِلَ مَخْفَضُمْ . أَيْزَمِي نَنْصَبِنَ (العالمين) ..
وهكذا بقية السورة .

وعندما نتهجى مثل (عم يتساءلون عن النبأ
العظيم)

نقول: عَنْصَبَعُ أَمَّا شِدَّةٌ وَنَصْبُهُ أَمَّا (عم) يَنْصَبُ يَا
تَنْصَبُ تَاءً سَاءً نَصَبٌ سَاءً أَنْصَباً لِرَفْعَلَوْ أَوْ زَمَوْ تَنْصَبُ نَا
(يتساءلون) عَنْصَبَعَا أَنْ زَمَنْ (عن) أَنْصَباً النَّاشِدَةُ
وَنَصْبُهُ أَنَا بَنْصَبُ بَاءً أَخْفَضُ إِ (النبأ) أَنْصَباً الزَّمْلُ
عَنْصَبَعٍ ظَفْخَضُ ظِي أَيْزَمِي مَخْفَضُمْ (العظيم) وهكذا يا
بني معاناة كنا نعشقها في التهجي ولأنني حفظتها في
الصغر بقيت طريقة التهجي هذه في ذهني وفي ذاكرتي
أرددها إلى اليوم رغم دراستي بعد ذلك بطريقة التهجي
التي تعلمت بها وزملاؤك .. بقيت طريقة التهجي
الأولى في ذهني بتفاصيلها رغم أنني لم أبق لدى الفقيه
في كتابه سوى سنة واحدة انتقلت بعدها إلى المدرسة
التي افتتحت في قريتنا وكان افتتاحها يوماً مشهوداً
أحدثك عنه في الرسالة القادمة .

الرسالة الرابعة عشرة :

❖ المطوع .. الفقيه .. املا .. الكتاب .. مسميات

طعم الصبيان بالمسجد ..

❖ ربع الريال الخاص بالفقيه الذي تحول إلى قنو

كبيره التمر ..

❖ الإصراف .. الإقلاية .. ربع الريال في يوم

الخميس .. طبخة البه مع هليلها .. الختمة

.. الزفة ..

❖ مسميات ومدلولات في دنيا الفقيه وطلابه .

❖ (يا الفقيه .. الله يغفر لك) .. أهزوجة منعمة

جماعية يسمعها المطوع في انصرافنا عصر

كل يوم .

أي بني :

في رسالتي السابقة إليك استعرضت لك جزءاً من تفاصيل دراستنا عند (الفقيه) الذي بذل جهداً كبيراً في تعليمنا بين جنبات ذلك المسجد المفروش ببسط سعف النخيل والواقع بجوار دكان الفقيه التي يمارس من خلالها تجارة بسيطة في تلك القرية الهادئة وكان يومه مقسماً إلى جزئين.

ففي الصباح كان يتفرغ لنا بالمسجد وفي العصر يبقى في الدكان ويطل علينا بين وقت وآخر ومن رغب في تسميع ما حفظ من لوحه يأتي إليه في الدكان ويسمع منه الفقيه ما حفظه ولكن الويل كل الويل له إن أتى إلى الدكان ولم يكن متأكداً من نفسه في الحفظ لأن العقاب سيكون مضاعفاً هكذا علمنا.. وهكذا تعودنا .

وعلى الرغم من أن فقيهننا لم يكن بيننا عصر كل يوم لانشغاله - كما قلت لك - في دكانه إلا أننا نبقي بالمسجد ولصوتنا تنغيم ودوى في الدراسة والحفظ كأنه بيننا وإذا ما أحس أحدنا أن زملاءه قد سبقوه في حفظ ما كتب لهم في ألواحهم أو أراد هو أن يتفوق عليهم عزل نفسه في ركن من أركان المسجد وولي وجهه إلى

جهة الجدار وكوم أمامه عدداً من الحصى قد تصل إلى خمسين حصاة صغيرة أو ستين وقام بترديد السورة المعطاة له في لوحه عدد ذلك الحصى إذ كلما قرأ السورة مرة أو تهجاها مرة وضع حصاة في جانب آخر من ذلك الكوم حتى ينتهي ضبطاً للعدد ليثبت أنه قد ردها أو قرأها خمسين مرة مثلاً دون أن يلتفت لأحد أو ينشغل بأى شاغل وكنا نجد أن فترة العصر التي لا يوجد فيها الفقيه بيننا هي أنسب الفترات للحفاظ بهذه الطريقة .

أي بني :

والفقيه في عمله هذا لتعليمنا لم يكن يتقاضى أجراً عليه وكل الذي يصله ربع ريال أو قيمته في كل يوم خميس .. لم يطلب منا أي شيء وإذا تأخر أحدنا في دفع ذلك الربع لا يلح عليه ويقبل مقابلته أي شيء من الحب أو التمر أو السمن وأذكر لك بهذه المناسبة أننا أتينا أنا وابن عم لي في يوم خميس إلى كتاب الفقيه ومع كل منا ربع ريال جديد ... وأقول جديداً لأنني أرى لمعان ذلك الربع في ذاكرتي إلى اليوم .. وفي طريقنا أغار علينا كلب كبير كان (يربض) بجوار بيت شعر أقامه أهله بجوار الطريق ليلاً لم نعلم عنه قبل ذلك

وافترسنا الكلب ورميناه بالأحجار وضربناه بالعصى
ورماه ابن عمي بربع رباله الذي كان معداً للفقير دون
شعور منه لأن الكلب فاجأنا وكاد أن يوقع بنا وبعد أن
ابتعدنا وانتهت المعركة بيننا وبين الكلب ندمنا كثيراً
على ذلك الربع الربال الذي ضاع أثناء حذف الكلب به
وكدنا نعاود المعركة مع الكلب من جديد من أجل البحث
عن ربع الربال ولكن شراسة الكلب وإصراره على
المقاومة والهجوم والفتك بنا وعدم قدرتنا على المقاومة
والبحث معاً في هذه المعركة غير المتكافئة جعلتنا
نيأس من البحث والحصول على ربع الربال الذي ضاع
وضمه الكلب إلى حماه بقوة منه وضعف منا .

بقينا حائرين في كيفية تدبير ربع الربال الذي لم
يتعود الفقيه منا تأخيريه أو المماطلة به ولو عاد ابن
عمي إلى أبيه للحصول على ربع ربال جديد لناله عقاب
آخر خشينا منه جميعاً لأن حجتنا في نظره واهية وربما
ظن بنا الظنون في إخفاء ذلك الربع .. واتجهنا إلى
كتاب الفقيه ونحن لا ندري ماذا نقول لأن مصابنا جلل
حسب تفكيرنا في ذلك الوقت .. وقبل وصولنا إلى
كتاب الفقيه رأينا أحد رجالات القرية يجد نخلاً له

فوقفنا أمامه طويلاً وسألنا عن غرضنا من وقوفنا بعطف ولين لصغر سننا فطلبنا منه أن (يشبرنا) من نخله و (الشبارة) بتشديد الشين المكسورة وفتح الباء هي عرف بين ذوي اليسار وغيرهم أثناء جداد النخل أو صرام الزرع يعطيه صاحب المال لمن يأتيه سائلاً أثناء عملية الجداد أو الصرام والحصد وكانت عادة متبعة لا يجد فيها الفقير حرجاً أن يطلب من صاحب المال تلك (الشبارة) كما أن صاحب المال يعطيها بنفس راضية وقلب محب للخير لما لها من بركة وغناء .

المهم أن صاحبنا استغرب من طلبنا (الشبارة) خاصة وهو يعرف أننا أهل تمر وأن لا حاجة بنا تدعو إلى ذلك ولكنه مع هذا لم يسألنا وناولنا بابتسامة رقيقة(قنوا) كبيراً لم نستطع حمله نحن جميعاً إلا بشق الأنفس فذهبنا بربع الريال الذي معي وبالقنو الكبير بدلاً من ربع الريال الذي حماه الكلب إلى الفقيه وسلمناه له ولم يسألنا عن أي شيء وكانت قصة لا تنسى رأيت أن تكون بين ثنايا رسالتي هذه لتري إلى أي مدى بلغت الطيبة والترابط والحب في ذلك المجتمع .. ولتري إلى أي مدى كان تصرف الصغار في ذلك الوقت .. ولتري

سائل

مدى القناعة التي كان يتحلى بها الفقيه حتى أن كثيراً من زملائنا ممن لا تمكنهم ظروف أهليهم من تسليم ربع الريال له كان لا يسألهم .. بل ويظهر أمامنا أنه قد استلم منهم ذلك مقدماً ويشعر الطلاب ذوي الإعسار أن آباءهم قد دفعوا له سابقاً ولا حاجة لطلب آبائهم أو استحصال الربع الريال المقرر منهم .

أي بني :

قال لنا الفقيه بأن هناك حفلاً كبيراً سوف نراه لكل واحد منا إذا تخرج من كتابه وكنا نتخيل ذلك الحفل الذي حدثنا عنه كثيراً ترغيباً لنا وحفزاً لسرعة الحفظ والدراسة والتحصيل وعرفنا فيما بعد أن الطالب في الكتاب بالمدينة يحتفي به مرتين الأولى عندما يتم سورة أو جزءاً من القرآن غيباً حيث يأتي والده ليستمع إلى قراءته ويقدم هدية للفقيه ويقوم بتوزيع الحلوى على بقية الطلاب حيث يعلن الشيخ أن هذا اليوم عطلة (صرفة) فرحاً بذلك وهذه يسمونها (الإصرافة) .

والأخرى والتي يسمونها (الإقلاية) تتم بعد تخرج الطالب من الكتاب أو إتمامه حفظ القرآن الكريم حيث يرتدي الطالب ملابسه ويحمل لوحة كتب عليها ما حققه

من نجاح ويسير وسط زملائه بملابسهم النظيفة عبر شوارع المدينة المنورة احتفاءً بهذا الطالب حتى يصلوا إلى داره فتوزع عليهم الحلوى وسكر النبات وتقام لهم وليمة كبيرة ابتهاجاً بذلك ويدعى لها جميع أقارب والد الطالب المحتفى به وجيرانه ويتقدم الجميع شيخ الكتاب وطلابه جميعهم للمشاركة في البهجة والسرور ولتشجيع الآخرين ليلغوا ما بلغه زميلهم من نجاح وتفوق .. والإصرافه والإقلاية وربع الريال في يوم الخميس كانت معروفة في جميع مدن الحجاز وكذلك مسمى الفقيه لمعلم الصبيان .

وفي نجد كان إمام المسجد (المطوع) وهذا لقب من يضطلع بالتعليم في كتابه بالمسجد وقد جرت العادة أن يقدم الطالب عند دخوله عند المطوع دخولية وهي شيء من الحنطة أو الشعير وفي كل خميس يأتي الطالب بقهوة (طبخة مع هيلها) وعند ختم القرآن يسلم له شيئاً من المال على قدر حالة ولي أمر الطالب وهذا بعد (الختمة) وهي احتفال شعبي للطالب الذي ينهي حفظ القرآن حيث يحمله زملاؤه على أعناقهم إلى منزله باهازيج معينة وهناك يتناولون الغداء أو العشاء ..

وفي المنطقة الشرقية أطلق لقب (الملا) على معلم الصبيان في الكتاب وحين التخرج من الكتاب ينتظم الشباب في احتفال يسمونه « الزفة » إلى بيت الطالب المتخرج حيث تقام وليمة بهذه المناسبة ...

وفي المنطقة الجنوبية كان مسمى (الفقيه) لمعلم الصبيان في الكتاب ومسمى (المطوع) في المناطق الشمالية بالملكة وكل التعليم كان في الألواح وتتشابه مراسم الاحتفال بالتخرج من الكتاب أو حفظ القرآن الكريم في جميع مناطق المملكة وإن اختلفت المسميات لذلك .

أي بني :

وعلى الرغم من أن التعليم في الكتاتيب كان مقصوراً وليس له تنظيم معين لأمر سوف اتعرض لها في رسالة قادمة إلا أنه قد حفظ لهذه البلاد بصيصاً من نور المعرفة قبل أن تستظل بهذا العهد الزاهر الذي أشرقت فيه شمس العلوم والمعارف على كل شبر من هذه الأرض .. وكان معلمو الكتاب لا ينظرون لما يتحصلون عليه من مكافآت .. بل كانوا يقومون بذلك ابتغاء الأجر والثوبة من الله ولكنهم كانوا يحظون بتقدير الناس واحترام طلابهم لهم .

سائل

أي بني :

معذرة فقد نسيت أن اذكر لك أننا عندما ننصرف
قرب مغرب كل يوم من كتاب فقيها تعلمنا أن نردد
معاً بصوت مرتفع بفرحة غامرة وحب كبير قولنا :
« يا الفقيه الله يغفر لك .. يا الفقيه الله يغفر لك
.. يا الفقيه الله يغفر لك » ..

ومعذرة مرة أخرى فسوف أخبرك عن ذلك اليوم
المشهد في تاريخ قريتنا في الرسالة القادمة والسلام ..



الرسالة الخامسة عشرة :

❖ كانت بلادنا قبل أن تسعد بمظلة الملك عبد العزيز تعيش حياة البؤس والجاهلية والجهلاء.

❖ في عام ١٣٧٣ هـ أنشئت وزارة المعارف وحظيت بشرف قيادة خادم الحرمين الشريفين لها وزيراً لأول وزارة للتعليم تنشأ بالمملكة العربية السعودية.

❖ يوم وجود المدرسة بالقرية كان يوماً مشهوداً في تاريخها بيه المؤيدي لها والمعاضدين مع سكان القرية.

❖ في بدايات التعليم احتادت الوزارة إرسال مفتش مع المدرسين عند افتتاح أي مدرسة جديدة في أي مكان بالمملكة.

❖ كانت الدولة تصرف الملاكات والدفاتر والكسوة للطلاب حتى يقبلوا على التعليم ويرغبوا فيه.

أي بني :

أكتب لك هذه الرسالة بعد مرور أكثر من خمسة وأربعين عاماً على افتتاح مدرسة قريننا التي افتتحت خلال سنة ١٣٧٤هـ وظروف افتتاحها في ذلك التاريخ لا تختلف عن ظروف غيرها من بقية المدارس التي حظيت قرى المملكة بافتتاح المدارس بها من السنوات الأولى لإنشاء وزارة المعارف التي تأسست في سنة ١٣٧٣هـ وحظيت بشرف قيادة خادم الحرمين الشريفين لها كوزير لأول وزارة للتعليم تنشأ في المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت .. واضطلعت الوزارة بإشراف وتوجيه وحكمة وزيرها بمسؤوليات افتتاح المدارس في القرى والهجر وأماكن تجمع البادية في حملة لم تشهد هذه البلاد مثيلاً لها لمحاربة الجهل والتخلف ..

وكما قلت لك في رسالة ماضية بأن سكان القرية في ذلك العهد لم يكن بعضهم راغباً في وجود المدرسة بالقرية لأمر وتعليقات عشعشت في أذهانهم من ركام الماضي ونتائج التخلف وإفرازات الجهل ..

وإلى جانب المعارضين لوجود المدرسة هناك فئة تؤيدها كل التأييد لإيمانها بأهميتها وضرورتها لبناء

الجيل وتثقيف شباب الأمة وكنا نحن الصغار نسمع في مجالس الكبار المجادلات والنقاشات بين المؤيدين والمعارضين ولكل حجته وبراهينه ، وكانت هذه الحجج تجدد رواجاً كبيراً عند العجائز من النساء اللاتي يحذرن كل التحذير من المدرسة ووجودها بالقرية ..

وكان كبير المؤيدين لوجود المدرسة بالقرية خال جدك يرحمه الله الذي قدم طلباً لإدارة التعليم شرح فيه ظروف القرية وحاجتها الماسة وتمت استجابة الوزارة لطلبه وأدرجت ميزانية المدرسة ضمن ميزانيات المدارس المفتوحة في سنة ١٣٧٤هـ وبينما كانت المناقشات على أشدها في مختلف مجالس رجالات القرية بين المؤيدين والمعارضين وفي صبيحة يوم من أيام شهر شعبان من ذلك العام وإذا بسيارة تمخر عباب الوادي حاملة بشرى المدرسة ومدرسيها وما تحتاجه من مستلزمات ضرورية. لقد أسقط في أيدي أهل القرية وذهلوا يومها لأن المدرسة أتت بقضها وقضيضها وصارت واقعاً ملموساً وعياناً بعد أن كانت خبراً وجدالاً .

وقد كان يوم وجود المدرسة يوماً مشهوداً في تاريخ القرية لأنه حدث جديد فيها يحدث لأول مرة في

تاريخها على مر العصور والأزمان وكان وجود المدرسة
فتحاً جديداً وبداية مرحلة جديدة للقرية وقاطنيها .

كانت قريرتنا يا بني تعيش في ظلام الجهل وهي
واحدة من آلاف القرى والهجر والبادي في هذه المملكة
الواسعة الأرجاء ..

وكان الرجل يسير بخطابه الذي يريد أن يرسله لأي
إنسان أو يريد أن يقرأه ويعرف ما كتب به عشرات
الأميال لا يجد من يقرأ أو يكتب له ذلك الخطاب لقلة
المتعلمين وتفشي الأمية بين الناس .. وكان المتبايعان
في البادية يسافران أياماً عديدة للبحث عن يوثق لهما
ما تبايعا عليه ومع تفشى الجهل بين الناس تألقت
الخرافة وانتشر السحر والدجل ووجد الشرك بالله سبحانه
وتعالى طريقة إلى نفوس بعض الناس وأفهامهم
فانتشرت وتكاثرت أماكن الضلال والشعوذة في كل
مكان .

إن الجهل يا بني إذا أطبق على أمة جعلها تعيش
عقلية التخلف وجعل منها عالماً آخر وأناساً آخرين
وكانت هذه البلاد بأجمعها قبل أن يكتب الله لها
السعادة بانضمامها تحت مظلة العهد السعودي الزاهر

سائل

تعيش حياة البؤس والجاهلية الجهلاء وسوف أبعث لك رسالة قادمة إن شاء الله عن الخرافات والشعوذة التي كانت منتشرة بين الناس قبل أن تعم المدارس أرجاء البلاد ويحمل الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود لواء العلم بجانب لواء جمع الشمل والتوحيد لهذه الأرض ..

أي بني :

أعود مرة أخرى إلى يوم مولد مدرستنا التي بمولدها ووجودها وجدت قرية أخرى غير قربتنا بالأمس .. وكما قلت لك آنفاً منذ اليوم الأول لوجود المدرسة ساد الهرج والمرج بين ربوع القرية وحجز كثير من أهالي القرية أبناءهم عنها حتى ييأس المفتش المنتدب لافتتاح المدرسة ويلغيها تماماً وكانت معتمدية المعارف وبعدها إدارة التعليم بالمدينة قد اعتادت أن ترسل مفتشاً يقوم بافتتاح المدرسة ويبقى أياماً حتى يطمئن إلى حسن سيرها ويذل ما يقابل افتتاحها من عقبات ومصاعب لأن الناس في ذلك الوقت ليسو على درجة من الوعي تؤهلهم للرغبة للعلم وطلبه خاصة في القرى والبادي وقد بذلت الدولة السعودية أعزها الله وزاد توفيقها

سائل

الشيء الكثير من أجل إقناع الناس بالعلم وبأهميته وكانت في يوم من الأيام تصرف مكافآت للطلاب الذين يدخلون المدارس ترغيباً لهم وتشجيعاً لأولياء أمورهم. نعم كانت تصرف مكافآت لكل طالب ينتظم بالمدرسة وقد استمرت تلك المكافآت سنوات عديدة كما كانت تتكفل بصرف الدفاتر و « المراسيم » أقلام الرصاص للطلاب بالمدارس .. بل كانت تصرف الكساوي و (الملابس) للطلاب والمدرسين .. كل ذلك من أجل إقناع الناس وترغيبهم في العلم والمعرفة ..

أي بني :

اجتمع الناس حول السيارة التي أتت بصعوبة جمة إلى القرية وكانت تقل على ظهرها مفتشاً ومدرسين اثنين ورزمة من الدفاتر والأقلام وبعض أجزاء المصحف الشريف وقليلاً من الطباشير وسبورتين وكان وجود السيارة في حد ذاته يعتبر حدثاً مهماً أكبر من حدث المدرسة نفسها لأن وصولها إلى القرية ووجودها فيها بلونها الأحمر وأرجلها الكبيرة وهديدها الذي أقلق سكان القرية ثم غرام سائقها (بالبوري) لإطلاق بوقها بين وقت وآخر بصوت يتردد صداه في أعماق الجبال

الساكنة وما ظهر به السائق من فتوة ومهارة كانت محل استغراب جميع المحيطين بالسيارة يومها وكانوا يسألون أنفسهم ويتساءلون فيما بينهم عن الكيفية التي يسيطر بها على هذا الجسم الغريب والكم الهائل من الحديد والأخشاب والعجلات وعن الشجاعة التي يقابل بها هدير السيارة وزمجرتها وتطويعها لما يرغبه هو لا ما تريده هي ...

إن كل ذلك قد جعل القرية رجالاً ونساء وشيماً وشباناً يحسون بتغير كبير وبوجود حدث هام في قريتهم له ما بعده .. وعندما اجتمع الناس حول السيارة سأل المفتش عن أمير القرية وعن الذي قدم طلب افتتاح المدرسة وطلب كذلك كبار رجالات القرية وتحدث إليهم عن المدرسة وأهميتها وضرورة وجود مكان لها تمارس فيه تعليمها للطلاب ...

وعندما أحس بإحجام البعض عن المدرسة وعدم رغبتهم فيها أكد لهم يومها بإصرار بأن المدرسة سوف تبقى ولو لم يدخلها أي طالب في القرية وكان هذا محل استشهاد للمعارضين نسجوا حوله خيالات لإقناع الناس بعدم إدخال أبنائهم إليها .

سائل

وبعد مشاورات عديدة بين المفتش وأمير القرية وكبار رجالاتها حول مكان المدرسة وتحديد المبنى الذي سوف يكون مقراً لها اتفق الرجال على أن تجعل المدرسة في غرفتين كانتا (زاوية) من الزوايا المنتشرة في القرية والتي كانت مواقع للخرافة والشعوذة وكان هذا أول دلائل التوفيق للمدرسة لهدم معاقل الجهل ونشر العلم .

لقد أحس المفتش المنتدب لافتتاح المدرسة بأن هذا الموقع كانت تمارس فيه خرافات وشعوذة وإن لم يبح له أحد به إلا أنه قد رغب فيه بعد إحساسه بذلك لأنه يا بني كان كبيراً في فهمه وإدراكه وبعد نظره فاستقرت المدرسة في الموقع وبدأت تمارس عملها بمدرسين اثنين فقط وسبورتين وبعض الدفاتر على بساط سعف النخل ومنذ تلك اللحظة تحول موقع الخرافة إلى مدرسة وانتهت معالم الشعوذة إلى غير رجعة .

أي بني :

في الرسالة القادمة أن شاء الله أحدثك عن الأيام الأولى للدراسة بمدرسة القرية وقصة التطعيم ضد الجدري الذي اعتبره البعض (وسماً) أي علامة تستدل بها الحكومة على أبناء المدرسة .. والسلام .

الرسالة السادسة عشرة :

❖ بدأنا أول يوم للدراسة بالمدرسة في زاوية مه زوايا
الشعوذة والخرافة بالقرية ..

❖ إنه بشرى هباء العلم وزوال الجهل بلك معانيه
ومفاهيمه .

❖ جلسنا للدراسة على حصير الخصف .. وجلس الأستاذ
على برميل صغير مقلوب جعل منه بمثابة الكرسي (بَدَأَ
.. كَتَبَ .. وَزَنَ) ..

❖ كلمتان عرفناها في اليوم الأول .. كما عرفنا السبورة
وأقلام الطباشير .. وأقلام الرصاص والصفارة وكيف
نستأذن لنشرب .. وكيف نقوم احتراماً للمعلم ..

أي بني :

افتتحت مدرسة القرية كما أخبرتك في الرسالة الماضية في غرفتين كانتا (زاوية) من زوايا الشعوذة التي كانت منتشرة بانتشار الجهل في مختلف القرى والهجر قبل أن تسعد بلادنا بظلال الدولة السعودية أعزها الله وبدأت تمارس رسالتها بقلّة قليلة من الطلاب لأن الغالبية العظمى في القرية كانت تشك في هذه المدرسة ولا تطمئن إلى تعليمها وتخشى أن تتبنى المدرسة أبناءهم ومن ثم تتسلط الحكومة عليهم وتأخذهم عنوة بواسطة هذه المدرسة وكان هذا اعتقاداً قديماً ترسب في أذهان الناس في مدن الحجاز وقراه من ركّام الماضي نتيجة لما مر بهذه البلاد من سنين عجاف ساد فيها الجهل وتفشي الفقر والمرض ومع هيمنة هذا الثالوث الخطير ضربت الخرافة أطنابها ووجد السحر والشعوذة الطريق سهلاً إلى النفوس فهيمنا على الإفهام والمدارك والعقول ..

أي بني :

في اليوم الأول الذي عرفنا فيه المدرسة وأجلسنا المفتش على حصير الخصف ووقف بجانبه مدرسا المدرسة

رأينا بيده إصبعاً أبيض قال لنا بأن اسمه (طباشير)
 ووجدنا أمامنا لوحاً كبيراً أوقف على رجلين وتم ركزه
 على الجدار وقالوا لنا بأن اسمه (سبورة) وعجبنا من
 كبره ومن لونه الأسود لأنه لا يقارب الألواح التي أتينا
 بها نحملها في أيدينا والتي تعود كل منا على أن
 يحمل لوحه بيده يقرأ منه منفرداً وكنا نظن بأن ذلك
 اللوح الكبير الأسود يتم مسحه (بالمغفر) الذي اعتدنا أن
 نمسح ألواحنا به وقلنا في أنفسنا كيف نستطيع أن نمسح
 هذا اللوح الكبير بيننا لنمسحه (بالمغفر) أو الماء
 وكيف يتم تجفيفه ؟ وكانت في نفوسنا أسئلة كثيرة
 حول ذلك اللوح ولكن المفتش قطع جميع تلك الاسئلة
 بكتابة (ب د أ) مُشكلة عليه بذلك الإصبع الأبيض الذي
 حمله بين أصابعه وبجانبيها كتب كلمة (وَزَنَ) وطلب منا
 قراءتها واحداً بعد الآخر فمن عرف القراءة منا ومن لم
 يعرف حيث حدد مكاناً للعارفين وآخر للآخرين وبهذا
 جرى تقسيمنا إلى فصلين في غرفتين متجاورتين نرى
 منهما بعضنا ونسمع جميع الأصوات والحركات التي
 تصدر من أي واحد منا وسلم كل مدرس فصلاً وسبورة
 وعدداً من أصابع الطباشير .. وسلم كلا منا دفترًا واحداً

سائل

ومرساماً (قلم رصاص) وطلب منا عدم اصطحاب ألواح الفقيه التي كنا نحملها إلى المدرسة مرة أخرى وعلمنا بأن هذا اللوح الكبير لنا جميعاً نقرأ منه ونكتب فيه وهو يغني عن جميع تلك الألواح ..

وقد استغربنا كثيراً من سرعة الكتابة على هذا اللوح الكبير وسرعة مسحة وإعادة الكتابة عليه مرة أخرى بالطباشير .. كما فرحنا أكثر بتلك الدفاتر التي أعطانا إياها والمراسيم التي علمنا كيف نستخدمها ونبري رأسها كما يفعل الفقيه بقلمه من أعواد العوسج الذي عرفناه والفنا مشاهدته ورأينا أن الفرق بين مراسيمنا التي كنا نكتب بها وقلم الفقيه أن هذه المراسيم أقلام الرصاص تحمل حبرها في جوفها وتنقص كلما كتبنا بها بينما قلم الفقيه (العوسجي) يرتوي بالحبر مع كتابة أول كل كلمة ويكلفه عناء خاصاً ولكنه لا ينقص سريعاً ولا يتآكل في أيام قليلة ..

ومع الساعة الأولى لافتتاح المدرسة رأينا المفتش يخرج من جيبه (صفارة) بعد أن وزعنا إلى فصلين وأرانا أياها وقال بأن صوتها علامة على دخول الحصة وخروجها وابتداء اليوم المدرسي وانتهائه وكان لصوتها

الذي ينطلق بنفخ المفتش فيها بين (براطمة) شفتيه رنة عجيبة في نفوسنا وأفهامنا لأننا في ذلك الوقت قبل أكثر من أربعين عاماً في قربتنا لا نعرف (الصفيرة) والصارفة وكنا نصفر بأيدينا بحيث نبسط الكف اليسرى ونضع عليه الكف اليمنى ونفتح ما بين السبابة والوسطى ونمد الإبهام ونضع هذين الكفين بطريقة خاصة تحت الشفة اليسرى ثم ننفخ بقوة داخل ذلك (المحقن) الذي كونه بأيدينا فيظهر الصغير قوياً مجلجلاً في الجبال هذه طريقة للتصفير لدينا وهناك طريقة أخرى وهى النفخ بطريقة خاصة داخل (الزغطة) الفارغة ليحدث التصفير والزغطة الفارغة يا بني هي (فشكة) أم خمس أو أم ركبة بعد تفريغها مما بها من بارود وتلك الفشكة هي السهم الذي ينطلق من البندق مدفوعاً بقوة الرمي والبارود وأم خمس وأم ركبة من أنواع البنادق .. وكانت الإشادة بها لا تقف عند حد حيث يقول شاعرهم فيها :

أم خمس الطيبة يابواردية
وأم ركبة من عطيبات الضرايب
والزغطة أو الفشكة التي أعنيها تشبه إلى حد

سائل

كبير سهام أو فشك الرشاش في أيامنا والطريقة الثالثة التي كنا نصفر بها هي جمع الشفتين بطريقة خاصة وإطلاق الهواء من خلالهما ليحدث الصفير وكان أحد زملائنا بارعاً في هذه الطريقة حيث كان يستخدم تصفيره بشفتيه لمسك العصافير مسكاً باليد فهو يدخل بين الأشجار والمزارع ثم يصفر للعصافير تصفيراً خاصاً ولديه قدرة عجيبة على الصبر والتأني ساعات طوالاً حتى يمسك العصفور الحذر مسكاً باليد .

ويحظى بإعجاب كل رفاقه ولكنه مقابل ذلك كان يبقى الساعات الطوال بين المزارع والأعشاب وهو يغني بتصفيره للعصافير التي تألف صوته وتميل إليه وتنسى أن المصفر (صياد) بارع للعصافير لا مغنياً لها أو شادياً بألحانها ..

وكنا نتودد إليه ليشركنا في العصافير التي يمسكها ويشويها أمامنا ليعطينا شيئاً منها أو جزءاً من لحمها اللذيذ..

نسيت ما أنا فيه مع ذكر (أم خمس) و(أم ركبة) و (الزغطة والفشكة) والتصفير ومسك العصافير وكذلك استرسلت في هذا غير أنني أعود إلى ما أنا مخبرك به

سائل

في هذه الرسالة وسوف أبعث لك برسالة مستقلة عن
البنادق ونوعياتها وأغراضها وأسمائها وما قيل فيها
من شعر يظهر مكانتها واعتزاز الأجداد بها في ماضي
الأيام ..

أعود فأقول بأن صغيرة أو صافرة المدرسة قد
أظهرها وأبان استخدامها مفتش المعارف منذ اليوم الأول
للمدرسة وكنا مع مرور الأيام نتمنى أن نصفر بها ولو
مرة واحدة لأنها تختلف عما ألفناه في قريتنا الصغيرة
.. وقد عرف أحد مدرسينا فيما بعد برغبتنا فكان من
وسائل تشجيعه لنا إعطاء من استحق التشجيع في
نظره الصافرة لكي يصفر يوماً كاملاً لدخول الحصة أو
خروجها وكنت أجمع كل نفسي داخل صدري لأطلقه
دفعة واحدة على تلك الصافرة ليكون صوتها عالياً
بصورة مزعجة ولكنه كان مصدر افتخار لي أمام
الآخرين.

وقد علمنا الاستاذ عندما نرغب في الذهاب لشرب
الماء أن يقبض الراغب أصابعه ويضمها إلى كفه ويضع
ذلك الكف الأيمن المقبوض على فمه ليعرف المدرس أنه
يرغب في شرب الماء فيسمح له أو لا يسمح ..

سائل

كما علمونا أن من يرغب أن يذهب إلى الخلاء أن يقبض أصابع يده اليمنى إلى كفه ويترك الخنصر ممدوداً رافعاً ذلك الكف أمامه أعلى من رأسه ليعرف الأستاذ أن ذلك يرغب أن (يشرب) بضم الياء وفتح الشين وكسر الراء المشددة وسكون الباء أو (يطير الشراب) أو (يزغل) بضم الياء وفتح الزين وكسر الغين المشددة وسكون اللام .

وهذه كنايات عن الرغبة في قضاء الحاجة كما كانت الفاظ متعارف عليها .. فعلمنا الأستاذ أن نقوم بتلك الإشارة بدون أي كلام يذكر وعندها يسمح لذلك الطالب أو لا يسمح .

وكم من طالب (بال على نفسه) نتيجة عدم اقتناع المدرس برغبته وعدم استطاعته التحدث مع الأستاذ وإلحاحه في تلك الرغبة ..

إنها إشارة فقط ، وقد حظر علينا أستاذنا عدم تكرارها في حالة عدم السماح منه سامحه الله وغفر له ..

ومن يستطيع أن يتجرأ على مخالفة أمره مهما كانت الظروف والأسباب !!
لقد مكث مفتش المعارف ثلاثة أيام افتتح خلالها

المدرسة واطمأن على الدراسة وكانت شخصيته قوية وقراره نافذاً وله سلطة أحسنا بها نحن الصغار وهو يتحدث إلى رجال القرية وإلى مدرسي المدرسة وكان سنه وخبرته وما أعطى من سلطة تؤهله للأمر والنهي وفوق سلطته وشخصيته كانت له مرونة عجيبة في تقبل الآراء وسماع حديث كل متحدث والتصرف في المواقف بناءً على ما تمليه المصلحة العامة ويفرضه العمل ومداخله المختلفة ..

حقاً يا بني كان الموجه في تلك الأيام موجهاً بكل ما تعنيه الكلمة سناً وخبرة ومعرفة وعقلاً وبعد نظر ورغبة في صالح المجموع وأداء للأمانة وإحساساً بالمسؤولية .. كان موجهاً فعلاً في تلك الأيام وإن سمي مفتشاً ولذلك برزت أسماء للموجهين التربويين الذين ساهموا في مسار العملية التربوية لدينا مع بداياتها الأولى وقد حفرت أسماءهم في أذهان الناس وتاريخ التعليم لإخلاصهم الذي امتازوا به وحرصهم على أداء ما حملوا به من أمانة وما اضطلعوا به من مسؤوليات رغم المضاعب التي واجهوها والمتاعب التي تكبدوها ..

أي بني : اطلت حديثي إليك في هذه الرسالة ولدي تكملة له في الرسالة القادمة والسلام .

الرسالة السابعة عشرة :

❖ جريد النخل .. الفلّة .. الحبس في المدرسة .. الحنفية
وبزوزها .. مخزن الفئران بالمدرسة ..
❖ آباؤنا قالوا للمدرسيه : اللحم لكم .. والعظام لنا ..
وقالوا لنا : إن عصا الأستاذ ذو الفقيه من الجنة ..
❖ كنا نعد القرص في الأذن حتى يخرج الدم من المعلم
دحابة وملاطفة ..

أي بني :

كما أخبرتك في الرسالة الماضية عن افتتاح المدرسة وبقاء مفتش المعارف ثلاثة أيام بها مشرفاً عليها ومطمئناً على حسن سيرها .. وكنا نراه خلال الثلاثة الايام نائب الكتابة دائم الحركة كثير التحدث إلى مدرسي المدرسة الاثنين ورأيناه مع فراش المدرسة يحمل قرية الماء ويساعده على تفريغ مائها في تلك « الحنفية » الكبيرة التي أتت ضمن أثاث المدرسة وكنا يومها لا نعرف الحنفيات وقد عجبنا من كبرها وهي تسع خمس قرب وتعطى عطاءها للشاربين من خلال « يزوزها » أو « كباسها » السفلي وهي مغطاة لاتصل إليها الأيدي ..

كنا نظن في ذلك الوقت بأن ذلك المفتش وبناء على ما رأيناه من حرصه على المدرسة وسرعة حركته وحديثه إلى المدرسين ومساءلته للفراش الوحيد للمدرسة بأنه هو صاحب المدرسة الراعي لشؤونها المسؤول عن سيرها وقد أحسسنا ميلاً إليه لحديثه وملاطفته لنا وسرعة استجابته وتقبله لرغباتنا وحديثنا وكم حزنا عليه يوم أن أتينا في رابع أيام ميلاد المدرسة فلم نجده ..

وأخبرنا الأستاذ بأنه قد سافر وأحسنا أيضاً أن سفره قد جلب إلينا متاعب جديدة عندما برز أستاذنا مهدداً متوعداً الذين لا يسمعون حديثه أولاً يطيعون أوامره ولا يحفظون الدروس ..

وأشار مع تهديده ووعيده إلى « رزمة » من عصى جريد النخل قد كلف أحدنا بإحضارها .. أشار إلى تلك العصى التي فعلت بنا الأفاعيل فيما تبع ذلك من أيام .. كما برزت أمامنا « الفلكة » المتحضرة عن فلكة فقيهننا ذات الحبل المعلق في سقف المسجد .. برزت هذه الفلكة ذات العصى الغليظة المثقوبة في طرفيها اللذين يتصلان بحبل قوي مزدوج يزيد طوله عن طول تلك العصى ورأينا قوة تلك « الفلكة » وأحد زملائنا يتلوى ورجلاه قد أدخلتا في ذلك الحبل وجرى برم عصى الفلكة حتى شدت الرجلين بين الحبل وبينها وهوت سياط الاستاذ على تلك الرجلين ضرباً حتى تكسرت تلك العصى وتقاطر الدم منها بصورة مفزعة .. كل ذلك من أجل أن زميلنا لم يكتب سورة الفلق لسبب أو لآخر .. وكانت كتابتها عشرين مرة واجباً من واجبات المنزل التي كلفنا بها الاستاذ حفظه الله وأطال عمره ..

سؤال

لقد رضينا يومها على الفقيه وعقابه « وفلكته »
وتأسفنا كثيراً على تركه وترك كتابه وكنا نتمنى أن
نعود إليه مرة أخرى ولكن كيف يكون هذا وقد أغلق
كتاباه بافتتاح المدرسة؟! وكيف يكون هذا والعقاب
الأليم لمن تخلف عن المدرسة ولو حصة واحدة لا يوماً
كاملاً؟! .

لقد كان المدرسون مع إخلاصهم وحرصهم ورغبتهم
في إفادة طلابهم يقسون علينا كثيراً وكان الضرب هو
وسيلة العقاب الأولى لديهم وقد شاهدنا ألواناً من
العقاب البدني الذي بقيت آثاره في أقدام بعضنا إلى
اليوم .. ولذلك كنا لا نترك واجباً ولا نتخلى عن حفظ
ما أمر الاستاذ بحفظه من دروس .. فالواحد منا مهما
كان صغيره لا يمكن أن يعفى من العقاب المقرر الذي
يقرره الاستاذ مسبقاً منذ بداية إعطاء الواجب حيث
يعلن بأن من لم يحفظ كذا أو لم يكتب كذا وكذا فإن
جزاءه كذا من العصى على اليد أو كذا من العصى في
الفلكة .. وقد وجدنا بأن جميع الأعداء بما فيها المرض
لا يعفى من ذلك العقاب .. ومن هنا اتقدت عبقرياتنا
وشحذنا أفكارنا وكنا في سباق عجيب من أجل المعرفة

لا رغبة فيها ولكن رهبة من عصي الأستاذ التي شاهد
أباؤنا آثارها في أرجلنا وأيدينا وظهورنا فقالوا لنا بكل
بساطة بأن عصي الأستاذ مثل عصي الفقيه .. ولهذا
وأمام تلك المقولة التي تعارف عليها الناس لا يجروء أي
واحد منا على أن يخبر والده بضرب الأستاذ له لأن ذلك
ربما يعرضه لضرب جديد أو لمساءلات جديدة تسبب
بعض المتاعب وبعض العتاب الجديد الذي ربما يناله ..
وبجانب الضرب الذي كان جميع جيلنا في ذلك
الوقت يتعرض له كوسيلة هامة من وسائل التربية كان
بعض المدرسين يعمد إلى حبس الطلاب في المدرسة
بحيث يفرض عليهم عقاباً بعدم خروجهم من المدرسة في
ذلك اليوم عند انصراف الطلاب ويتركهم بالمدرسة مغلقاً
عليهم بابها إلى قرب العصر أو إلى المغرب ثم يأتي
ليفرج عنهم وهناك عقاب حبس أشد وهو حبس الطلاب
المراد عقابهم بغرفة أو مخزن بالمدرسة حتى الساعة التي
يقررها المدرس لانتهاء المحكومية ومع ذلك ربما خوفهم
المدرس أيضاً بوجود « فئران » في ذلك المخزن أو
المستودع زيادة في العقاب أو في تهويله .
وأذكر لك يا بني قصة زميلنا الذي حبسه الأستاذ

سؤال

بالمدرسة أو بالأحرى في غرفة صغيرة جداً بها تستخدم
مخزناً لحفظ بعض الأشياء في المدرسة وانصرفنا ورأينا
زميلنا يواجه عقابه لعدم حفظه لما طلبه المدرس منه
وأغلقت المدرسة وانصرف كل من بها من الطلاب
والمدرسين والخدم ورأى زميلنا أن وقت الغداء قد حان
وإذا ذهب وقت الغداء ولم يأت إلى البيت فإنه سوف لن
يجد غداءً حيث قد تعودنا في ذلك الوقت بأن من لم
يأت وقت الغداء فإنه لن يترك له شيء منه وسوف يجد
حجراً في القدر عقاباً له على تأخيره وعدم اهتمامه
ولذلك كنا نحرص على عدم الغياب في أوقات تقديم
الأكل مهما كانت الظروف والأسباب لأن من فات عليه
الأكل في وقت تقديمه فسوف لن يجد ما يأكله وليست
لدينا نقود نشترى بها ولو كانت لدينا وذلك محال فأننا
لن نجد حلوى أو بسكويتات نشترىها ونأكلها عوضاً عن
غداء أو عشاء أو حتى التمر عندما يعطي إياه فإنه لن
يتوفر في كل الأوقات ولذلك كله فإن وجبات الأكل
لدينا محسوبة ونعد لها ألف حساب وحساب ..

المهم أن زميلنا رأى أن وقت الغداء قد حان وهو
جائع وفرض عليه حبس بالمدرسة وقد يستمر حبسه إلى

المغرب فدبر طريقة للخروج من الغرفة وقفز من على جدار المدرسة وذهب إلى البيت وحضر وجبة الغداء وأخذ نصيبه منه وبعدها عاد ثانية إلى مكان حبسه بالمدرسة وبقي فيه وكأن شيئاً لم يكن .. أما الأستاذ فقد كان عازماً على إبقاء زميلنا ساعة بعد انصراف الطلاب ثم يأتي إليه ليخرجه من سجنه بالمدرسة ولكنه نسي كل ذلك عندما ذهب إلى بيته وقرب المغرب وعندما خرج المدرس استعداداً للصلاة قابل في طريقه أحد عمال والد زميلنا وهو يعرفه فتذكر سجنه بالمدرسة وأخذ يعتذر لذلك العامل ليوصل اعتذاره إلى والد الطالب بنسيانه وعدم تذكره وحسه لزميلنا إلى ذلك الوقت وأوضح أنه كان عازماً على عقابه لمدة ساعة واحدة بعد انتهاء المدرسة ثم يفرج عنه ولكن العامل فاجأ الأستاذ بخبر الغداء وأكد له بأن زميلنا قد تناول وجبة الغداء مع والده وإخوانه ولا يعلمون عن حبسه بالمدرسة شيئاً ولم يخبرهم بذلك فذهب المدرس إلى المدرسة ووجد سجنه بها في مكانه متظاهراً بالبراءة والجوع وأدرك المدرس خطأه على الفور ولكنه طلب من زميلنا تفاصيل القضية فاخبره بها كاملة ، فعفى عنه وفي الغد طيب خاطره

ببعض الدعابة والإشادة أمام زملائه على تحسن دراسته واهتمامه بالواجب وطلب منه عدم تكرار ومخالفة أوامر المدرسين وكأنه بذلك يكفر عن الخطأ الذي ارتكبه بالأمس ويعد في داخل نفسه بعدم تكراره ..

أرأيت يا بني كيف كان المدرسون يعاقبون الطلاب لقد رأينا صوراً شتى من قسوة مدرسينا في عقابهم فالضرب كان يسير على قاعدة مقولة أولياء أمورنا على لسان واحد في القرية أو المدينة للمدرسين « اللحم لك والعظم لي » بمعنى لا تتوان في العقاب الذي تراه غير أنك لا تكسر عظماً ولا تفقأ عيناً ولا تكسر سناً وما عداه لك أن تفعل ما تشاء ولذلك كان الحبس بالمدرسة وعلقة الفلكة ورأينا رزم العصي وشاهدنا برق « الخيزرانة » وحفيف « الشواحط » الذي نقع في الماء وتثني وصارت لديه مناعة ضد الكسر وتفنن المدرسون في مفاجآت الكف ضرباً به كما تفنن آخرون بوضع المرسام بين أصبعي الطالب المعاقب والضغط عليها بصورة مؤلمة جداً كما كان التوقيف خارج الفصل لساعات طويلة قد تستغرق ثلاث حصص أو خمس حصص من وسائل العقاب التي ألفناها ورأينا طلاباً

يقفون على رجل واحدة مدة من الزمن حتى يسقط الطالب المعاقب وآخرين يقفون ووجوههم إلى الجدار وهناك من المدرسين من يعمد إلى إيقاف الطالب المعاقب رافعاً يده أو يديه إلى الأعلى وربما حمله عليهما شيئاً لإنهاكه وسرعة إتيابه .

أما القرص في الاذن حتى يخرج الدم فهذه دعابة لا نعلها شيئاً وأقسى عقاب رأيناه وتسبب في العديد من المشاكل أمر الاستاذ الطالب بضرب زميله كفاً أو أمره بتعليق حبل في ثوب أحد الطلاب كناية عن غيابه أي أنه غبي لا يفهم ..

أي بذه : صور شتى من أنواع العقاب المدرسي تعرض له جيلنا في السبعينات الهجرية من القرن الماضي ساقني الحديث في هذه الرسالة إلى تعدادها لا تشنيعاً بمدرسينا رحم الله من مات منهم وأدام الصحة والعافية على الأحياء وإنما لتري وجيلك القسوة التي لاقيناها من أولئك المدرسين ولكنها كانت قسوة مصلحة فيها الإخلاص عنواناً والرجولة مطلباً والرغبة في التعليم والإصلاح غاية سامية يسعى إليها الجميع .. كان المدرس قدوة في سلوكه وعمله ورجلاً في أخلاقياته

سائل

وتعامله .. وكان ينظر إلى من حوله من الطلاب على أنهم ابناؤه يربيهم ويعلمهم .. فهو يعمد أولاً إلى تربيتهم على السلوكيات والأخلاقيات التي ينشدها فيهم ثم يعلمهم بعد ذلك .

لم يحس الطالب ولا ولي أمره تدنى المدرس عن منزلته الإصلاحية التي وضع نفسه فيها ونذر حياته لها ولذلك أطلق له كامل التصرف فخرج نتاجه جيلاً ناضجاً لم يتعقد كما يدعى علماء النفس والتربية اليوم .. جيل يعرف موقعه ويتحمل مسؤولياته ويعرف قيمة العلم ومقدار العلماء ..

معذرة يا بني : لقد سار بي حديثي إليك في الرسالة هذه عن العقاب في المدرسة أيام دراستنا .. وقد كنت أرغب الحديث إليك عن أشياء أخرى ولكن قصة زميلنا صاحب الغداء قد جرت ما بعدها فإلى اللقاء في الرسالة القادمة .. والسلام ..

الرسالة الثامنة عشرة :

❖ منه استطال الطريق .. قصر مشيه .. العيبة مليئة ..
والجذاب لا يزال بحزامه والحسك هو الأقرب إلى
العطاء ..

❖ الأسلت .. الحقو .. النسعة .. العشة .. الأطناب ..
الحميض .. العتر .. الخريط ..

(أسماء في دنيا الحياة البدوية)

أي بني :

أكتب لك هذه الرسالة وقد تمثلت أمامي ثلاث
 عقبات تؤثر بطريق أو بآخر في سير انتظام رسائلي
 إليك وأحياناً قد تغير ملامح الصورة الجميلة إلى صورة
 لا أريها لأنها تهز الرسالة أحياناً وتجعلها في ثوب
 غير ثوبها وفي ملامح غير ملامحها التي قصدت
 إخراجها فيها وأولى تلك العقبات أو المنغصات على
 الأصح وإن لم تكن أهمها استعجالك ورفاقك في معرفة
 كل ما أردت نقله إليك وإفادتك به في هذه الرسالة
 والمحاحك غير المنظم في السؤال ومعرفة الأشياء من
 جانب واحد أو من جوانب ضيقة وهذه الطريقة يا بني لا
 تنقل واقعاً ولا تشفي غليلاً ولا تحقق هدفاً وإن كنت
 أعذرك وجيالك بعض الشيء في هذا لأن عصركم عصر
 السرعة والسرعة التي اتخذها هذا العصر شعاراً له كم
 حققت من فوائد جمة في مجالات الاتصال والمواصلات
 وغيرها وكم جرت من ويلات على الأفراد والأسر
 والشعوب في مجالات كثيرة يصعب حصرها أو
 استقصاؤها ..

المهم يا بني أن تعرف أن (من استطال الطريق

قصر مشية) كما يقول مثلنا العربي فلا تستعجل وتنقل إلى رغبات زملائك المختلفة لأحدثكم عن مجال دون آخر لأن هناك آخرين يرغبون الحديث في غير ما ترغبون أنتم ويميلون إلى غير ما تهوون وتحبون وبهذه المناسبة أقول : أعان الله منسقي برامج التليفزيون لأنهم يحاولون أن يرضوا جميع فئات المجتمع وطبقاته بما يعرضه التليفزيون خلال ساعات بثه وهم يبذلون جهوداً مضنية بحذر شديد من أجل تلك الغاية ومع كل ذلك تنهال عليهم وإن لم يسمعوا أكوام الشتائم لأن كل فئة من فئات المجتمع تميل إلى ما يناسب ذوقها واتجاهاتها وتنسى أن فئات أخرى من البشر يقفون بجانبهم أو في الجهة المقابلة وينادون بغير ما ينادى به هؤلاء وتجد مع كل فئة (متفلسفين) قد حشروا في أفهامهم وحفظوا دون وعى عشرات الأدلة والبراهين (المقلوبة) بصحة وجهة نظرهم وصواب آرائهم ولو طلب منهم القيام بالدور لتغيرت مواقفهم أو لعجزوا عن الثبات والمساهمة لقلّة محصولهم فيما نذروا أنفسهم للتفلسف فيه في (المجالس والديوانيات والبشكات والطلعات) ولم يكن التليفزيون وحده في هذا الميدان ولكنني ضربت به المثل

والإفهنأك العءءء من مءالاء الءءاة المءصلة بمءاهءر
البشر الءء ءءءلف ءولها الآراء ووءهءاء النظر وءنبرى
فلاسفة عصرنا ىقولون ما لءءهم وىلون أعناق العباراء
والءمل الكبىرة والأمءلة المءفوظة فى عىر ما وعى أو
إءراك أو نظرة شاملء مءعقلاء .

أى بنى :

لقد اسءرسلء فىاءء آءر ولكنه ذو صلة
بموضوعانا لأننى قد رسمء لرسائلى هءه إىلك ولءىلك
كما آءبرءك سابقاً منءجاً قوامه الصءق فىما آءب
ولعلك ءلاءظ أننى أءعمء فى هءه الرسائلى مزء الءارىء
بالءراء بالءربىة وأقءم كل ءلك فى صور ملونة
ءسءهوك لءعش معها مسءنشقاء عبىر الماضى بمسمىاءه
كما أعدءه الأءءاء وءعارفوا عىله وألفوه وبمرور الزمن
وأشراقاء عصر (الفىءىو والءلفىزىون والكمبىوئر وءكلم
الءءىء وقرب البعىء) صاءء ءلك المسمىاء بمءلولاءها
وظروف ءسمىاءها غربىة عىلك وعلى ءىلك ، ومن هنا
راءىء ءسءىلها فى رسائلى إىلك هءه لأنها ءزء من
ءرائنا الءى عاش به ومعه آءءاءنا فى ءلو الءءاة ومرها
وآءار أن ءسءعءلنى أو ءءاول أن ءوءهنى إىلى ما ءرىء

أنت أو تستخف بشيء مما اكتبه إليك لأن في ذلك
 عقوقاً لأرضاه منك في حقي وفي حق آبائك وأجدادك
 ثم في حق الآخرين الذين قد يفسرونها أنانية ممقوته منك
 لأن لهم حقوقاً في نقل شيء مما يرغبونه في رسائلي
 إليك وهم شركاء معك في الرسائل وما تحمله من عبق
 الماضي وضياء الحاضر وإشراقات المستقبل .

أي بني :

إنني أصور لك تاريخاً مفعماً بتراث وتربية ولا
 أزال في بداية الطريق وهو طويل جداً فلا تستعجلني ولا
 ترهقني ما لا أحتمل لأن أباك قد اضطلع بمسؤولية كبيرة
 جداً ولا تزال « العيبة » مليئة بشتى صور الماضي
 العادية والملونة للتعليم وملابساته وللأرض وما يخرج
 منها من بقول وأثمار وما رساها من جبال شوامخ
 وصخور صلبة ونشاط الإنسان والحيوان معاً على هذه
 الأرض (فالعيبة) مليئة والجراب لا يزال بحزامه
 و(الحسكل) هو الذي أنقط منه عليك في الرسائل
 الماضية.. وحتى أكفيك مؤونة السؤال عن العيبة بفتح
 العين وسكون الياء وفتح الباء أوضح بأنها وعاء كبير
 جداً يتخذ من جلد الماشية يتم خرز أطرافه بعد معالجته

ودبغه وغالباً ما يكون من جلد الإبل لكبره وتحمله
 وكانوا يتخذون تلك وعاء أطلقوا عليه اسم العيبة وهو
 أشبه ما يكون بمخزن كبير يحفظ به كل شيء والعيبة
 أخت العدة إلا أن العدة قد تكون أصغر منها وتتخذ
 من صوف الماشية والعدة بكسر العين وسكون الدال
 وفتح اللام أكبر من الصفة بكسر الصاد المشددة
 وسكون الفاء وفتح النون .. والصفة هي الأخرى يتم
 غزل مادتها من صوف الماشية وتتم حياكتها بطريقة
 خاصة وتكون بألوان جذابة وتتخذ مستودعاً للزاد
 والأغراض على ظهور الإبل في السفر والترحال من
 الجهتين وقد توصل بأهداب صوفية حمراء وسوداء تتدلى
 على جانبي ظهر الذلول مما يبعث الفخر والاعتزاز في
 نفس راكب الذلول وهو يتربع على ظهرها .. والصفة
 هذه يسميها بعضهم (المزودة) بكسر الميم وسكون الزاء
 وكسر الواو وفتح الدال لأن زاد الراكب يوضع بها
 فاتخذت من ذلك اسماً لدى بعضهم .

أما الجراب الذي قلت لك بأنه لا يزال بحزامه فهو
 أيضاً وعاء كبير بحجم جرم الحروف الكبير وقد يكون
 أطول منه وهو يتخذ من الجلد أيضاً بعد دبغه وتتم

خرازته من جميع جوانبه ويجعل له فم صغير يوكأ به أو يربط على ما بداخله من زاد لأن الجراب لا يوضع به عادة إلا ما يؤكل وإذا ملئ الجراب وتم وكأؤه كان حمله ثقيلاً لأنه يسع كما كبيراً من الحب أو الدقيق ولا مقارنة بين الجراب والحسكل لأن الجراب كبير كما أخبرتك إلا أنهما جميعاً من الجلد والحسكل بكسر الحاء وسكون السين وكسر الكاف وسكون اللام صغير جداً ولا يوضع به إلا أشياء خفيفة كالنقود مثلاً أو حبات من التمر أو كيس الدخان والغليون لشاربي الدخان وعادة يجمل الحسكل في أطرافه بشيء من زركشة الرصاص الصغير أو تلوين الجلد ويعلقه حامله على نفسه بسير يصنع خصيصاً به ألوان الزركشة ويتم تعليقه على حامله بحيث يكون السير في طرف الرقبة والحسكل تحت اليد اليسرى (خلف خلاف) لمن يفهمها ويغلق الحسكل بسيور توضع على فمه بحيث إذا شدت انغلق الفم على ما فيه بطريقة سريعة سهلة وكان ذلك الحسكل رقيقاً ملازماً لبادية الحجاز لأنه كان يتخذ بمثابة المحفظة ومثله في الملازمة لبادية الحجاز (الحقو) أو النسعة كما يسميها بعضهم . والحقو بسكون اللام وفتح الحاء وضم

رسائل

القاف وسكون الواو حبل طويل مجدول من الجلد رهيف
جداً يلفه الرجل في وسطه تحت الثوب أو فوقه قد يصل
طوله خمسة أمتار ويتخذه الرجل والمرأة صغيراً أو كبيراً
حزاماً للوسط وقد يطلق بعضهم على حقو المرأة اسم
النسعة تمييزاً له على ما يستعمله الرجل وكانوا يعيبون
بعض الشيء من لم يتمنطق بذلك الحقو ويزعمون أنه
يشد الصلب ويقوي الظهر ومن لم يلبس ذلك الحقو
يسمونه (أسلت) هكذا بفتح الألف وسكون السين وفتح
اللام وسكون التاء .

أى بني :

كما قلت لك في أول الرسالة أن العيبة مليئة
والجراب لا يزال بحزامه فلا تستعجل علي ولا تقاطعني
وسوف أنقل لك ولجليلك تاريخاً وتراثاً من واقع القرية
والمدينة والهجرة ولمختلف مناحي الحياة وسوف أنقلك من
خلال هذه الرسائل إلى ظلال النخيل وأسمعك حفيف
الهواء داخل العشة وبين أطناب بيوت الشعر وأصعد بك
إلى الطيرمة والدقيسي وأخذ بيدك بين جنبات (دبل)
العين وفلجها وأريك صورتك في ماء الغدير الصافي
وأسمعك صدى صوتك في ذلك الوادي السحيق

الشامخة جباله الخرازة مياهه المغردة أطيّاره ..
 سوف أذيقك طعم الحُمِيضُ والعتر والخريط واعطر
 أنفك بشذى البشام الذي يقطر بيلساناً وبأزهار الخزامى
 ونوار وأزهار السدر والسلم والكتاد والسمر وقت الربيع
 .. وسوف أمر بك على عطار الحارة لتري اليانسون
 والصبر والحلتيت والخفان ودم الأختين وأريك مراكز
 شيوخ البنائين والنجارين والسقائين في الحارة أيضاً ..
 أشياء كثيرة وصور مشعة سوف تنقلها لك ولزملائك
 هذه الرسائل وكل الذي أرجوه ألا تستعجلوا علي كما
 أسلفت وأن تتوسطوا لدى النساخ لضبط الكلمات
 وكتابتها خالية من الاخطاء الإملائية والنحوية التي
 كثيراً ما أزعجتني والتي لولا احتفاظي بصور ما أكتب
 لشككت في نفسي وفي مقدرتي . ولكنني مع ذلك أثق
 في وعيك ووعي زملائك لفهم ما قلبته المطبعة أو أكل
 بعضه لسانها لكثرة ما أعد أمامها وأثق أنك لا تشك
 في مقدرة أبيك للتمييز بين الضارب والمضروب بين
 عمرو وسعيد .. والسلام ..

الرسالة التاسعة عشرة :

❖ التطعيم عند الجدي (وسم) لمعرفة طلاب المدرسة ..

سجيب الفار .. عزل صحي بدائي ..

❖ في عهد الدولة السعودية تعمق الوعي بكل مفاهيمه

ومعانيه حتى شمل كافة فئات المجتمع ..

❖ الصعوط .. الكبوس .. التمرخ .. العظابة .. الجبر الكي

بالنار .. الحجة .. الحمية .. الفصد .. الحجامة

أساسيات الطب الشعبي ..

أي بني :

بالأمس تلقت والدتك اتصالاً هاتفياً من مستوصف الحي ومفاد من ذلك الاتصال رغبة المستوصف في تسجيل وزن أختك الصغيرة وإثبات ذلك في الملف الصحي وتأكيد المستوصف بسرعة إحضار الصغيرة لوزنها وعلى الرغم من محاولاتي لأقناع أمك بأن هذا ليس ضرورياً ولا يحتاج لعجلة من الأمر إلا أنها أصرت على سرعة مراجعة المستوصف لإكمال الملف وتعبئة جميع حقوله وبياناته مع أنها كما تعلم يا بني لا تقرأ ولا تكتب ولكن الوعي الصحي قد بلغ مبلغاً عظيماً في أفهام الناس وعقولهم وعندها حمدت الله كثيراً وشكرته سبحانه ثلاث مرات أولها لاهتمام المسؤولين عن الصحة ومتابعتهم ليكون الملف الصحي يضم جميع المعلومات عن كل فرد في أي أسرة مما يساعد في علاجه وتشخيص ما يتعرض له من أمراض وثانيها توفر العلاج والفحص والمتابعة من المستوصفات والمستشفيات لدينا مجاناً وسعي الدولة الحثيث أيدها الله على توفير كل ما يحقق الصحة والسلامة للمواطن في أي مكان بهذه الأرض وأي جزء من أجزاء وطننا

الحبيب وثالثها ذلك الوعي الذي عم بلادنا وعلى
مستوى مختلف طبقات المجتمع لدينا وأعنى به هنا
الوعي الصحي وهو الذي جعل والدتك وجدتك يحفظهما
الله تلحان كل الإلحاح لسرعة وزن أختك الصغيرة
وإثبات وزنها في الملف الصحي بالمستوصف على أثر
اتصال المستوصف بالمنزل .

إن جدتك يا بني التي حاولت بشتى الوسائل قبل
أربعين عاماً عدم دخولي المدرسة في القرية وحاولت عدم
ذهابي إلى مدرسة القرية يوم أن بدأت الحكة ترسل
حملاتها الصحية لتطعيم طلاب المدارس ضد الجدري هي
اليوم التي رفعت عصاها عليّ حائلة أن أذهب بأختك
إلى المستوصف لا لعلاجها بل لوزنها .. فانظر كيف
تحول ذلك المفهوم وانظر كيف بلغ الوعي خلال هذه المدة
التي لا تعتبر طويلة في دنيا الامم وحضاراتها ..

أي بني..

وتسألني لماذا لم ترغب جدتك قبل خمسة وأربعين
عاماً أن أذهب إلى المدرسة في يوم وصول حملة التطعيم
ضد الجدري في القرية ؟ أقول :
إن جدتك يا بني واحدة من مئات الجدات والامهات

والآباء الذين خيمت على أفكارهم ترسبات الماضي التي تناقلها الآباء عن الأجداد من أن المدارس في عهود حكومات سابقة قبل عهد هذه الدولة السعودية الميمون تجعل من المدارس وسيلة لأخذ الأبناء وتجهيزهم في الجيش ليكونوا عسكرياً بالقوة ولذلك كان الناس حذرين من المدارس ولا يطمنون لها خاصة وإن لهم تجارب مرّت في المدينة المنورة إبان « سفر برلك » وما قبله وما تبعه من أحداث ..

ولعلي في رسالة قادمة أتعرض لقضية « سفر برلك » وما قبله وما تبعه من أحداث .. في مجتمع المدينة وقاسي منها في يوم من الأيام وما كان لتلك القضية من دور في شتات مجتمع المدينة وضياعه وهلاك بعض أفرادها .

ولذلك عندما فتحت المدرسة في قريتنا عارضها أقوام من كبار رجال القرية ونادوا بأن الدراسة عند الفقهاء والكتاب هي الأساس وهي الجانب الذي يطمأن إليه ووقف على الجانب الآخر آخرون يصححون الأفهام وينادون بأهمية المدرسة ودورها وحرص الدولة على نشر العلم والثقافة والوعي لا لشيء إلا لتبديد دياجير

الظلام ومحو الأمية وسحق الجهل بمختلف مفاهيمه وألوانه وسارت مدرسة القرية على رغم المعارضين الذين بذلوا جهوداً في محاولة إقناع من استطاعوا عليه وكانت معارضتهم لا تتعدى محاولات الإقناع والتقليل من شأن المدارس وخطورة استمرار الأبناء بها لأن أبناء المدارس هم الذين سوف تأخذهم الدولة عنوة وتعسكرهم وتقطع أهلهم منهم وهذا ما حاولوا تركيزه في أفهام الناس يومها .. ولا أنسى يا بني ذلك اليوم الذي غدونا فيه إلى المدرسة كعادتنا كل صباح ووجدنا سيارة أمام باب المدرسة ومعها فريق تطعيم ضد الجدري وانتشر خبر هذا بسرعة عجيبة في طول القرية وعرضها فانسل كثير من الآباء إلى جوار المدرسة ليصطحبوا أبناءهم معهم تاركين فريق التطعيم والمدرسة وكل شؤونها لأنهم لا يرغبون في ذلك التطعيم لما ترسب في قلوبهم من أن التطعيم لا يزيد عن كونه « وسماً » علامة تعرف بها الحكومة أبناء المدرسة وهذا ما أكدته معارضة المدرسة لهم واتخذوه برهاناً لصحة ادعائهم .. وقام فريق التطعيم بدوره وجرى استدعاء أولياء الأمور وقام مدير المدرسة يومها جزاه الله خيراً بدور كبير في التوعية

سائل

لرجال القرية لتبيان أهمية التطعيم ودوره في الوقاية من ذلك المرض الخطير وحرص الدولة على كل مواطن وحبها له ورغبتها في حياته المستقرة وأمنه وأمانه وعندها ذهب كثير من الالباء الذين اغلقوا ابواب المخازن علي ابنائهم هرباً من التطعيم و «الوسم» فأحضرهم وتم تطعيمهم وبقي أثر ذلك التطعيم في عضد كل منهم إلى اليوم .. وأقول الوسم لما تعارف عليه الاعراب من أن كل أثر يبقى يسمى وسماً .

أي بني :

هذه صورة من صور افهامنا قبل خمسة وأربعين عاماً استعرضتها وذكرتها لجدتك يوم أن حملت عصاها على لسرعة الاستجابة لمستوصف الحي لوزن أختك الصغيرة وهي التي حاولت أن تخفيني عن التطعيم ضد الجدري قبل خمسة وأربعين عاماً .. وعليك أن تقارن بين الموقفين وأن تتصور مدى النقلة الحضارية التي عشناها خلال هذه الفترة في كل المجالات فالحمد لله رب العالمين .

أما الجدري يا بني الذي بادرت الدولة أعزها الله أن تحصن ابناءها منه منذ البدايات الأولى لنشر مظلتها

الوارفة علي هذه الأرض فقد كان من الأمراض الخطرة التي تعتبر طاعونا لبني البشر وهو من الأمراض المعدية التي تكتسح الناس وتفنيهم بإرادة الله سبحانه وتعالى وهو إن لم يمت فإنه يعمى الأبصار ويصم الآذان وقد يقطع النسل ويشوه الوجوه ولذلك عانى منه إنسان هذه الجزيرة الويلات قرونا عديدة ولا تزال آثاره في ضحاياه الأحياء إلى اليوم .

وكان المصاب بالجدرى في كثير من جهات البادية لدينا يبني له ذووه « زرباً » في شعب من الجبل ويتركونه فيه ولا يأتيه بطعامه أو ما يصفه الاطباء الشعبيون لديهم إلا « العتيق » من هذا المرض .. أما الآخرون فإنهم يهربون منه خشية العدوى لأنهم يعرفونه ويعرفون ويلاته ومصائبه وسرعة انتشاره ويبقى في ذلك « الزرب » يلاقي مصيره إما الموت وإما العتق من ذلك المرض بعاهة غالباً وهو عزل صحي على لغة عصرنا ولكنه عزل قاس وعزلة مميتة نسأل الله العافية .

و« الزرب » الذي كانوا يبنونه لمريض الجدرى أو للميت أو لعدد من الموتى في المناطق الجبلية هو عبارة عن كهف يختارونه في شعب من الجبل ويبنون جهاته

سائل

التي لاتحدها صخور أو حجارة .. يبنون تلك الجهات بالحجر المطابق ويتركون لمريض الجدري فتحة صغيرة يتناول منها غذاءه ودواءه حتى يموت فتغلق تلك الفتحة عليه أو يعيش فيخرج منها أما الموتى فإن جميع الجهات تبني عليهم بالحجر المطابق بإحكام وذلك الزرب يعتبر هو القبر لكل أولئك.

أما ما يدعونه بالعتيق من مرض الجدري فهو ذلك الإنسان الذي يصيبه المرض ثم ينجيه الله منه فيبرأ بعده ولذلك يقوم عتيق الجدري بتطبيب المصابين لأنه لا يصيبه مرة أخرى بإرادة الله سبحانه وتعالى .

أي بني..

كانت الأمراض تفتك بالناس ولا يوجد مصحات ولا مستشفيات ولذا كان «الصعوط» و « الكبوس» و « التمرخ» و « العظابة» و « الجبر» و « الكي بالنار» و « الحجة» و « الحمية» و « الفصد» اساسيات الطب الشعبي وعرف الناس « الصقرق» و«المكوى» و « الجبارة» و « المحجام» وغيرها كثير في التطبيب وسوف أتعرض لها في رسالتي القادمة والسلام .

الرسالة العشرون:

❖ التالوث الخطير الذي كان يسيطر على هذه الأرض قبل
عهد الملك عبد العزيز..



❖ الفقر والجهل والمرض جعل الأمة لا تعرف لها هوية ولا
للحياة قيمة ومعنى..

❖ كان ألم الضرب داهية دهياء..

❖ خمسة الرأس بالكي.. الصعوط بماء البصل..

أي بني..

قلت لك في الرسالة الماضية بأن الأمراض كانت تفتك بالناس حيث لا يوجد مستشفيات ولا مصحات قبل أن تستظل بلادنا بهذا الظل الوارف الذي أضفاه عليها جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله .. كانت الامراض يا بني أحد أضلاع الثالوث الخطير الذي إذا أطبق على أمة جعلها في عداد الموتى .. وجعل أفرادها يسировن كالأشباح لا يعرفون لذواتهم هوية ولا لحياتهم قيمة .. إنه ثالوث الفقر والخوف والمرض فالأمراض إذا ابتليت بها الامة وكانت مواردها قاصرة عن تجهيزات الوقاية أو العلاج منها أحالت حياة الناس إلى جحيم لا يطاق نسأل الله العافية فما بالك إذا عاثت الأمراض وصاحبها الجوع وخيم عليها الخوف ؟!

تصور يا بني أسرة لديها مريض أو مريض واحد لا تجد له علاجاً وهو يعاني من ويلات المرض وآلامه وهذه الأسرة جائعة لا يجد أفرادها قوت يومهم ويتعالى صراخ أطفالها من الجوع « الكافر » كما يقولون وفوق ذلك يخيم عليها شبح الخوف من الأعداء والصوص وطلاب الثأر .. كيف تكون الحياة فيها وأين الاستقرار بل أي

سائل

طعم يكون حياة كهذه ؟! ولذلك جمع الحديث الشريف
الذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام « من أمسى آمناً
في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فقد حيزت له
الدنيا بحذافيرها » أو كما قال عليه أفضل الصلاة
والسلام .. جمع هذا الحديث قوام الحياة ومعناها لأن
أضلاع المثلث السابق الذكر الفقر والخوف والمرض
يقابلها أضلاع المثلث أو الثالث الآخر وهو المشرق الذي
يعطى للحياة طعماً ومذاقاً خاصاً ألا وهو العافية
والغني والأمان .. وهو ما تعيشه اليوم أنت وجيلك
ونعيشه نحن جميعاً في هذه البلاد السعيدة وهي نعمة
تستوجب منا الشكر لأن بالشكر تدوم النعم وبكفرانها
تزول وتحل نقمة الله وغضبه نسأله العافية ..

أي بني ..

لقد ذاق أجدادنا ويلات الأمراض التي كانت تحل
عليهم وأعنى بأجدادنا ذلك الجيل الذي عانى من الحياة
أيام الفقر في هذه الأرض قبل أن تعرف ذاتها وتتوحد
كلمتها ويجتمع شملها تحت قيادة ذلك العبقري الفذ
الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود الذي
انقذها مما كانت غارقة فيه وانتشلها مما كانت عائمة في

سائل

متهاته بأرادة الله سبحانه وتعالى الذي هياه وأعانه
لإنقاذها وأراد لها الخير به لتعيش حياة الاستقرار
والرفاهية والحياة الكريمة ..

ذاق أجدادنا وأمهاتنا الشئ الكثير من عدم وجود
المستشفيات والمصحات وصارت للتجارب الشخصية في
التطبيب أسواق رائجة ووجدت متهات الشعوذة
المجالات الرحبة للتصديق بها والإيمان يتراهاها و
« خزعلاتها » وعساني لا أنسى أن أكتب في رسالة
أخرى لك عن الشعوذة التي كانت سائدة لدينا
للاستشفاء من الأمراض وجلب الرزق والبعد عن طوابع
النحس ..

المهم دعني أكتب لك في هذه الرسالة عن الطب
لدينا حاضرة وبادية قبل أن ننعم بما نحن فيه من نعمة
وارفة الظلال .. ولا تسألني عن صحة التطبب بما أنقل
لك أي لا تسألني مثلاً إذا قلت لك بأنهم كانوا
يستعملون « الحرمل » لوجع المفاصل هل هذا صحيح
بأنه يفيد من ذلك ؟ ولا تقل لي كيف يستعملونه ؟
لأنني أنقل لك ولجيلك ما رأيته وما سمعته من كبار
السن وكبيراته يوم أن أجبرتهم ظروف الحياة وقلة

الأطباء وانعدام المستشفيات على تناقل ما يتعاطونه
 من علاجات شعبية قد تضر أكثر مما تنفع وقد قمت
 وتعجل بالهلاك بارادة الله عز وجل فأنا يا بني أنقل لك
 بعضاً مما رأيته وسمعته في مجال التطيب والعلاج
 لتذكيرك وجيلك بل وتذكير الجميع بالنعمة التي
 يعيشونها والحياة التي يرفلون بها .

أي بني..

كان وجع الضرس داهية دهياء علينا لأنه ينغص
 الحياة ويقلق الإنسان وقد شاهدت العديد من المعارك من
 طرفين أحدهما فرد واحد هو صاحب الضرس المتألم
 والطرف الآخر مجموعة من الرجال الأشداء الذين
 « يبركون » على صاحب الضرس ويمسكونه جميعاً على
 الأرض ويأتي أحدهم « بالزرادية » ويسمونها الكلبتين
 ويمسك بالضرس وسط تلك المعركة الحامية لخلعة
 فيتعالى الصياح والعيول وتسيل الدماء وقد ينكسر
 الضرس وقد يغمى على صاحبه وقد يعض صاحب
 الضرس آخر عضة موجعة وقد يكون نزيف يضر بصاحب
 الضرس أيضاً وهكذا .. فأين هذا من إبرة « البنج »
 والجلوس على كرسي مريح في غرفة مكيفة؟! ..

وآلام الرأس الموجعة قبل حبوب « البندول »
و« الاسبرين » وغيرها في المسكنات كانوا يعالجونها
بالصعوط» والصعوط هذا مجموعة أدوية تخلط
بالسمن وتوضع في « الصقرق » هكذا اسمه في بادية
الحجاز وحاضرتها وهو إناء معدني بيضاوي الشكل
محدب له جانب ممتد قد هبى ليناسب مع الدخول في كل
فتحة من الأنف فإذا خلطت الادوية المعدة ومزجت
بالسمن على النار وجرى تبريدها في « الصقرق » نفسه
استلقى المريض إن كان كبيراً مدركاً طالباً للعلاج وقام
آخر بصعوطه أي إدخال هذا الصعوط في أنفيه واحدا
بعد الآخر فتغورق عيننا المعالج وقد يصعق من قوة ألم
وحارة ذلك الصعوط .. وكم عانيت من ذلك الصعوط
يا بني حيث كانت جدتك يحفظها الله تؤمن به وتتخذه
علاجاً لجميع الأمراض وكنت أخفى عنها ما أعاني في
كثير من الحالات من صعوطها حتى كرهت رؤية الصقرق
والسماع به وكانوا يخوفون الاطفال الصغار به فإذا ما
صاح الطفل أو طلب شيئاً لا يمكن تحقيقه هددوه
بالصقرق وبمجرد ما يقولون « هاتوا الصقرق » يسكت
الطفل لأنه يعرف الصقرق وما ينتج عنه .. وقد

أصعطتني جدتك يوماً بماء البصل على أثر ألم في رأسي طال معي فاحضرت بصلة ودقتها في «الهاون» أو الهوند ثم عصرت البصلة المدقوقة في شاش فتكون ماء البصل ووضعت ذلك الماء في الصقرق وتم اصعاطي به وكان صعوطاً لا أنساه ما حييت لأن رأسي كاد أن ينقسم نصفين من حرارة ماء البصل في رأسي .

وكما قلت لك بأن الكبير المدرك يستلقي على رأسه أثناء عملية الصعوط أما نحن الاطفال والشباب المتهرين عن صعوط الجدات والامهات فيجري استدراجنا على غفلة ويخفى عنا الصقرق وما به من صعوط حتى إذا ما قبضوا علينا طرحونا أرضاً وقامت المصعطة أو المصعط إن كان رجلاً وهو الذي يقوم بعملية الصعوط بوضع رجليه على يدي الطفل حتى لا يقاوم بيديه ويجري تثبيت الرأس وإدخال « ثعلوب » الصقرق وهو طرفه المعد للدخول في الانف .. أدخل «الثعلوب» في الأنف وسال الصعوط إلى داخل الانف واحداً بعد الآخر ولا يبالون بصراخ الطفل و « فرفسته » و «مرامحة رجليه» لأن رأسه مثبت ولذلك ولعامل المباغته والخدعة معنا نحن الاطفال يومها كنا نشك كثيراً إذا ما

أحسنا بلين في الكلام و«دحلسة» من أهلينا أي ملاطفة لاننا نعرف أن وراء ذلك إما الصقرق وإما المكوى المخفي عن أعيننا أو «الكبوس» في العيون إذا ما أصيبت بمرض أو ظهر بها رمد .

والكبوس هو الآخر مصدر خوف لنا كبير يوم أن كنا أطفالاً والكبوس كما قلت ليس كبوس عصركم في فرفصة العظام وتطبيق المفاصل بل كبوس العيون حيث كانت الجدات يقمن بعلاج عيون الأطفال وحتى الكبار بالكبوس هذا وهو استلقاء المصاب وفتح عينه وذر شيء من الدواء مثل « التشممة » بتشديد التاء المسكورة وسكون الشين وفتح الميم .. وذر شيء من هذا في داخل العين المصابة .. وهذا يسمونه « كبوساً » وقد يضعون في العين حب الرشاد وكان أمهاتنا يحظرن علينا القيام أو الحركة أو فتح العين « المكبوسة » بعد تلك العملية حتى ننام ونصبح فلانرى شيئاً لأن الدواء قد أغلق جفني العين على بعضهما فنصبح وبعد وقت يتم تغسيل العين وكم من مضاعفات نتجت عن عملية الكبوس هذا وكم من مضاعفات أخرى تصل إلى حد فقدان البصر نتجت عن عملية « الغمرة » بسكون اللام وضم الغين وسكون

الميم وفتح الرء وهي خلط مجموعة من الأدوية على النار ووضعها على العين وهي حارة وربطها فترة من الزمن وكذلك بالاكتحال وأشهر أنواع الكحل « الأثمء » وهو حجر أسوء يءق و« يسحن » سحناء حتى يصير ناعماً جداً ويوضع في المكحلة وهي زجاجة صغيرة . . يوضع بها الكحل ويوضع بداخلها أو يعلق بطرفها « المرود » بسكون اللام وكسر الميم وسكون الرء وفتح الواو وسكون الءال . . والاكتحال هو إءخال المرود في المكحلة المليئة بالكحل ثم اءخاله بين جفني كل عين ليصل إليهما ما علق بالمرود من كحل عدة مرات وهكذا . . والكحل أو الاكتحال من السنة وقد أءركنا آباءنا وكل واحد منهم مكحلته تطوي داخل فراشة الذي ينام عليه لكي يكتحل منها ليلياً .

أي بني.

أقف هنا في هذه الرسالة وسوف أحدثك في الرسالة القادمة عن عجوز رأيتها تحلب الحمارة . . والسلام ...

الرسالة الحادية والعشرون :

الحرمل ... العشرق ... السنا ...

عجوز ... تحلب الحمارة ...

منقوع السنا والحرمل وأثرهما في الاستشفاء

قديماً ..

أي بني :

وتسألني عن (الحرمل) ؟ الذي ورد اسمه في رسالتي الماضية إليك والذي قلت لك عنه بأنهم كانوا في الماضي يستعملونه علاجاً لآلام المفاصل ووجع الظهر وتقلصات المعدة وهو يابني ليس الحومل بل (الحرمل) ولكن الناسخ سامحه الله أبدل الراء واوا فانقلب المعنى وصار اسما جديدا سألني عنه الكثيرون ..

والحرمل جمع حرملة وهي نبتة برية تنبت غالبا في الأودية و « مفائض » السيول لاشوك لها وأوراقها مرة جداً وكان الجدات والأمهات يتخذن من الحرمل هذا علاجاً للعديد من الأمراض وشجرتها لاتكبر كثيراً وإن كانت تعمر وتصبر على العطش ... وقد أدركت عجائز قبل أربعين عاماً يتواصين باستعمال الحرمل ويتداركن أطفالهن به صباح كل يوم حيث تضع الواحدة منهن الحرمل هذا مدقوقاً في صرة وفي الصباح الباكر تضع تلك الصرة في ماء حار جداً فتعصرها وتسقيها

لأطفالها واحدا بعد الآخر وقد كانت جدتك يحفظها الله
 من أولئك اللاتي يؤمن بالحرمل وقد استطاعت بعد
 معاناة شديدة معنا أنا وعمك يحفظه الله أن تجعلنا
 ندمن بلغة عصركم على شرب الحرمل كل صباح فترة
 طويلة من الزمن ولا تزال مرارته في فمي إلى يومنا هذا
 أتذكرها وأحس بطعمها كلما رأيت شجيرة الحرمل هنا
 أو هناك ..

ولاتسألني عن فائدة ذلك لأنني كما قلت لم تكن
 لدينا مستشفيات أو مصحات وكان الناس يتناقلون
 فيما بينهم ما جريه الآخرون وقد يفيد وقد يضر ضررا
 بالغاً يزيد من مضاعفات المرض وآلامه لأن الأمراض
 تختلف وظروف وقدرات الناس ومواجهتهم تختلف
 كذلك ..

وإذا ذكر الحرمل يذكر بجانبه أيضاً « السنا »
 ويسمونه السنا المكي وشجيرة السنا هي الأخرى تنبت
 في منابت شجيرة الحرمل وتطول وورقها يشبه ورق

الحرمل إلا أنه أصغر منه قليلا وأرق وأقل اخضراراً
وتخرج حبا كثر لها وكنا نأكله إذا نضج حيث يمتاز
بطعم خاص نجد حلاوته والتسلية (بنقرشته) كما
تتسلون اليوم (بالفصفص) حيث كان (فصفصنا)
في تلك الأيام . حب السنا وحب العشرق الذي يشبه
كثيرا السنا في شجرته وثمرته ولو أن العشرق اغرق في
الخضرة وحبه أكبر من حب النسا .

وثمرة شجيرة السنا وشجيرة العشرق كما قلت لك
إذا نضجت في أقماعها كانتا ملهاة للرعاة جمع راعٍ
وهو الذي يرعى البهم أو الغنم أو الابل حيث يتسلى بها
ويتلذذ بطعمها وأكثر ما تلهي أو تنسى رعاة (البهم)
لأن الذين يرعون البهم الأطفال عادة من الأولاد
والبنات .

والبهم يابني صغار الماعز ويطلق عليهم
(السخالي) جمع سخلة وهي الجفرة الصغيرة المولودة
حديثا والتي لم يمض على ولادتها أكثر من شهرين إلى

ثلاثة أشهر ولذلك ورد في الاثر عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته لعامل الزكاة (اعتد عليهم بالسخلة ولا تأخذها منهم) أي عد السخلة لتكملة نصاب الزكاة على من وجبت عليه ولا تأخذ السخلة تلك للزكاة .. أي من نصيب الزكاة .

أي بني :

أعود مرة أخرى إلى السنا وهو السنا المكي كما يقولون ولاوجه لتسميته بالمكي إلا أنه ربما كان نبته في مكة أكثر من غيرها أما هو فينبت في جميع (مفائض) السيول كما قلت لك وكانو يتخذون من ورقه علاجا للعديد من الأمراض بعد إضافته إلى أدوية أخرى يعرفها العطارون حتى يوم الناس هذا وأشهر ما عرف السنا أنه يتخذ شربة مسهلة حيث كانوا يضيفونه إلى عدد من العلاجات يخلطها العطارون ويطلقون عليها « المنقوعة » يجرى « تنقيعها في ماء » أي وضعها في ماء بعد غليها إلى الصباح ويشرب الماء بعد تصفيته

وقد جربتها مرة قبل خمسة وعشرين عاما فكدت أهلك
لرائحتها التي لم أستطع تحملها ولما سببته من متاعب
لي بعد ذلك .

أما العشرق فكانوا يدقون أوراقه أو يغلوونها
ويخلطونها ببعض الأدوية (ويمرخون) بها بعض المرضى
.. وقد أخذ شاعرنا العربي البدوي في صحرائه من
العشرق هذا أجمل ماسمع يوم أن هبت الريح على واد
به عشرق قد يبس حبه داخل عناقيده فاتسعت أقماع
الحب ووجدت كل حبة فضاء داخل قمعها فتحركت
بداخله مع هبوب الرياح حركة ذات جلجلة « مموسقة »
استرعت انتباهه فطرب لها ووصف بها حلي (هريرة)
محبوبته التي يقول فيها :

ودع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعا أيها الرجل

غراء فرعاء مصقول عوارضها

تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الرجل

إلى أن يقول :

تسمع للهِلِّي وسواسا اذا انصرفت

كما استعان بريح عشرق زجل

إنه صاحب المعلقة الشاعر الكبير الأعشى ميمون بن
قيس شاعر اليمامة .

أي بني :

لقد كان للحرمل والعشرق والسنا وغيرها من بقية
الأعشاب دور كبير في التطبيب لدينا حاضرة وبادية
قبل أن ننعم بهذا الخير الكثير الذي نعيشه في هذا
العهد الزاهر والذي عمت فيه المستشفيات
والمستوصفات كل أنحاء بلادنا السعيدة والتي أولتها
الدولة أعزها الله كل عنايتها واهتمامها فسعد المواطن
ووجد العناية بها التي تعالج أمراضه وتخفف آلامه
 بإرادة الله سبحانه وتعالى .. وصار صداع الرأس يعالج
 ببعض الحبوب من الاسبرين والبندول وغيرها بدلا من
(خمسة) رأسه بالكي وخومسة الرأس من البديهات

التي كنا نشاهدها وهي كي الرأس بخمس كيات اثنتان فوق الأذنين واثنتان في مقدمة الرأس وخلفه وواحدة في وسط الرأس من أعلى ولمواقع تلك الكيات مقاسات بالشبر والفتر والقفلة ودعني يا بني أبين لك معني الشبر ومعني الفتر والقفلة لأنني أثق أنك لاتعرفها وإن سكت خجلا وحياء أو خوفا مني لعتابي لك يوم أن سألتني عن السخلة التي مر ذكرها فالذراع كانوا يقيسون به المسافات قبل مجئ المتر والياردة والكيلو هو المسافة من الكوع إلى نهاية الأصبع الوسطى والشبر هو المسافة بين الإبهام والخنصر مع بسط الأصابع إلى نهايتها والفتر وهو المسافة بين الإبهام والسبابة مع بسط الأصابع أيضا إلى نهايتها والقفلة هي عرض الاصبعين السبابة الوسط .

أي بني :

كدت أنسى أن أذكرك قصة العجوز التي رأيتهما تحلب الحمارة وهي قصة بقيت في ذهني لا أنسى

تفاصيلها رغم صغر سني يومها قبل خمسة وأربعين عاماً حيث شاهدت تلك العجوز وقد ربطت رجلي حمارة في شجرة وطردت ابنها (الجحش) وأخذت تحلب لبنها في (طاسة) أو (غضارة) كما - يسميها بعضهم وتلك الطاسة المهشمة لاتزال صورتها في ذاكرتي وحليب الحمارة تتناثر رغوته من جوانب تلك « الغضارة » والحمارة لاترغب في الاستكانة للحلب لأنها لم تتعود علي هذا فاقتربتُ من العجوز لأسألها لأننا نعرف أن الحمارة لاتحلب ولايشرب حليبها كما عرفنا فيما بعد مثلاً مفاده (فلان لبن حماره) إذا قطع الانتفاع منه للآخرين وإذا لم يستفد منه الآخرون أي فائدة تذكر اطلقوا عليه هذا المثل تيئسا للناس من إفادتهم أو مساعدتهم بأي شيء .. اقتربت من العجوز أسألها فحذفتني بالحصى وهي في عجلة من أمرها ولاترغب أن يراها أحد فألححت عليها وسمعت شتماً لاذعاً منها ودعاء ينبئ بشر فذهبت مطرودا شر طردة وصرت أخبر

سائل

خبرها كل من قابلني صغيرا أو كبيرا حتى أمسك بي شيخ يتوكأ على عصاه وفرك أذني قائلا (فلانة .. أولادها أصابهم الكحيكح أو الكحيكحان) وهو السعال الديكي الذي عرفناه فيما بعد وكانوا يعالجونه بشتى أنواع العلاجات التي يعرفونها في ذلك الوقت بما فيها الكي بالنار .. على الحاقنة وهي نهاية الرقبة من الأمام عند اتصالها بالقفص الصدري فإذا لم يفد كل ذلك عمدوا إلى حليب الحمارة كأسلوب للمعالجة .. إنها صور شتى وأساليب عديدة يقومون بها دون نظر إلى مضاعفات ونتائج ودون وعي بحلال أو حرام فالحمد لله رب العالمين وبالشكر تدوم النعم وإلى الرسالة القادمة والسلام .

الرسالة الثانية والعشرون :

- الجدري ... الحصبة ... المهراس ...
- أسماء لها مدلولات في زمنه مضي ...
- ❖ مريض الجدري كان يعزل في غار أو في بيت مهجور حتى يكتب الله له الشفاء أو الموت ...
- ❖ حديق الجدري كان لا يسلم منه التشوه أو العمى أو العقم ...
- ❖ العضابة في مفاهيمها المختلفة
- ❖ المغر ... الثوم ... منقوع الحناء ...

أي بني :

في رسالة سابقة وعدتك أن أحدثك عن « سجين الغار » وسجين الغار هذا يابني هو ذلك الانسان الذي كان يصاب بمرض الجذري نعوذ بالله منه فيقوم ذووه بوضعه في غار بالجبل أو يبنون له « زربا » يضعونه فيه بعيدا عن الناس حتى لا يعدي الآخرين ويبحثون عن شخص قد أصابه الجذري وعوفى منه ويسمون عتيق الجذري أو المجدر بضم الميم وفتح الجيم والبدال المشددة حيث يقوم ذلك الشخص بخدمته وتقديم الطعام له من خلال فتحة في الغار أو في ذلك الزرب وهذه العملية بمثابة حجر صحي للمريض حتى لا يعدي الآخرين وهو حجر قاس على أي حال .

إن ذلك المريض يرى أن ذلك الغار هو قبره يراه بعينه وينقطع عن الناس والحياة ويتجرع غصته ومرضه يفتك به حتى يهلكه إذا أراد الله سبحانه وتعالى فإذا مات في ذلك الغار أو الزرب كان هو قبره لا يخرج منه

ولا يصلى عليه ولا يقربه أحد من ذويه سواء في حياته أثناء مرضه أو بعد موته .. هذا كان مصير من أصابه الجدري في بوادينا أو في أغلبها قبل أن ننعم بهذا الخير العميم الذي رزقنا الله به منذ أول يوم تستظل فيه بلادنا بمظلة العهد السعودي الميمون .

وتصور يا بني كيف يكون حال ذلك المريض نسأل الله العافية وهو يشاهد تجهيز ذلك الغار أو الزرب له في منأى عن الناس يعيش ليله ونهاره فيه لا يقربه أحد ولا يكلمه إنسان غير ذلك الذي يأتيه بحذر ممن سبقت له الإصابة وعوفى منها يقدم له طعامه من خلال فتحة ضيقة في جانب ذلك الغار .

كيف يكون حاله وهو ينتظر الموت ؟! بل تصور ان المصاب امرأة أو طفل صغير كيف يجبر علي العيش في معزل عن البشر يعاني ويلات المرض وآلام العزلة ومرارة الحرمان ؟!

وقارن يا بني ذلك كله بما قد هياه الله في هذا

الزمن للمرضى وهم يعانون ويلات أشد الأمراض عدوى
وفتكا من وجودهم بين أناس يقومون بخدمتهم قد بذلت
لهم الدولة أعزها الله بذلا سخيا من أجل تلك الخدمة
وقامت بتحسينهم بإرادة الله عز وجل ضد الأمراض
المعدية وهيأت لأولئك المرضى كل أسباب الراحة والهدوء
والاستطباب حتى يكتب الله لهم الشفاء .

أي بني :

ومرض الجدري من الأمراض الفتاكة التي كانت
تهلك الناس وتعمي أبصارهم وتشوه أجسامهم وتقطع
نسلهم فمن لم يمت من ذلك المرض خرج منه بعاهة
مستديمة نسأل الله العافية كانوا في الأزمان الماضية
يخشونه ويحسبون لمصائبه وويلاته وهو طاعون خطير
وداء عضال ولذلك ومع قلة ما يقاومونه به كانوا يلجأون
في بوادينا وقرانا ومدننا قبل نهضتنا المباركة إلى أشد
أنواع العزل للمريض ومنها سجنه في غار معزول أو
بيت مهجور حتى يكتب له الشفاء أو الموت .

ولذلك سارعت الدول إلى تطعيم مواطنيها ضد ذلك المرض حتى انحسر بحمد الله ولم يكن له وجود لدينا بفضلله سبحانه وتعالى .

والتطعيم أو العضابة كما كنا نسميها في زمن مضى وسيلة هامة من وسائل الوقاية من هذا المرض وغيره بارادة الله عز وجل ومن العجيب أن عجائزنا في زمن مضى عرفن هذه العضابة أو التطعيم قبل أن نراها وندركها ونعرف مدلولاتها في عصرنا الحديث حيث تذكر إحداهن وقد أشرف عمرها علي الثلاثين بعد المائة ولا تزال تدرك كل شيء وتمارس حياتها الطبيعية تذكر بأن عجائز جيلها يوم أن كانت فتاة كن يعمدن إلى أخذ « قيح » وصديد بعض إصابات الجدري « بالمنقاش » أو « بالمخيط » أو بالإبرة فيضعنه في جسم السليم ليكتسب مناعة أو يصاب إصابة خفيفة وهي وسيلة على أية حال لعبت المصادفة في بدايتها لدهن دورا رئيسيا في الاكتشاف والتجربة .

أي بني :

ذكرني استطراذي لمسمى العضابة الذي كنا نطلقه على التطعيم بنوع آخر من العضابة في أيام طفولتي .. أتذكر العضابة جيداً وكانت وسيلة من وسائل التهديد للأطفال لما يلاقون منها من ألم ومعاناة حيث كانت أمهاتنا يعمدن إلى « الثوم » لتدق فصوصه دقا منعماً في هوند أو هاون حتي يصير لبخة ثم يضعنه في شاش أو خرقة من قماش ويربطنه على العضد في جهته مما يوالي الإبط كعلاج لمن أصابته الحمى أو وجع الرأس حيث يحرق الثوم جلد العضد حرقاً ويبقى لساعات من النهار حتى تذهب حرارته فإذا ما فك رباطه وجدت العضد وقد ترهلت وصار موقع الثوم كحرق النار أو أشد .. وقد عانيت من تلك العضابة حسب مفهوم عجائزنا في ذلك الزمن الشيء الكثير ولا تزال آثارها في عضدي الأيمن والأيسر إلى اليوم وكل جيل أبوك لا تزال آثار العضابة فيهم يشاهدها أبناءهم (وسماً) في

سائل

أيديهم ودلالة على معاناتهم من الثوم على الجلد
وآثاره المحرقة .

ولاتسألني يا بني عن الحمى بعد العضابة هل
تذهب أم تبقى أم تخف لأنني لا أدري وكل الذي أدريه
أن الثوم محرق للجسد وآثاره فيه تبقى الى الممات
وكانت أمهاتنا يهددنا بالعضابة والثوم مثل ما يهدوننا
بالصعوط والصقرق والكبوس والتشمة الذي تعرضت
لها في رسائلي السابقة إليك .

أي بني :

والحصبة هي الأخرى مرض عضال في ذلك الزمان
تنتشر بسرعة كبيرة بين الناس وكانت تفتك بهم وتسري
بينهم سريان النار في الهشيم كما يقول أدباؤنا ويلاقي
منها الأطفال الريلات لقلة العلاج وسرعة العدوى فتجد
أطفال البيت الواحد وكلهم أنين من جراء حمى هذا
المرض وآثاره على الجسم وما ينتج عنه من يشور على
الجلد وفي العيون والأذان والمغابن وتصل وطأة المرض

إلى الموت بارادة الله سبحانه وتعالى .. وكانت الأمهات
 في ذلك الزمان يلجأن الى إبراد حرارة الحمى « بالمغر »
 والمغر بسكون اللام وفتح الميم والغين وسكون الراء
 حجارة هشة حمراء تتخذ من عروق في الجبال يزعمن أن
 تلك الحجارة الهشة عندما تدق وتخلط بالماء و « يروش »
 بها المريض أي يعمم الماء المخلوط بالمغر على جسمه
 يزعمن أنها تبرد حرارة الجسم وتعمل على إفساد حبوب
 ونتوءات الحصبة إضافة الى الحرص على تكحيل عيني
 المريض حماية لها من اثار الحصبة أيضا ولا يغفلن عن
 الحنا حيث يجرى دقه وتنعيمه بعد جفاف أوراقه ومن ثم
 عجنه بالماء وتمريخ المريض بالخليط وربما سقيه بمنقوع
 الحنا .

انها محاولات يابني يتناقلن آثارها بالخبرة
 والتجارب التي قد تفيد مريضا وتضر آخر ولكنها جهود
 للأمهات والجذات لاقين منها الآلام والمتاعب لقلة الدواء
 وقصور المعرفة وفتك الأمراض بالناس ..

اما كيف يجرى دق الحجارة الحمراء « المغر » حتى
تصير ناعمة كالتراب وكيف تنعم أعواد الحنا وأوراق
بعض الأشجار كالقرض والبشام والمرخ والتنضب
والعشرق والسنا للاستشفاء بها في ذلك الزمان .

إنها يابني تدق في « المهراس » وهو حجارة صلبة
قد جرى قطعها من الجبل على هيئة الكرة غالبا إلا أن
لها جانبا مشطوفا لتستقر عليه وقد حفر داخلها حفرة
مدورة تتعمق الى ثلثيها تقريبا وجرى قطع حجارة أخرى
مدورة مستطيلة يمكنها الدخول في دائرة المهراس المجوفة
ويمكن زيادة قدر القبضتين للإمساك بها أثناء الدق في
تجويف المهراس ويسمون تلك الحجارة الطويلة يد
المهراس أو ولد المهراس وكان المهراس ينتشر في البيوت
بأحجام مختلفة كما ينتشر في أحياء القرى والمدن وفي
وسط الأحوشة يؤدي خدماته للناس بجانب الهوند أو
الهاون حيث كان المهراس يقوم بما يعجز عنه الهوند قبل
معرفتنا للطحانات الكهربائية ومشتقاتها ..

سائل

والنجر أو الهوند كان الآباء والأجداد يشرفونه بدق القهوة به ويرفعونه عن استعماله في غيرها غالبا ولحركته في دق القهوة وصوته وحرافة صانع القهوة ميزات خاصة لديهم لعلّى أتعرض لها في رسالة مستقلة إليك .

أما المهراس فإنه حمّال الأسيّة كما يقولون في هذا الباب فصوته لايجلجل وتدق فيه مختلف أنواع الأدوية والحبوب لعمل الهريسة والشربة ومختلف أشكال أعواد الدباغ التي تدق به وتدبغ الجلود لتهيئتها لمختلف انواع الاستعمالات .

وعلى ذكر المهراس واستعمالاته قد تستغرب وزملاؤك في هذا العصر عندما أقول بأننا قد شاهدنا قبل ثلاثين عاما سوقا بالمدينة مليئا بالمهاريس وكان يقع في شرقي مسجد الغمامة ويطلقون عليه « سوق الفلتية » حيث اتخذت تلك المهاريس بمثابة الطواحين في هذا العصر وكان يقوم على تلك المهاريس في سوق

سائل

الفلتية ذلك أناس تخصصوا بدق الحبوب ومختلف ما
يراددقه للغذاء أو للاستشفاء .

أي بني :

لقد استرسلت في رسالتي هذه اليك وجرني الحديث
الى المهراس وشؤونه دون سابق تخطيط أو رغبة مني ..
قالى اللقاء في الرسالة القادمة والسلام .



الرسالة الثالثة والعشرون :

❖ عظم ومضاح .. (مضيم مضاح .. وبيه غدا ..

وبيه لاح ..)

❖ شق ألقنا ؟ منه هو براسه ؟

❖ حق الصَّبْحُ جاكم ... تخسا .. ما جانا .. ألعاب

قديمة للشباب كنا نمارسها في ههؤ القم ...

أي بني :

لقد تأخرت عليك في إرسال هذه الرسائل بعض الوقت ظنا مني بأن مكالمات الهاتف التي أسهمت كثيرا في هذا العصر في تقليص الرسائل المكتوبة أو مسخها في كثير من الاحيان .. ظنا مني بأن مكالمات الهاتف تلك تقوم مقامها ولكن الذي أثبتته الواقع غير هذا إطلاقا ...

لقد حقق الهاتف بفروعه المختلفة إنجازا باهرا من إنجازات العصر الذي نعيشه وحقق لعصرنا قمة ما يتمناه وما يعتبره عنوانه ألا وهو السرعة في إيصال المعلومة بأساليب متطورة ولكن مع هذا ظلت وستظل الكلمة المكتوبة هي الإشعاع الذي يتوهج في كل وقت على مر الأيام والسنين ولا يقتصر توهجها على فرد معين أو على جيل من الأجيال بل تبقى دائما صاحبة القدر المعلى في دنيا الثقافة والمعرفة والاختراعات والإبداعات ونقل الحضارات بين أمم الأرض في جميع

حقب التاريخ ولذلك فمهما افتخر الهاتف في سرعة إيصال المعلومة مشافهة إلا أن الحرف المكتوب يظل هو صاحب التوهج والسرية في كثير من الأحيان .. بل في جميع الأوقات ولو كان الاتصال الهاتفي قد ألغى الرسائل كما قلت لي في يوم من الأيام لما كلف الملوك والزعماء والقادة أنفسهم بإرسال مندوبيهم إلى آخرين وهم يحملون الرسائل المكتوبة في هذا العصر .. عصر الهاتف والتلكس والفاكس .

ثم إن الهاتف بفروعه المختلفة يقف عاجزا عن حمل الكتاب الذي يضم بين دفتيه تجارب الشعوب وحضاراتها وتفاعلاتها مع الحياة على مر التاريخ .

أي بني :

بعد هذا أعود ثانية لأقول لك أرجو أن تبلغ زملاءك الذين اتصلوا بي شكري وإعجابي لأنهم ألحوا علي في مواصلة كتابة هذه الرسائل إليك .. ويقولون بأنها لا تختص بك بل هي لهم جميعا وقد وجدوا فيها

رسائل

شيئا مما يبحثون عنه ويعجبون به ووجدوا بها شيئا يربطهم بأصالتهم وحياة آبائهم وأجدادهم على هذه الأرض وأنا يابني ما كنت أظن أن تعلقهم وحبهم قد وصل إلى هذه الدرجة التي أحسست بها من خلال رجاءاتهم واتصالاتهم لمواصلة ارسال هذه الرسائل التي لم يحملها البريد والتي تقدم أطباقها شهية .. جعلت لقراءتها ، نكهة خاصة تجذب القراء شيئا وشبانا بمختلف طبقاتهم وهي ميزة أعز بها وأفرح ...

ثم إنني أشكرهم وأنا فرح بما أبدوه من حب وانتماء وأصالة ولعل ما أكتبه في هذه الرسائل يكون كذلك أو يقرب منه وهو أمنية غالية أسعى إليها في كل رسالة .

أي بني ..

اتصل بي أحد زملائك بالأمس وطلب مني ما اتفقت معه أنت في طلبه وهو أن تتضمن هذه الرسائل بعض ألعاب الشباب القديمة مع شرحها في الحاضرة

والبادية ونزولاً عند هذا الطلب يسرني أن ألبيه ولكن قبل هذا أود أن ألفت نظرك يا بني أن جدك الاستاذ القدير ورجل الصحافة وشيخها حسن عبدالحى قزاز قد كتب في الحلقة ١٩ من سلسلة مقالاته التي يكتبها على صفحات الأربعاء بتاريخ ٢٧ رجب سنة ١٤١٣هـ حيث ذكر من الألعاب ووسائل التسلية لدى الصغار كلعبات الكورة والبرجوة والبربر والكبت والكبوش والطيش والمدوان والمرصاع والمدارية .. ولا أعتقد أن بعد قوله قولاً في هذا العبق الحجازي « الحضري » .

ولكنني يابني أضيف عبقا حجازيا « بدويا » مكملا له في مجال ألعاب الأطفال يوم أن كنا كذلك في السبعينيات الهجرية حيث لاكرة ولا أفلام كرتون ولا بسكليتات ولا دبابات ولا عرايس ملونة متحركة بلاستيكية أو أسفنجية .

في تلك الايام يابني في القرى والبادية بالحجاز عموما كنا نمارس العديد من الألعاب أو اللعبات على الاصح ومنها لعبة « مضميضاح »

ولعبة « مضيمضاح » هذه كنا نلعبها في الليل حيث يأتي الأولاد الصبية ويقسمون أنفسهم إلى فريقين متساويين ويختارون عظما أبيضاً وتجرى عليه القرعة بين الفريقين ليكون مع أحدهما حيث ينبري إلي الإمساك بالعظم واحد من الفريق ثم يحذف به بقوة في أي جهة كانت وينطلق الجميع للبحث عن العظم وهم يرددون « مضيمضاح وين غدا .. وين راح ، فإذا وجده أحد الفريقين يصيح بأعلى صوته ، معي ، وينطلق إلى الميدان الدائري الذي جرى تحديده مسبقاً ليلتجئ إليه صاحب العظم .. وفي انطلاقته تلك معركة حامية الوطيس بين فريقه الذي يدافع عنه حتى يصل الى «الماد» الميدان الدائري وبين الفريق الخصم الذي يحاول بشتى الوسائل أخذ العظم من الذي وجده قبل وصوله إلى « الماد » أي الميدان المحدد فإذا دخل صاحب العظم الماد والعظم بيده فاز فريقه واحتفظ بالعظم للعبة جديدة وإذا أخذ منه قبل وصول الميدان صار من حق الفريق

الخصم الذي هو الآخر يقوم برمي العظم هذا والذي يسمونه « مضميضاح » ويرددون عند البحث عنه جميعا ، مضميضاح وين غدا وين راح ، وهكذا .

ومن العجيب أن صاحب المعجم الوسيط قد ذكر هذه اللعبة وسماها « عظم وضاح » ومثل لعبة مضميضاح هذه أو عظم وضاح على رأي صاحب المعجم لعبة أخرى كنا نسميها « شق القنا » .

وهذه اللعبة كنا نتعمد كثرة عدد الصبيان فيها لأن كثرة اللاعبين تعطيها الكثير من الإثارة والجمال فنحضر ليلا وننقسم الى فريقين في برحة كبيرة خالية من الاحجار والعوائق ويقف الفريق في مواجهة خصمه مقابلة بينهما مسافة خمسة امتار تقريبا بحيث يكون كل فريق عبارة عن صف واحد وتختار بداية اللعبة بالقرعة فينبري أحد أفراد الفريق الذي وقعت عليه القرعة بالبداية قائلا بصوت مرتفع « شق القنا » ويسكت فيرد عليه الفريق الخصم « منهو براسه ؟ » ..

سؤال

فيقول في رأس فلان ويختار أحد الأفراد الذين يمتازون بالسرعة وخفة الحركة وقوة المراوغة فيغير فلان هذا إلى الميدان الذي يبعد عن الموقع قرابة ١٥٠ مترا والذي سبق تحديده منذ البداية وفي إغارته هذه تقوم المعركة بين الفريقين فريقه الذي يدافع عنه ويموه حتى لا يمسكه أحد والفريق الخصم الذي يحاول الإمساك به قبل وصوله الميدان فأذا وصل الميدان ولم يمسكه أحد من الفريق الخصم بقيت اللعبة لدى فريقه وإن تمكن الخصم من الإمساك به قبل وصوله الميدان أو الماد كما كنا نسميه انتقلت اللعبة إلى الفريق الآخر وهكذا .

وفي هاتين اللعبتين معارك طاحنة وحماس من كل فريق لا يمكن تصوره وكانت ساعات الليل تمضي ونحن لا نحس بها وكانتا من اللعبات الليلية المحببة إلى نفوسنا ويجري الإعداد لهما والتجمع منذ العصر بحيث يعرف الميدان والماد وأعضاء كل فريق .

سائل

أي بني :

وفي ضوء القمر كنا نمارس لعبة أخرى يسميها
الأطفال " حق الصبح " وتنطق بتشديد الصاد المضمومة
وفتح الباب وسكون الحاء .. وحق الصبح هذا عمامة
مفتولة أو مجدولة حيث يجتمع الأطفال مجموعة واحدة
ويعارسون هذه اللعبة بحيث يحددون « الماد مسبقا »
ويكون على مسافة ٥٠ مترا ثم يمسك أحدهم العمامة
المجدولة تحت ملابسه ويسير في اتجاه مخالف للماد
مرددا قوله « حق الصبح .. جاكم » بصوت مرتفع
فيرد عليه المجموعة كاملة معا خلفه ((تخساما جانا))
ويسيروا خطوات بين قوله وقولهم وفجأة يرمي العمامة
المجدولة هذه في اتجاههم قائلا بصوت مسموع « هذا هو
جاكم » وتتلقفها المجموعة كل يرغب في مسكها فإذا
ما أمسك بها أحدهم بدأ يضرب بها ضربا قويا من لحق
به من الفريق الذين جميعهم يفرون الي « الماد »
ليحميهم من ضربه بالعمامة المجدولة أو المفتولة والتي

سائل

كنا نسميها عندما تفتل « المعكارة » ويكون ضربها قويا عندما تفتل بعناية ويمسك بها أحد الأقوياء ولا يبالي من أمسك بها في أي عضو يضرب وكيف يضرب .. وكثيرا من أبكاه وآله ضرب المعكارة في لعبة « حق الصبح » هذه .

أي بني :

كم كانت تلك الألعاب جميلة ورائعة .. وكم كنا نجد فيها المتعة والتسلية ولولا مناداة أهلينا لنا ومراقبتهم لتحديد الساعات التي نلعب فيها لبقينا إلى الصباح ونحن نمارس لعبتنا تلك لا نكل ولا نمل .. وفي الرسالة القادمة أكمل لك بقية لعباتنا يوم كنا أطفالا والسلام .



الرسالة الرابعة والعشرون :

القب .. الغميمة .. البئر المعجورة .. الفدغاز
والساقية والسواني ...
الفاروخ والعقلة والمزبة والمسحاة ودورك ذلك في
حفرة الآبار ..
الدلو والقلص والقرب لنزح المياه من الآبار .

أي بني :

وصلا لما انقطع في رسالتي السابقة إليك حول
 ألعابنا أو لعباتنا يوم أن كنا أطفالا وقبل أن أبدأ في
 شرح البقية من اللغات الطفولية في ذلك الوقت يوم
 طفولتنا نحن أود الإشارة هنا إلى أن جميع اللغات أو
 الألعاب التي كنا نمارسها نهارا لم تكن هي الغاية في
 حد ذاتها أي أننا لا نمارسها وحدها بل كنا نمارسها
 بجانب ما كلفنا به من أعمال مساعدة كالرعي مثلا
 وجلب المرعى أو الماء للبيت أو للماشية أو جلب الحطب
 للبيت أو غير ذلك .

لقد كانت ألعابنا في الليل للعب فقط أما ألعابنا
 في النهار فإننا نمارسها خلصة عن أهلينا لأن مهمتنا في
 النهار العمل حسب رأيهم مهما كان صغر الطفل فهم
 كانوا يكلفونه بما يتناسب مع جسمه وعمره فإذا ما
 اجتمع أطفال في مكان وهم يرعون بهما مثلا أو
 يحطبون بعض الحطب الخفيف للبيت أو يجمعون العشب

للماشية .. اذا اجتمعوا وبعد أن يأمن كل منهم قيامه
بما أسند إليه خوفا من والده أو أمه فإنهم يمارسون أي
لعبة يتفقون عليها ويميلون إليها في ذلك الوقت .

كان كل فرد في البيت له مهمة صغيرة او كبيرا
طفلا أو طفلة ففي البادية كان الصغار والصغيرات
يسرحون بالبَهْم وهي صغار الماعز وبالسَّخَال كما
يسمونها بعضهم يسرحون بها أي يرعونها في المنطقة
حول بيوتهم وفي القرى كانوا يكلفون الصغار بحش
العشب وجلبه للأغنام في زرائبها جميع زريبة .. أو
جلب الحطب من سيقان وفروع الأشجار الصغيرة أو ما
ينخلع من النخل من كرائيف وجثامير وسعف وعراجين
وكانت البنات الصغيرات يقمن بصغير ما يقمن به
أمهاتهن في البيت من كنس وتنظيف وجلب الماء أو
مشاركة إخوانهم في الرعي وإحضار الحطب والعشب من
سفوح الجبال والبساتين التي يسمونها « البلدان »
واحدتها بلاد وهي المزرعة صغيرة كانت أو كبيرة .

سائل

وقد يسميها بعضهم إن كانت كبيرة بلاداً وإن كانت المزرعة صغيرة جداً كانوا يسمونها حوضاً وإذا كان لا يسع إلا صفاً واحداً من النخل أو من الأشجار أطلقوا عليه اسم « الكوز » بضم الكاف وسكون الواو والزاء .

أي بني :

أعود مرة أخرى فأقول : ومما كنا نلعبه في زمان صبا لنا لعبة « القب .. أو البور » ..

وهي لعبة معروفة يشترك فيها اثنان أو أكثر وآلاتها عصا بطول متر وتزيد قليلاً وعصا صغيرة بطول ٢٠ سم أي عود يقل عن حجم العصا سماكة وهو القب نفسه أو البور كما يسميه بعضهم وحفرة صغيرة تكفي لإدخال طرف العصا الطويلة بها حيث يوضع القب على الحفرة ويقف اللاعب ممسكاً بالعصا الطويلة بيده واضعاً طرفها الآخر في الحفرة تحت القب وهو محني الظهر ثم يرفعه بطرف العصا الطويلة ويقف معتدلاً وإذا رفعه في

الهواء ضربه بالعصا بسرعة ضربة قوية يحرص اللاعب من خلالها أن يبعده عن مكانه مسافة طويلة وعندما يستقر القب هذا وهو العود القصير في مكانه يضربه ثلاث ضربات في كل ضربة يحاول رفعة إلى الهواء ويشني تلك الرفعة بضرب القب مسافة أخرى ليعده عن مركز الحفرة الأولى وبعد ذلك تقاس المسافة بين آخر استقرار له ونقطة البداية في الحفرة ثم يقوم اللاعب الثاني بنفس العملية في اللعبة والفائز هو الذي يحصل على مسافة أطول وهكذا ..

ومن أجل الحصول على الفوز ببعد المسافة يستعمل بعض الأطفال مختلف الوسائل في التحايل للغش في اللعبة كما يلعب فيها التسلط دورا كبيرا من أجل تلك الغاية ..

والى جانب لعبة القب بسكون اللام وضم القاف وسكون الباء أو لعبة البور هناك لعبة جميلة كنا نمارسها ونسميها لعبة الغميمة أو لعبة الدسيصة أو لعبة طيري

سائل

.. كلها أسماء لهذه اللعبة وفي هذه اللعبة يجتمع الأطفال ويحددون موقعا على شكل دائرة ويعصبون عيني واحد منهم داخل تلك الدائرة ثم يختبئون جميعهم كل منهم في مكان يختاره لنفسه فيصيح هو بقوله « طيري » على شكل استفهام فيرد عليه واحد منهم بنفس النغمة « طيري » فيزيل العصاةة عن عينية ثم يبدأ في البحث عنهم وكل منهم يجرى ليصل الى الماد قبل مسكه له فإذا تمكن المعسوب من مسك أي واحد كان على الممسوك القيام بنفس الدور وإن تمكنوا جميعا من الوصول الى الماد أو الميدان ولم يستطع الإمساك بأي منهم أعاد هو نفسه اللعبة وهكذا .. وبعضهم يقول عند فك العصاةة أو الغميمة « شرعت » بدلا من طيري وهذه اللعبة يمارسها الأولاد كما تلعبها البنات من السادسة الى التاسعة من العمر .

وفي لعبة الغميمة هذه أو لعبة طيري بكسر الطاء والراء وسكون اليائين لا بد أن يتأكد من يقوم باللعبة من

وصول الجميع إلى دائرة الماد وأذكر أن أحد الأطفال
 الأشقياء في هذه اللعبة نزل مع طي بئر طولها ٢٠ مترا
 ليخفي نفسه عن المغموم وعندما تفقداهم ذلك اللاعب لم
 يجد صاحبنا الذي نزل في البئر داخل دائرة الماد فبحث
 عنه وقتا طويلا حتى اهتدى إليه وعرف أنه في قاع
 البئر فنزل خلفه مع جدار البئر فهوت به حصاة فسقط
 على صاحبه وانكسرت يده ولما رأى الأول سقوط رفيقه
 عليه وصياحه تهبب الصعود وبقي الإثنين داخل البئر
 المهجورة واجتمعت نساء القرية حولهما في صياح وجلبة
 من صلاة العصر حتى المغرب حيث وصل الرجال وتبرع
 أحدهم بالنزول وحمل صاحبيننا واحداً بعد الآخر على
 ظهره وانقذهما من ذلك المدس بسكون اللام والسين
 وفتح الميم والبدال .. وهو واحد من مدسات أي مخابئ
 الدسيسة أو الغميمة أو طيري .. والغميمة بضم الغين
 وتشديد الميم بالفتح وسكون الياء وفتح الميم الثانية
 مأخوذة من التغميم وهو ربط عصاة على العينين حتى
 لا يرى اللاعب أين ذهب الباكون ولا في أي الأماكن

اندسوا أي اختبأوا ..

أي بني :

وما دمنا قد ذكرنا البئر في قصة صاحبنا هذه التي جعل منه مخبأً له ومصيدة لصاحبه الذي وقع فوقه أذكر أنك سألتني مرة عن الغرب والرشاء وهذه يا بني فرصة إفادتك بالبئر ومكوناتها فطى البئر وجال البئر هو الحجر الذي بنى على جوانبه فمجموعه يسمى الطي وأعلاه يسمى الجبال وفي جهتين من فم البئر وهو فتحتها من أعلى تقام مبان بالحجر تثبت بها قرون البئر وتركب في وسط الفتحة المحالة وهي عبارة عن عجلة خشبية تدور حول محول محفور في قطرها الخارجي يكون مجرى للرشاء وفي وسطها اسطوانة من الخشب يسمونه القب له ثقب في الوسط والرشاء هو الحبل الذي ينزل الدلو إلى الأسفل ليمتلئ بالماء ويسحب من خلال المحالة والقلص أكبر من الدلو وأكبر من القلص الغرب الذي يتراوح طوله بين متر ومترين وله فتحتان أحدهما فم الغرب

والأخرى كمنه أي كم الغرب وبها الشرعة التي يربط بها ما يسمى بالسريح وهذه الفتحة يصب منها الماء في اللزا أثناء رفع الغرب إلى أعلى وهو من عدة السواني .. وهناك الدوافع وهي أعمدة خشبية تصل بين القب والاطار الخارجي .

والدلو والقلص والغرب جميعها كانوا يصنعونها من جلد الجمل غالبا السميكة المدبوغ دبغا خاصا لكي يتحمل نزح الماء من البئر لمسافات بعيدة وذلك في الآبار ذوات الأعماق الطويلة .

أي بني :

لقد انقرضت تماما لدينا اجهزة الري القديمة .. لقد ماتت الفرغاز واندثرت الساقية وتحطمت السواني التي كانت تملأ الأسماع في كل جهات المزارع يوم أن كانت هي حياة الفلاح يطرب لها ويفرح بسماعها ويتقن آلياتها .. ماتت هذه جميعها وحلت محلها طرجمات الاعماق التي تسحب الماء بالكهرباء دون صوت أو

ازعاج .

نعم يابني كانت الأبار تحفر بالأيدي والآليات البسيطة كالفاروع والعتلة والمرزية والمسحاة والكريك وغيرها وتطوى بالحجارة المطابقة بمعنى أن الفلاح إذا وجد الماء في البئر وتأكد من كفايته عمل على إيجاد الأحجار المطابقة التي تبني في جميع جوانب البئر على شكل دائري من أسفلها الى أعلاها بناء متقنا ومع البناء كان البنائون على درجة كبيرة من الدراية والخبرة والمعرفة فهم يضعون في حسابانهم أثناء عملية البناء وجود أحجار زائدة تكون بمثابة السلاالم التي يرقى منها أو ينزل عليها لمعرفة ما في البئر من دمار أو كمية مياه أو غير ذلك وإذا انتهى طي البئر في جهتين متقابلتين مايسمونه قرون البئر وهذه القرون بارتفاع مترين تقريبا وفي القرنين يعمل البناء على إيجاد منامات وهي أجزاء من أعمدة حجرية مثقوبة وتكون تلك المنامات في مستوى أفقي واحد ويتفنز البنائون في طي الآبار وفي

إتقان ما يقام عليها من قرون أي قواعد حجرية في
 أطرافها .. ولك ان تتصور يابني تلك المتاعب في طي
 الآبار وما تحتاجه من أحجار ومؤن وكم من حفارين لتلك
 الآبار انهارت عليهم جنباتها وصارت قبوراً لهم وكم من
 أناس تهائل عليهم الطي أو حجارة منه فأهلكهم .. كل
 ذلك من أجل البحث عن الماء ووجوده ولكل ذلك أيضا
 كان الماء لديهم عزيزا .

أي بني :

نسيت أن استعرض لك ألعاب صباننا فجرني
 الحديث إلى البئر وشؤونه وشجونه وأعتقد أنك تسألني
 في لهف وشوق عن الغر غاز والساقية والسانية أو
 السواني كما تشتاق إلى سماع بقية لعباتنا أو العابنا
 القديمة وأعدك يابني باتمام كل ذلك في الرسالة القادمة
 والسلام ..

الرسالة الخامسة والعشرون :

❖ المصارعة ... المطارح .. الضاعج ... الدرجة
والزبيرات والمزاويق ألعاب قديمة كنا نمارسها
❖ وقف النزيف بالرماد الحار والتراب الناعم والبه
المطحون ..
❖ المعارك بين الشباب - على مستوى الأحياء -
وعلى مستوى القبيلة والقرى لا دخل للرجال
بها ...

أي بني :

كنت ليلة أمس وعن طريق الصدفة قد رأيت ألوانا
من المصارعة على شاشة التلفزيون .. أقول رأيتها عن
طريق الصدفة لأنني لا أتابع هذا اللون من المباريات
وكانت تمتاز بعنف شديد قد سالت من أثره الدماء
وصفق فريق الفوز ابتهاجا بالنتيجة وذكرني هذا اللون
من اللعب بلعبة كانت لدينا منذ زمن يمارسها الشباب
وأحيانا كبار السن ألا وهي لعبة « المطارح » .

وفي هذه اللعبة التي تكون بين شخصين فقط
يحدد المكان ويجتمع بقية الشباب للتشجيع والتحميس
حيث يقف المتطارحان وجها لوجه ثم يضابط كل واحد
منهما الآخر بطريقة خاصة يقررها حكم يختارونه ..
وفي أثناء العراك للمطارحة قد يستعمل أحدهما
« العكرشة » وهي تعشير الخصم اثناء الوقوف والعراك
برجله ليسقط ويكون الفوز بعدد الطرحات على الأرض

والتفوق فيها وقد يكون فيها تحديات ومراهقات وكنا
نجتمع خلال ممارسة هذه اللعبة وننقسم إلى فريقين وكل
واحد يحدد له نداءً من الفريق الآخر وتجري المطارحة تباعا
وقد تتطور الى عراك جماعي بما يشبه معركة حامية
الوطيس إلا أنها تنهي بمجرد أمر الحكم بايقافها وينهي
العراك بمجرد طرح الخصم للآخر على الأرض وليس بها
عنف يصل الى حد الجرح أو الكسر .

وقد رأيت رجالا كبارا كل منهم قد تعدى الأربعين
من العمر وكانوا في عزبة خاصة يأكلون سويا وينامون..
وفي كل ليلة لهم ساعات محددة يتطارحون فيها بتحد
ومراهقات وإذا ما تغلب أحدهم على الآخر في ليلة بقي
المغلوب يعد العدة لليلة القادمة ليكون غالبا وهكذا.

وبجانب لعبة المطارح كنا نمارس ألعاب المسابق
حيث نجتمع في ساحة كبيرة أو وادٍ فسيح ويقوم كبار
السن من الشباب بتحديد نقطة البداية والنهاية
لشخصين أو مجموعة من الصبيان معا وتعطى إشارة

البداية ثم ننتقل الى نقطة النهاية ومن وصل أولاً إلى
 « الماد » وهو نقطة النهاية كان هو الفائز بالسباق ويعاد
 ذلك السباق مرات ومرات .

وأحيانا كنا نحضر عراجين النخل أو سعف النخل
 بعد ازالة السعف ليبقى الجريد بلاخوص وهي محنية
 طبعاً ويمسك كل واحدٍ بطرف الجريدة ويضعها بين رجليه
 بحيث يتخيل كأنه راكب حصاناً ويكون السباق على
 الخيل أو الحمير حسب خيالنا .

وهناك لعبة « البربر » بكسر البائين وسكون
 الراءين وهي قد تختلف قليلاً عما هي معروفة في المدن
 ويقوم الأطفال في لعبة البربر بعمل مربعات داخل
 مستطيل طوله خمسة امتار يخططونه على الأرض
 ويجري اختيار البربر وهو إما قطعة مربعة صغيرة من
 الخشب أو الفخار أو الحجر العادي أو المرو وهو الحجر
 الأبيض وتكون بداية اللعبة بالقرعة فمن وقعت عليه
 القرعة يبدأ اللعب حيث يرمي « البربر » في المربع الأول

ويقوم بتمريره الى المربع الثاني برجل واحدة والأخرى
 مثنية إلى الخلف وإذا خرج البربر من المربع الى غير الذي
 يليه أو إلى الخارج خسر اللاعب اللعبة ويأتي طفل آخر
 يمارسها من جديد وهكذا أما من استطاع أن يكمل
 جميع المربعات بالترتيب وهو يعتب برجل واحدة فإنه
 يفوز ويعيد اللعبة ويستمر فيها وهكذا كان البنات هن
 الاخريات يلعبن لعبة البربر لانها محدودة ويمكن لعبها
 داخل فناء البيت .

ومما كنا نمارسه من العاب لعبة « الدرق » حيث
 نجتمع ونقسم أنفسنا الى فريقين للقتال يأخذ كل منا
 عصا طويلة وتجري مضاربة بين الفريقين وهمية كأنها
 حقيقة فأذا لمست عصي أحدهما الآخر في صدره سقط
 على الأرض كأنهم موتى ثم تحكون الثارات والغارات
 وهكذا .

ولعبة « الضاع » هي الأخرى من اللعبات المحببة
 إلى نفوسنا وفي هذه اللعبة يجتمع الأطفال ويقسمون

إلى فريقين ويختار الضاع وهو عبارة عن خرزة أو حصة صغيرة يمكن إخفاؤها في قبضة اليد ويتم بدء اللعبة عن طريق القرعة حيث يأخذها أحد الفريقين ويموه في إخفائها ويمد يديه كليهما إن كان اللعب بين اثنين كما يمد جميع أفراد الفريق أيديهم مقبوضة إن كانوا أكثر من واحد ويحاول أحد الفريق الخصم معرفة القبضة التي بها الضاع فان عرفها انتقل الضاع الى الفريق الآخر وهو فريق العارف لمكان الضاع وإن لم يعرفها يمد جميع افراد الفريق الخصم أيديهم ليتلقوا ضربا عنيفا إما بعصا اعدت لهذه مسبقا وجرى الاتفاق عليها أو بعمامة مجدولة جدلا جيدا يسمونها « المعكارة » ويتفق كذلك على عدد الضربات وقوتها وكنا نلاقي في هذه اللعبة أشد أنواع الضرب ونتحمله من أجلها ومن أجل الاستمرار .. وعلى أمل أن يأتينا الدور لنعامل بموجب ما نتلقى من معاملة .

انها لعبة مسلية ولكنها مؤلة تجعل اليد تصطبغ

حمة وتتلوى من الالم الذي تلاقيه .

وهناك لعبة تسمى لعبة الزيرات وهذه يمارسها الأطفال صغار السن حيث يقسمون أنفسهم إلى فريقين كل فريق له رئيس ويبقى فريق في مكانه ويذهب الفريق الثاني في أماكن مختلفة ويقوم كل فرد من الفريق الثاني بتكويم كمية من التراب أو الرمل ويحرصون على إخفاء أثارهم حتى لا يكتشفها الفريق الأول ثم يعودون إلى حيث يجلس الفريق الخصم وعندما ينطلق الفريق الأول باحثا عن تلك الأكوام من التراب لتهديمها ثم يعودون ليقوموا بما قام به الفريق الآخر وأخيرا يجري عد الزيرات من الرمل وهي جمع زيرة والفائز هو من سلمت له أكبر كمية من أكوام الرمل لم تهدم وهكذا...

والدجة أيضا بتشديد الدال والجيم لعبة كنا نمارسها وهي شبيهة بلعبة « الجولف » الأمريكية حيث نتجمع ونقسم إلى فريقين وكل فرد بيده عصا معكوفة أو كرنافة بساقها « جثمورها » من النخل ونختار الدجة

هذه وهي عبارة عن كرنافة معدة أو دومة كبيرة وقد لف عليها خيوط من الغزل المبروم « الشعر » ويجرى تحديد حمى كل فريق ويبدأ اللعب بضرب الدجة في اتجاه ميدان حمى الفريق الآخر ويكون فوز الفريق بقدر استماتته وإدخال الدجة في ميدان الفريق الخصم وهكذا تكون المعارك والضرب وقد يخطئ بعضهم في الضرب فيضرب ساق زميله والضرب في الساق مؤلم جدا وقد تحول ضربة لساق أحد اللاعبين اللعب إلى ميدان معركة ومضاربة حقيقية قد تسيل منها دماء ولكنها تنتهي بانتهاء فترة اللعب مع غياب القمر ويطيب اللعب في الليالي البيض لأن « القمر » وهي أشعة القمر تكون ساطعة وبرودة الليل ونسمات الصحراء مشجعة على استمرار اللعب وصفائه .

أي بني :

والمزاويق « المدوان » كما كانت تسمى في الحاضرة وواحدتها « مزويقة » لعبة جميلة كان النجارون

سؤال

يعملونها من الخشب بشكل بيضاوي أو مخروطي وقد ثبت في أسفلها مسمار صغير وكنا ننقع المزويقة في الحناء ونجعل لها ألوانا جميلة ويأتي اللاعبون كل معه « مزويقته » ولا يرضى بها بديلا ويبدأ اللعب بين اثنين أو أكثر والفوز هنا بقدر سرعة دوران وصوت وبقاء المزويقة مدة أطول في الدوران حيث يلف الخيط الذي نسميه « القيطان » على المسمار وما حوله من طرف المزويقة بطريقة خاصة ويجري حزق المزويقة التي يعمل الخيط على دورانها أثناء انفلاتها منه بقدر حرافة وقوة اللاعب .

وهناك فنيات عجيبة في التحكم لمكان وسرعة وصوت المزويقة وقد ينقلها أثناء الدوران من الأرض إلى اليد وذيل الثوب وهي لاتزال في دورانها وسرعتها . وقد تكون المباراة بالمزويقات بحيث يتفق الأطفال على طريقة لضرب كل واحد بمزويقته مزويقة الآخر وقد تصل الضربة أثناء اللعب الى الكسر أثناء الدوران على الأرض وتلقى الضربة من صاحب « الجز » وهو اللاعب

الضارب .

ومما أذكره يابني في مجال تلك الألعاب انه قد يصاب الطفل منا ونحن نلعب إصابات في رأسه أو في رجله أو في أي عضو من أعضائه يسيل منها الدم ونتألم منها كثيرا ولكننا مع ذلك لانخبر أهلنا بها وكل الذي نفعله أننا نقوم بمعالجتها بالرماد الحار أو بالتراب الناعم أو بالبن الناعم بعد تحميمه وبذلك تحدث الإصابة وقد تكون بالغة ونعالجها دون أن يعلم بها أحد أما المضاربات بين الشباب فهذه أحدثك عنها ولا حرج بمعنى أنها كانت كثيرة وأكثر ما تحدث بين شباب قرية وأخرى أو بين شباب حارة وحارة أخرى في المدن حيث تجرى لها المواعيد وتحدد الساحات التي تكون فيها المعارك ويكون فيها ضرب مبرح بالعصى والمراجين جمع مرجانة وهي المقلع وهي عبارة عن قطعة من نسيج الصوف بحجم الكف تربط بحبال من طرفيها ويوضع الحجر فيها ويلوح بها في الهواء ثم يحذف حجرها بطريقة خاصة

وهذه المرجانة تزيد من مسافة وصول الحجر المحذوف إلى
 الخصم بقوة كبيرة وقد اعتدنا في أيام شبابنا تلك
 المعارك الشبابية بين حي وحي وقرية وقرية ونزول
 الأحجار من المراجين أو المقاليع كالجراد وكل فريق ينزل
 على الآخر وإبلاً منها فيجرح ويكسر ويدمي ولكن مع
 كل ذلك لا يتدخل الكبار وهم يرون وكأن الأمر لا يعينهم
 وتلك صورة من صور الرجولة فيهم حيث يترفعون عن
 تلك الصغائر بقلوب صافية ونفوس كبيرة فأين ذلك مما
 نشاهده اليوم من تطاحن الجيران ووصولهم إلى مراكز
 الشرطة من أجل خلاف بين الأطفال قد يحدث ولا يصل
 أبائهم إلى مراكز الشرطة إلا وهم يلعبون سوياً على
 عتبة الباب ..



الرسالة السادسة والعشرون :

الأصالة والانتماء... شباب الظل الغليون والولعة
.. وَكَيْفَ أَكَلُ الْعَسَل.

❖ كنا نستفيد منه سؤالف (قصص) الرجال ولا
نعرف الأثاء والتثني ومد الأرجل في مجلس
الرجال ...

❖ كان التأديب والمراقبة للشباب مسئولية
الجميع.

أي بني :

أعتذر إليك وإلى زملائك من تأخر رسائلي هذه أو توقفها على الأصح لبعض الوقت لمشاغل حياتية يصعب علي شرحها ولكنني يابني أقدر لك ولزملائك متابعتكم وإلحاحكم والتي لولا إحساسي بالخرج منها ولولا عزمي الأكيد على مواصلة هذه الرسائل ليقيني بأنها تسهم من قريب أو من بعيد في رسم صور من الماضي التي أرغب نقلها إليكم بآلامها وأحلامها وأفراحها وأتراحها لتروا ما ننعم فيه اليوم من راحة بال وهناءة عيش وطمأنينة حياة .. أقول لولا كل ذلك وغيره لما كتبت حرفا واحدا في هذا المجال ولكن أباك يابني رجل تربية ويؤمن إيمانا عميقا بما لهذه الصور التي ينقلها إليك وإلى جيلك من أدوار فاعلة في عوالم التوثيق والأصالة والتربية والتذكير بالماضي وفي عوالم التطور والبناء في أرضنا وما قاسته بالأمس من ضنك العيش وقصر الخطي ومحدودية النظرة وحياة الجهل وانتشار الخرافة وما تنعم

به اليوم من ازدهار ورقي وتألق واشراق . فالحمد لله
أولا وآخرا والشكر له على نعمه التي لا تحصى وأفضاله
التي لا تعد .

أي بني :

لقد تأملت يوم أمس وقد جمعت مناسبة في بيتنا
عددا من جيلك وآخرين من جيل أبيك وجدك ورأيت أن
جيلك أو العدد الذي قدر لي أن أراه منهم في تلك
المناسبة وقد ضمهم مجلس كبير آبائهم وأجدادهم رأيت
أن جيلك أو من هم في سنك أو أقل قليلا قد غطت
على المكان في أمر كروي دون اكتراث أو حياء وخجل
من يجلسون معهم وهم في منزلة آبائهم وأجدادهم .. بل
رأيت بعض أولئك الشباب قد اتخذوا من أحاديث
الرجال الجالسين معهم مجالا للاستهزاء والسخرية
والتندر مع أن أولئك الرجال كانوا يخوضون في بعض
قصص التراث وأخبار الماضي وكانوا يروون التاريخ
الصافي الموثق غير المكتوب والذي لم تلحقه مجاملات

سائل

أو تزلفات أو حجب المعاصرة أو لمعان المصالح والأهواء والأغراض .. وكان حديثهم فرصة لأولئك الشباب لكي يسمعوا ويعوا ويستفيدوا ولكنهم مع الأسف وأقولها بكل مرارة أعرضوا عن كل ذلك وعكروا صفو المجلس بشئ من قلة الذوق وقلة الاحترام وشئ من اللامبالاة بل وصلت ببعضهم قلة أدبه الى تحقير الماضي والانسلاخ منه والمطالبة بنسيانهِ واستصغار روايته ومعاصريه .. والأدهي من كل ذلك أن تصل قلة الأدب وانعدام الذوق وسوء التربية بآخرين الى ان يعكروا صفو المجلس بدخان كثيف من سجائرهم التي اتخذوا منها وسائل للكبرياء في التناول والتنوع ونفث الدخان والتعالي والتععر في الأحاديث .

صورة سيئة رأيته من أولئك الشباب وقد حاولت بطريقة غير مباشرة أن أعلمهم الأدب وأزرع فيهم الذوق والقنهم درسا في التربية ولكن العطار لا يصلح ما أفسد الدهر .. وقد امتلكني غضب شديد وألم كثير لصورة

«شباب الظل» التي رأيته ولكنني تذكرت بأن «الحليم مطية الجهول» فكظمت غيضي ونقلت لك صورة ما رأيته مع يقيني بأن هذه الصورة ليست مثلاً لكل شبابنا وأعوذ بالله أن تكون ..
أي بني :

انني أتساءل اليوم فأقول : اين هذه الصورة التي نقلتها إليك عن شباب الظل وهو اسم لهذه النوعية من الشباب الذي ينسى أصالته وانتماءه ويعق أهله وذويه ويوهم نفسه أنه قد ولد وفي فمه ملعقة من ذهب .. ينسى أن النعمة التي هو فيها هي من كد غيره وتعبه وسهره ومعاناته .. ينسى أنه لولا الله عز وجل ثم تلك الأيدي الحانية التي شقيت طوال عمرها وأوجدت الفراش الوثير والسيارة الفارهة والبيت المزركش والملابس الملونة الناعمة لما كان بهذه الصورة وهذه النعمة .. ينسى أو يتناسى أن أولئك الرجال الذين يزدري اليوم ما يقولون ويقاطعهم فيما يرغبون التحدث فيه ويتعالى على

حياتهم ويرى أن أفهامهم متأخرة ومفاهيمهم عتيقة
وأساليبهم في حياتهم قد نالها البلى .. ينسى أو
يتناسى أن أولئك الرجال هم أساس أصالته وانتمائه وأنه
لولاهم لصار بلا أصل ولاهوية ولاانتماء .

اقول : أين هذه الصورة التي نقلتها اليك عن
شباب الظل من تلك الصورة التي كنا عليها يوم أن كنا
في مثل سنهم .. يوم أن كنا شبابا نتخذ من آبائنا مثلاً
علياً في الأصالة والالتزام والاحترام .

كان الشاب يابني في أيام شباب جيلنا في
السبعينيات الهجرية يحترم أباه وكل الناس الكبار
ويقدرهم ولايعص لهم أمراً .. كنا نجل الكبير ونقدره
وإذا تحدثنا أو أرسلنا إلى أي واحد من افراد القبيلة أو
الجيران في المحي أو الحارة نوصل الرسالة بكل تفاصيلها
في أدب واحترام يحس من خلاله الكبير أنه كبير فعلاً
أمام رجل صغير ..

كنا نحضر مجالس الكبار ونجلس في ركن جلسة

ملتزمة نستمع الاحاديث والقصص و « سالف » الرجال
ونستوعب منها الدروس ومواقف البطولة وعناوين
الوفاء وملاح الذكاء والفطنة وبعد النظر .

لانتحدث أبدا في مجلس الرجال بل نترك الحديث
لهم ونحن نستمع فقط في جلسة أدبية .. لقد كان من
العيب على الشاب مقاطعة الرجال أو تسنم الحديث أو
المبادرة به .. وكان من العيب عندنا أن يتكئ الشاب أو
يمد رجله في مجلس الرجال أو يتثنى في جلسته يمنة
ويسرة .. أما القهقهة فلا نعرفها وكذلك لانعرف شابا
يشرب الدخان بين رجال كبار مع أن أكثر الرجال في تلك
الأيام يشربون الدخان من « الغليون » قبل أن تولد
السيجارة .

كان الرجل شارب الدخان يعبئ رأس غليونه من
كيس الدخان الصغير الذي عادة يكون معه في جيبه ثم
يأمر أحدها وهو - أي الرجل - متكئ « يسولف » أن
يحضر « الولعة » بالملقاط ويضعها على رأس الغليون
ويبدأ في شرب الدخان .

سائل

والغليون يابني عبارة عن قصبه طويلة أو قصيرة مجوفة قد تصل إلى خمسين سنتيمترا تقريبا ولا تزيد وتنقص في أكثر الأحيان لها ممص مدبب من جهة يكون المص منه ورأس من وجهة أخرى مدببة أيضا تتصل برأس الغليون الذي هو أشبه شيء بكوع الماسورة في زماننا حيث يثبت جهة من الرأس في عصا الغليون والجهة الأخرى إلى الأعلى يوضع بها الدخان وهذا هو رأس الغليون حيث يملأ الرأس بالدخان وتوضع عليه « الولعة » وهي جمرة كبيرة واحدة تكون مقاربة لملء رأس الغليون وكان أشهر أنواع الدخان في ذلك الوقت نوع يسمونه « الدخان العمايدي » .

ثم تطور الغليون في هذا الزمان وصار صغيرا معكوكا قطعة واحدة وقد طلته شركات الدخان بلمعان وبريق وتفرع عن الغليون في مراحل تطوره « علبة الدخان » الحديدية التي كانت تستوعب كمية من الدخان وورقا شفافا يلف الدخان داخل الورقة بحجم

معين وطول ثابت وأوجدت شركات الدخان بجانب العلبة الكبريت بدلا من ولعة الغليون .. كما تفرع من الدخان الشمة والنشوق وهي من فئات الدخان بصور أخرى .. واليوم يابني انتجت شركات الدخان الألوان والأنواع الجديدة للدخان بعلبه القرطاسية الملونة بأشكال وأحجام مختلفة وأوجدت أنواعا من علب « الزند » أو الولاعات التي تعرفونها إغراء للشباب ومحاولة لدماره بهذا الدخان الذي يسبب له الأمراض العديدة ويقربه سريعا من الهرم والشيخوخة .

ومن العجيب أن الدخان في زماننا كان لا يشربه إلا الرجال كبار السن أما الشباب فانهم لا يتعاطونه بصفة عامة وألاحظ في هذه الأيام أن الشباب قد أغرق تماما بالدخان وتمركزت « الشيشة » وهي بدون شك تطوير لحياة الغليون السابقة .. تمركزت الشيشة في أكثر البيوت .. لقد أغرق الشباب بالدخان بنوعياته المختلفة ونوعيات آلاته العجيبة وعزف عنه الرجال والشيوخ عزفوا عنه لوعيهم بمضاره وآثاره في تدمير الصحة

والنفس والمال .

لقد استرسلت في الغليون وتطوره ونسيت ما أنا
بصدده من أدابنا يوم أن كنا شبابا ويوم أن كان الأب هو
صاحب الكلمة النافذة المججلة يوم أن كان أمره الأمر
في البيت ونهيه النهي ولا يقتصر تأديبه على أولاده بل
يتعدى إلى أولاد القبيلة وشبان الحي أو الحارة فكل
الرجال الكبار كانوا آباء لكل الشباب فلا يسكتون على
أي أمر يرون أنه يخالف الشرع والعرف من أبناء الحي
ولا يجد الواحد منهم غضاظة وهو يعنف أو يضرب أي
طفل من أبناء الحي أو القبيلة لسوء رآه من أدبه ..
واذكر يابني أنني تلقيت كفا من رجل لا أعرفه يوم أن
كنت على أعتاب الشباب في الرابعة عشرة من عمري
تقريبا كف من رجل يأكل العسل وهذا يعني أنه كف
بمعناه وكل الذي جنيته في ذلك أنني ابتسمت أو
ضحكت وهو مقبل لأمر تذكرته بعيدا عن ذلك الرجل
ولا يتصل به وصادف إقباله فظن أنني ابتسمت أو

أضحك منه فناداني بكل هدوء وأنا لا أعرف لماذا
 وضربني ذلك الكف الذي جعل لأذني طيننا كاد يفقدها
 السمع فاخبرت أبي بذلك فقال « تستاهل » لأن
 الضحك عيب إذا لم يعرف السبب وقال ليتة اعطاك
 الكف الآخر .

أرأيت يا بني كيف يكون الأدب ؟ ثم ماذا يحدث
 لو أنني مسكت كل واحد من الشباب الذي نقلت لك
 صورة حالهم وآلمني في مجلس الرجال الكبار .. لو أنني
 مسكت كل واحد منهم وضربته كفا لسوء أدبه وقلة
 ذوقه وتبجحه وتقعره في حديثه وتعالیه .. لو ضربت
 كل واحد كفا لتلقيت عشرات الكفوف ولكانت مشكلة
 لا تنتهي الا بعد مرورنا بغرف التحقيق في الشرطة .

أعرف أنك ستقول بأن ذلك الزمان غير هذا وأن
 وسائل العصر قد باعدت بين جيل وجيل بل فصلت تماما
 كل جيل عن سابقه فصار لكل جيل حياته واستقلاليتها
 وكيانه ولكنني أقول بأن مبادئ ديننا الحنيف وأصالتنا

وانتمائنا أقوى من تلك الوسائل فاحترام الكبار
وتقديرهم وإجلالهم والتأدب في مجالسهم وأعطائهم ما
يستحقون من التوقير والاستفادة من تجاربهم كلها أمور
يجب أن يعرفها كل جيل لمن يأتي بعده وبهذا يكون
الترابط وتشاد صروح الحضارة والأصالة والانتماء
والسلام .



الرسالة السابعة والعشرون :

قبل عهد الملك عبد العزيز كان الرجل يسير بجوابه
اليوم واليوميه لا يجد منه يقرؤه له لتفشي الجهل
والأمية في هذه الأرض ...

الشعاب ... والقلاع - والمغارات
❖ الغدران والامياه الأسنة .

❖ والأجسام الأقوى منه الطفيليات ...

❖ الحضارة لم تترك النحل وعلمته الكسل
والخمول .

❖ دياجة الجوابات القديمة ...

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته ... على الدوام
أدام الباري علينا وعليكم نعمة الإسلام فإن سألتكم عنا
فنحن ولله الحمد أحوالنا تسركم من كافة الوجوه ولم
ينقص علينا سوى رؤية وجوهكم الطاهرة التي هي عندنا
غاية القصد والمراد من رب العباد ..

هذه ديباجة الخطابات التي كنا نتلقاها أو نكتبها
قبل أربعين عاما بعد ذكر المقدمة التي هي حضرة المكرم
العزیز المحترم الأخ أو الابن أو الخال أو ابن العم فلان ..
وبعد الديباجة السابقة يأتي ذكر الغرض من
الخطاب الذي عادة يكتبه الكاتب باللهجة العامية حسب
منطوق المرسل وبعده يأتي السلام الذي يكون نصه :
سلم لنا على خاصة نفسك وعلى كل من لديكم عزيز
ومن يسأل عنا ثم يجري تعديد الذين يبلغون بالسلام
بالأسماء ذكورا وإناثا إلا أن الأسماء الخاصة بالنساء
يستعاض عنها بالكنية كأم فلان وأم فلانة ويختم
الخطاب بتعداد أسماء الذين يبلغون السلام من قبل

المرسل إلى المرسل اليه حيث يقول : ومن عندنا يسلم عليكم الجماعة بدون عدد ولا تخصيص ويسرد بعضا منهم ومن الأولاد ثم يجري التأكيد للغرض الذي كتب من أجله الخطاب وتكرر كلمة « لازم .. لازم » للتأكيد لما يراد أو تأتي جملة « من حقنا عليك أن تفعل كذا ؟ وكذا » إذا كان الأمر يقتضي إثارة النخوة والتذكير بالحقوق وكل كاتب لا يذكر الديباجة السابقة ولا يحفظها نصا ولا يضعها بترتيبها في الجواب الذي يكتبه ليعتبرونه كاتبا ولذلك حفظتها وأنا في السنة الثانية الابتدائية وحفظي لها ليس في المدرسة بل كنت شغوبا بالكتابة وكنت أتلقف أي خطاب يأتي لأي رجل من القرية لأقرأه له وأطلب منه أن يتركه لدى لأكتب مثله ولا تستغرب يا بني أو تشك في ذلك قياسا على ما ترى من تدنى مستوى طلابك في باب القراءة والكتابة في هذا الوقت الذي توفرت فيه كل وسائل القراءة والكتابة ومع ذلك تأتي لخريج الكفاءة أو الثانوية وهو لا يستطيع أن يحرر خطابا صحيحا في لفظه وكتابته .

سائل

لقد كان جيلنا في السبعينيات الهجرية يوم أن كنا في الابتدائية شغوفاً بالقراءة وكل ما يتصل بها ولذلك صار من ذلك الجيل مدرسون لا يحملون أكثر من الشهادة الابتدائية أو شهادة النجاح من الصف الخامس الابتدائي وقد درسونا بكل ثقة واقتدار لأن الطالب أو المدرس في ذلك الوقت لا يقتصر على ما يأخذه بالمدرسة من مواد بل كان دائم الاطلاع دائم السعي للمعرفة وفوق كل ذلك فهو رجل في تعليمه وفي شخصيته .

أي بني :

ذكرت لك ديباجة الخطابات يوم أن كان الخطاب أو الجواب كما نسميه هو كل شئ في عالم الاتصال ويوم أن عم ظلام الجهل في هذه البلاد قبل أن ننعم بهذه المظلة السعودية التي نشرت العلم في كل غار وكهف وواد وشعب في بلادنا الغالية .. ويذكر لنا أبائنا وأجدادنا أن الرجل كان يسير مسافة اليوم واليومين في بعض الأماكن لا يجد من يقرأ له جواباً أو يكتب له خطاباً فأين ذلك مما نعيشه اليوم في باب الاتصال

والمواصلات؟! أين ذلك من حياتنا في عصر الهاتف
والبريد الممتاز وعصر الفاكس بكل تشعباته وفروعه ..
إنها نقلة حضارية شاهداها وعاشناها ولو قسناها
بمقاييس تطور الأمم والشعوب لدخلت في باب الخيال
والاحلام .. ولاحتاجت إلى مئات السنين ليحدث هذا
التطور العجيب والنقلة الحضارية الهائلة وفي يقيني
يابني أنه لولا توفيق الله سبحانه وتعالى ثم تلك العزيمة
الصادقة والإيمان القوي لعبقري العصر الملك عبدالعزيز
يرحمه الله ولأبنائه من بعده لعشنا في ذلك الظلام
الحالك إلى يوم الناس هذا فالحمد لله أولا وآخر ثم
الشكر والدعاء بالتوفيق لقادتنا في كل حين .

لا أدري كيف استرسلت في مقدمة رسالتي هذه
إليك وصرت في تلة غير التلة التي رغبت أن
أصحبك فيها لأنني اعتدت في كل مرة أن أصحبك في
تلة من التلاع بين جبال شاهقة وأعرج بك في شعابها
وأطلعك على بعض الكهوف و« الغيران » أو المغارات
حتى أحس بسأمك فأتركها وهي لم تكتمل لأبدأ في

شعاب تلعة جديدة وهكذا .

والتلعة يابني بتشديد التاء وسكون اللام وفتح العين هي شعب كبير بين جبلين أو هي واد صغير تزحمه الجبال من جهتيه حتى يضيق عرضه وفي آخر التلعة يعترض جبل يضع نهاية لها ويكون هذا آخر التلعة وغالبا ما يكون في ذلك الآخر مياه تصب على هيئة شلالات تكون في منحدراتها غدرانا تكونت من الصخور لتحفظ الماء مدة طويلة كنا نسميها « قلات » مفردها قلتة وهي الغدير في الصخر خاصة إذا كان عميقا ..

وتلك الغدران أو القلات بسكون اللام وكسر القاف وفتح اللام وسكون التاء ولأنها قد تكونت من الحجر حافظة للماء تشرب منها السباع والطير مدة طويلة كما أسلفت قد تصل الى سنين عديدة عند انقطاع الأمطار ويتكون في مائها بمرور الايام والسنين دود وطفيليات تراها رأي العين ومع ذلك كان البدوي راعي الغنم أو المسافر لا يأنف أن يشرب من ذلك الماء الملىء

بالطحالب والدود والجراثيم وكل الذي كان يفعله هو أن
 يزبح ما يراه على سطح الماء بيده ثم يضع طرف عمامته
 على فمه ويثني ركبتيه ويعتمد على كفيه ويغمس فمه
 في الماء شاربا من خلال طرف العمامة كمصفاة لما يذهب
 الى جوفه من ماء . وأعود مرة أخرى لأقول بان التلعة
 بين الجبال تنحدر فيها شعاب جمع شعب وهو بين
 مرتفعين تسيل من خلاله الأمطار سيولا لتصب جميعها
 في تلة تنحدر جميعها أيضا إلى الوادي وفي التلعة
 ويجوار غدران المياه في آخرها وعلى جنبات الصخور في
 الغيران كما ذكر ومفردها غار يجد النحل فرصته ليبني
 خليته وقد يضع له الإنسان خلية في ذلك الغار ليعيش
 فيها ويبني أقراص العسل في أشكال هندسية عجيبة ..
 ويختار النحل موقعا لبناء خليته من أصعب المواقع
 في الصخور الصلدة حرصا وحذرا على خليته أو موقعه
 ولذلك يتعرض جالب عسل النحل قديما لأخطار لا يمكن
 تصورها في تسلقه لجنى العسل حتى أنه قد لا يجد
 موضعا لقدمه على صخرة صماء في علو شاهق وكذلك

الحال بالنسبة لصائدي صغار الصقور وكان النحل في تلك الشعاب يبني عسلا شهيا يتغذى ويستشفى به وكان قمة في النشاط والبذل والعطاء أما اليوم فلم تترك الحضارة للنحل ذلك المسكن ولا تلك الحياة وترفه النحل كما ترفه غيره ووجد السُّكَّر على باب الخلية وبجواره الماء فهو لا يذهب بعيدا وغزاه الخمول أو الكسل يفعل الإنسان الذي أعماه الطمع وأغرته المادة ليغفر بالنحل ويجبره على حياة غير حياته وطبيعة غير طبيعته ولذلك أعطانا النحل عسلا لا يزيد عن كونه مربى بالسكر ويفعل هذا التغرير من الإنسان لا أشك في أن نظام النحل الذي يعيش به داخل خليته بعد أن تبدلت من مواقعها الأصلية في الشعاب وعلى قمم الجبال والكهوف إلى « بلكونات » الشقق وأركان السطوح وزوايا المزارع لا أشك في أن نظامه في تقسيماته وتنظيماته قد عراه شئ من الخلل أو شئ من التناسي والكسل واللامبالاة .

أي بني :

نسيت أن أقول لك بأن الراعي أو ذلك المسافر الذي كان يشرب من مياه الغدران المليئة بالطفيليات و « عبس » الابل أي أبوالها في ذلك قد لايعتريه مرض بإرادة الله سبحانه وتعالى ويعيش كالحصان الجموح أو كالسبع القوى أتدرى لماذا ؟ لأنه يابني يعتمد على المشي والجري في حياته فهو طوال يومه يمشي بل أيامه ولذلك امتاز جسمه بالقوة من ممارسة هذه الرياضة التي أجبرته عليها ظروف حياته ومن هنا وجدت الطفيليات الجراثيم قوة في ذلك الجسم تتفوق عليها ولا تبالي بها فلم تؤثر فيه بأي حال من الأحوال وأضيف إلى ماسبق بأنه لم يقتصر الشرب من تلك الغدران في الأودية والمنخفضات في الأرض والقلات في الشعاب والحصى جمع حسو وهو الماء الذي ينقط من الجبل فيكون « فضية » صغيرة تحته .. لم يقتصر للشرب والاستعمال على الرعاة والمسافرين بل قد تجد قرية كاملة أو فريقا

سائل

من بيوت الشعر تعتمد حياتها في شربها على ذلك
الغدير الذي يبقى ماؤه طوال أيام سنة كاملة
فيستعملونه وهم مجبرون عليه لعدم وجود غيره حتى
ينضب ماؤه أو يأتي المطر فيزيد ذلك الماء ويجدده ..
فأين تلك الحياة مما نعيشه اليوم من نعومة الماء المنقى
والمحلى في شربنا واستعمالاتنا وأين تلك الغدران المليئة
بعبس الأبل التي قد تغير لونها أو طعمها وكانوا
«يتروشون» يسبحون ويستحمون مما تراه من برك في
هذه الأيام ومسابح قد نقيت مياهها وعمل فيها
«الفلتر» أثره تنقية وتجديدا ومنظرا .. ومع ذلك نخشى
من طفيليات الماء على اجسامنا لأنها قد صارت بفعل
الحضارة وقلة المشي من الضعف والنعومة إلى درجة
تأثير أضعف وأقل الطفيليات فيها .

أي بني :

أرجو أن تعذرني في كتابة هذه الرسائل إليك
لأنني قد أرغب في افادتك بموضوع معين ومع الحديث

رسائل

أسترسل في غيره ومن ذلك الغير إلى آخر فتطرق الرسالة مواضيع عديدة لم أخطط لبحثها وإنما يأتي بها سياق الكلام عفويا لأن حديثي إليك في هذه الرسائل هو حديث ساعته ولكنني مع تشعب الحديث في هذه الرسائل والتنقل من تلة إلى أخرى ومن شعب إلى شعب بكسر الشين .. مع ذلك متأكد بأنك لا تمل حديثي لتوفر عناصر التشويق فيه بالتنقل تارة وبالتنوع تارة أخرى وأنا مع كل ذلك أقول لك بأن كل الصيد في جوف القراء .. والسلام .



الرسالة الثامنة والعشرون :

أبو زيد الهلالي.... الزيد سالم...
أبو ليلى المهلهل.... قصص شعبية علمتنا
القراءة....
قال الراوي : جملة لها في نفسي الشيء الكثير...
في قرون مضت... ما كتب في أي كتاب كان أمراً
مسلياً ومصدقاً لدى العامة لجعلهم.

أي بني :

يوم أن كنا في المرحلة الابتدائية في بدايات السبعينيات الهجرية من القرن الماضي ويوم أن فكينا الحرف كما يقولون وكان ذلك في السنة الثانية الابتدائية على ما أذكر كنا وزملائي نقرأ كل شئ تقع عليه أعيننا وكنا نحظى بأكبار رجالات القرية وإعجابهم لقراءتنا وكأنهم وجدوا فينا ضالة طالما انتظروها وتألما لما كانوا عليه من جهل بالقراءة والكتابة .. وكانوا في مجالسهم يشيدون بالنابهين ويحمسون الآخرين ويفاخر والد الطفل الذي يشيد به رجالات القرية في فصاحته وسرعة قراءته وبراعته في قراءة « الجوابات » أي الخطابات التي ترسل من جهات أخرى إلى أي رجل في القرية .

وكان والدك يابني ممن حظى بنصيب كبير من إعجاب وإكبار أولئك الناس مما جعله يبذل جهودا مضنية لكي يكون سريعا في القراءة والكتابة وبالتالي يتيه فخرا كلما أشاد به أحد هنا أو هناك .. وقد

تطورت قراءتي لخطاباتهم إلى نوع آخر من القراءة لهم حيث وقع في يدي كتاب كبير مجلد ذو ورق أصفر كان عنوانه « تغريبة بني هلال » ولا أدري يا بني كيف وصل إلي ذلك الكتاب الذي كان نقطة بداية هامة من بدايات أبيك في مسار حياته إلى يومه هذا وكل الذي أدريه أنني وجدت نفسي وقد أُجِلِسْتُ في صدر المجلس وقد أحاط بي رجال كبار من القرية وأمامي وسادة فتحت عليها الكتاب وعلى ضوء الفانوس قرأت « تغريبة بني هلال » ..

وعشت مع أولئك الرجال في ليالي سمر لاتنسى مع قصص أبي زيد الهلالي وعلياء وذياب بن غانم وعزيز بن خاله وجابر وجبير وقصص الخضر أم « أبو زيد الهلالي » وشما وزهر البان والهيديبي والعقيلي حنظل وقصة الحيصا فرس « أبو زيد » وما خاضه عليها الفارس المغوار أبو زيد الهلالي سلامة من الحروب والأهوال وشجاعة الملك الصمصام والأمير بدران ونجم

الوضاح وقصص علياء ونجمة السحور وطير زيدان وورد
الروض ولما وحسنا والملكة شمس والملك الديدبان .
لقد وجدت نفسي يابني وأنا أتابع لأولئك الرجال
قراءة سيرة بني هلال تلك القصص الشعبية التي لا يعرف
مؤلفها ولا في أي العصور كان في ليال طويلة ..
وجدت نفسي كبيراً وأنا أقرأ والرجال يستمعون ويعلقون
على كل موقف من مواقف البطولة والفداء والتضحية
.. وجدت نفسي كبيراً وأنا ابن العقد الأول من عمري
حيث أتصدر المجلس وأحظى بالحفاوة والإعجاب من
رجال لهم القول والطول وكل ما يفقدونه أو يفتقدون إليه
في تلك الأيام هو التعليم الذي حرّموا منه ولم تنهياً
ظروفهم ولا في ظروف الحياة من حولهم لنيله ولذلك كان
جهلهم في هذا المجال جهلاً مرا جعلهم ينظرون إلى
الكتاب المطبوع أو الكتب المطبوعة ذات الأوراق الصفرة
نظرة التصديق الذي لا يقبل التشكيك أو الجدل .
وقد ساد لديهم في تلك الأيام التصديق المطلق

لكل ما يقرأ عليهم من كتاب ولذلك يحتاج أحدهم بالمقولة التي سمعها وإذا أراد الدليل على مقولته قال « هذه مكتوبة في الكتاب » وهنا يجري تصديقها المطلق من الجميع « طالما أنها مكتوبة في الكتاب » ولكل ذلك انتشرت البدع والخرافات ووجد ناشروها الفرصة أمام تلك العقول لنشر بدعهم وخرافاتهم وتعدى هذا إلى إفساد العقائد بأفكار وبدع ما أنزل الله بها من سلطان .. كل ذلك من أجل انتشار الجهل والامية القائمة في دنيا ذلك الجيل .. نعم يا بني لقد مرت بلادنا بفترة عصيبة من حياتها وهي تعيش عزلة كاملة وجهلا مركبا لا يمكن وصفه أو تصويره وقد توجد القرية أو القرى أو الوادي بقراه المتناثرة ولا يوجد به قارئ واحد ومن هنا كانت النظرة للقارئ وكذلك النظرة للكتاب بصفة عامة فهو محاط بالكثير من الإجلال والاحترام والتوقير من أولئك الناس فما قاله القارئ فلان أو كتب في كتاب أو ما قرئ عليهم من كتاب فهو صحيح

عندهم لا يقبل جدلاً ولا يرقى اليه شك دون نظر أو تفكير لما يريد الكاتب من مقولته أو دليله أو تعليله لما يورد من معلومات .

كان هذا قبل ان تسعد بلادنا بمظلة العهد السعودي الزاهر الذي تعيشه اليوم والذي عمت فيه المدارس كل شبر من هذه البلاد بحمد الله وفضله ونعمته .

أي بني :

أعود مرة أخرى إلى سيرة بني هلال التي كما قلت سابقاً وجدت نفسي راوياً لها ومتصدراً مجلس عصابة من الرجال أقرأ أحداثها في كل ليلة وسط حماس الرجال وتعليقاتهم ووقوفهم أو وقوف بعضهم إلى جانب فريق دون آخر من أحداث القصة ولا تسأل عن التحديات والحماس المنقطع النظير الذي قد يؤدي إلى خصومه وتعالى الاصوات بين الحاضرين لمناصرة فريق أو آخر وهكذا .

إنهم يعيشون في مجلسهم وكأنهم وسط غيار
 المعركة أو تعرجات الحيل والخديعة .. يعيشون القصة
 واقعا كما تعيش وجيلك واقع مباريات كرة القدم في
 عصر التلفزيون ومحطات الفضاء وكل الذي يفرق بين
 الموقفين أن محطات الفضاء التلفزيوني تنقل المباراة نقلا
 مباشرا لحظة بلحظة والكتاب وقارؤه ينقلون أحداث
 أبطال القصة كما كتبت وقد فني الأبطال وأنمحت آثارهم
 وذهبت معالم حياتهم منذ مئات السنين ..

ولا أنسى من مظاهر المعاشة مع أحداث القصة
 بكاء ذلك الشيخ رحمه الله يوم أن قلت :
 قال الرواي يا سادة يا كرام : ثم قال « أبو زيد »
 الهلالي بعدما سمع الخبر :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه
 ولي قلب زاد اليوم بالواجع
 لنا ذكر بين الناس كالمسك فايح
 شجعان .. وذكرنا بالعوالم شاع

ولا طلّع منا جبان ولا ردي
وكل عاصي عاد لحكمي طاع
وقال أبو زيد :

على ما قال أبوزيد الهلالي
بيلادي خير أرض في البرية
أنا سلطان ما لي من معارض
وأنا من نسل شجعان قضية
وتسعين ألف أنا قومي مؤكد

لهم وقفات مع ضربة قوية
لقد بكى الشيخ متأثرا من شعر أبي زيد وفخره
وكان واقفا فسقطت عصاه « الشون » أو الشومية كما
يقول بعضهم من يده لتأثره وحبه لفارس بني هلال أما
صاحب المشعاب فهو أيضا لا يقل تأثرا عن الشيخ في
موقف آخر حيث كان جالسا وسمع وصف شاعر لابنة
الملك الغضبان وتدعى « سعد الرجا » والذي بما قاله
فيها يصفها لسلطان بني هلال :

سعد الرجا بالحسن فايق جمالها
 عليها من الملبوس أغلى جديدها
 ولا مثلها بالسند والهند واليمن
 ولا في بلاد الترك يوجد نديدها
 الوصف مثل الغصن في عشق النداء
 والورد فتح فوق أعلى خدودها
 والخصر عود الزان ان كان مايل
 أو هو شبيه الرمح في يميني عنيدها
 فاقت بنات العرب بالحسن والغوى
 من شافها يا أمير يمسي فقيدها
 وما قلت يا أمير ربع وصفها
 خوفي على عقلك يروح شريدها
 لقد بلغ من تأثر صاحب المشعاب عند سماعه لهذا
 الشعر أن ضرب بمشعابه الأرض بقوة شديدة هاتفا
 بأعجاب بالشعر والموصوفة فانكسر المشعاب إلى نصفين
 وسط ضحك الجميع وهتافهم .

كنت أقرا طوال الجلسة حتى إذا ما انتهى المجلس
 كان آخرون يستزيدون من سرد القصة شغفا وحباً
 لتابعوها وينفض المجلس ورغبة بعضهم ملحة في
 الاستزادة وقد حظيت في أحد الأيام من أحدهم بنصف
 ريال على أن أكمل له قصة أبي زيد لأنه كما يقول لم
 يذق طعم النوم وهو يرى فارسه أبا زيد يتعرض لمهلكة
 قد لا ينجو منها في إحدى مغامراته ..
أي بني :

قصة بني هلال وقصص تغريبتهم وقصة الأمير
 سالم وكذلك قصص مغامرات عنتر بن شداد وسيف بن
 ذي يزن وقصة حمزة البهلون .. جميع هذه القصص على
 الرغم من أنها قصص شعبية قد لعب الخيال فيها دوره
 وعمتها السطحية في كثير من أحداثها والمبالغة في
 جميع أحوالها وعلى الرغم من أن ما بها من أشعار
 شعبية ينقصها الوزن والعمق في كثير من قصائدها وقد
 تختلف القافية وقد تلوى أعناق الكلمات من أجل

القافية .. على الرغم من كل ذلك إلا أنها قد لعبت في
 زمان شبابنا دورا كبيرا في التسلية والمتعة لنا وعشنا
 معها في عوالم السجع وطبقات الخيال أحلى ساعات
 وأيام قراءتنا تعلمنا منها القراءة واكتسبنا منها سعة
 الخيال الجامح وسرت من جراء تأثرنا بأحداثها فينا
 ومضات من النخوة والبطولة وحب المغامرة .. كنا نعيش
 معها كما يعيش الأطفال في أيامنا هذه مع أفلام
 الكرتون بالتلفزيون غير أنها قد عمقت فينا القراءة
 وحبها والتمرين عليها دون أن تفسد عيوننا أو تؤثر
 على سلوكنا .

لقد أحببت جملة « قال الراوي .. ياسادة ياكرام »
 وتعمقت في نفسي حتى كدت أقولها لك في مبدأ كل
 رسالة ولكنني خشيت أن تهجرني كما هجرت بضم الهاء
 وكسر الجيم تلك الكتب الشعبية هذه الأيام وانزوت في
 أركان مظلمة على رفوف المكتبات ..
 وإلى اللقاء في الرسالة القادمة

الرسالة التاسعة والعشرون :

❖ المسجد النبوي واستيعابه في عمارة الجديدة
مساحة المدينة القديمة بكاملها .

❖ أسواق البرسيم والمسامير والفوانيس والقلية
والمهايريس .

❖ أسواق الحباية والعياشة والتمارة ..

❖ برحات باب السلام .. وباب الرحمة ..

❖ في بداية القرن الماضي كان كل مه في داخل المدينة مه
سكانها ينسب إلى مهنته ولا يغضب مه ذلك ..

أي بني :

قلت في رسالتي الماضية بأن (المهراس) حمال
الأسية كما يقولون في هذا الباب فصوته لايجلجل وتدق
فيه مختلف أنواع الأدوية والحبوب لعمل الهريسة
والشرية ومختلف أشكال أعواد الدباغ التي تدق به
وتدبغ الجلود لتهيئها لمختلف أنواع الاستعمالات ..

وعلى ذلك المهراس واستعمالاته قد تستغرب
وزملاؤك في هذا العصر عندما أقول بأننا قد شاهدنا
قبل ثلاثين عاما سوقا بالمدينة المنورة مليئا بالمهاريس
وكان يقع في الشرق من مسجد الغمامة ويطلقون عليه
(سوق الفلتية) حيث اتخذت تلك المهاريس بمشابة
الطواحين في هذا العصر وكان يقوم على تلك المهاريس
في سوق الفلتية ذلك أناس تخصصوا بدق الحبوب
والدباغ ومختلف مايراد دقة للغذاء أو للاستشفاء .

أي بني :

أعدت لك المقطع السابق من رسالتي اليك الماضية

لسببين أولهما موقع سوق الفلتية حيث كتب في الرسالة بأنه يقع في شرقه مسجد الغمامة والواقع انني لم أقل في شرقه بل قلت : (وكان يقع في شرقي مسجد الغمامة) وهذا موقعه الذي كان ولكن الكاتب أبدل الياء هاء فاختلف الموقع وأوجد بذلك اعتراض المعارضين وصيحات النائمين على المواقع والمسميات .

أما السبب الآخر الذي جعلني أكتب هذا الجزء من الرسالة أن الكاتب سامحه الله لم تعجبه الهمزة فوق الواو في جملة (قد تستغرب وزملاؤك في هذا العصر) وخشى عليها من السقوط فأوجد لها كرسيًا لتستقر عليه وكتبها (وزملائك) فأراح نفسه بتنفيذ ما أراد رحمة بالهمزة وخوفًا عليها من السقوط ومادري حفظه الله أنه بعمله هذا قد أسقط أباك سقطة كبيرة أوجدت فيه كدمة رأي دمها انصار سيبويه جميعًا وصاحوا بصوت واحد ينادون بالويل والثبور ، وترك للغامزين واللامزين فرصة تحولت أعينهم من خلالها وتلمظت

سائل

ألسنتهم من جرائها وعلت وجوههم الابتسامات الصفراء
واللفتات المصطنعة من جراء هذه السقطة التي تسبب
فيها الناسخ أعانه الله .

أما أبوك يابني فكما تعرفه لا يرغب في ازعاج
سيبويه ولا يتحمل غمز أنصاره وغيرهم ويؤكد لك ولهم
أنه يعرف الضارب والمضروب بين عمرو وسعيد فلا
تحميلوه ما لا ذنب له فيه ..

أي بني :

قبل أن أبتعد عن المهاريس وسوقها وهو سوق
الفلتية كما كان يسميه أهل المدينة أود إحاطتك وإحاطة
زملائك بأن أولئك الناس أهل سوق الفلتية لا يستنكف
أحد منهم عندما ينسب إلى السوق فهو لا يغضب عندما
يقال عنه (فلتى) بفتح الفاء واللام وكسر التاء نسبة
الى سوق الفلتية أو المهنة في مجموعها وهو دق الحبوب
في المهاريس وكذلك الآخرون من أصحاب المهن الأخرى
لا يغضب أحدهم عندما ينسب إلى مهنته التي يمارسها

ويستعيش منها .. كان هذا في الستينات الهجرية من القرن الماضي وقد لاحظت هذا عندما أحسنت بي الظن لجنة حفل ثانوية طيبة بمناسبة مرور نصف قرن على إنشاء المدرسة وأوكلت إلي تأليف كتاب عن ثانوية طيبة وما مرت به من أطوار وتطور خلال خمسين عاما ورأيت من خلال بحثي في هذا الموضوع أن سجل قيد الطلاب الذين التحقوا بالمدرسة في بدايات تأسيسها يضم من بين حقول معلومات الطالب عند التسجيل بعد اسمه واسم أبيه وتاريخ ميلاده حقلاً خصص لعمل ولي الأمر فكان من بين تلك الاعمال لأولياء الأمور في ذلك الوقت (فلتى - قهوجي - سقاء - عريجي - دباغ - صباغ - كاتب في الامارة - صبي عند الخريجي - خردجي أي بائع خرده - معلم أي بناء - حمال عطرجي أي بائع عطر - عطار - عقلجي أي بائع أو صانع عقل - بقال - مطير حمام بالحرم - كناس بالحرم - فحام أي بائع فحم - خطاب أي بائع حطب - طباخ يسوق

سائل

العياشة - جمال أي يكرى جملة في السفر بين المدن
والقرى والكراء هو التحميل بأجرة - مدرس في مدرسة
الأيتام - أو مدرسة العلوم الشرعية - بائع بسوق
العياشة - جبان أي بائع جبن - سمان أي بائع سمن -
سائق - نحاس - رباب نحاس أي يرب النحاس -
بمعنى يجليه ويبيضه) .

وهكذا يابني كان ولي الأمر ينسب إلى مهنته في
تلك الأيام ولا يغضب من ذلك بل قد يفتخر بها لأنه كان
يتوارثها عن أبيه وجده ويأكل منها لقمة العيش فالنجار
والحداد وغيرهما يحس الواحد منهم بشيء من الاعتزاز
إذا ما لقب بمهنته التي ورثها عن أبيه وجده خاصة في
مدن الحجاز ومنها المدينة المنورة .. وحتى الطالب في
تلك الأيام لا يغضب عندما يسمع من مدرسه أو من أي
أحد من العاملين في المدرسة عندما يعرف عليه بمهنة
أبيه بعد كلمة ولد .. كأن يقال مثلاً فلان ولد فلان
الدباغ أو فلان ولد فلان القهوةجي أو فلان ولد فلان

الطباخ .. وكذلك العاملون في المدرسة لا يجد أي
مسؤول فيهم حرجا في أن يسجل بالسجل العمل
الصحيح الذي يمارسه والد الطالب .. كان ذلك يسير
بطيبة وحسن نية وصدق وإخلاص وعفوية ليس بها
ازدراء أو سخرية أو انتقاص .

أي بني :

ومادما قد تحدثنا عن سوق الفليته هذا الذي كان
يقع شرقي مسجد الغمامة ويفصله عنه الشارع دعنى
أخذك معى في نفس المنطقة قبل أن تهدم وتدخل ضمن
التوسعة الكبرى للمسجد النبوي الشريف .. إنك اليوم
ترى ساحات كبيرة ومشاريع ضخمة ومواقف وأنفاقاً
وطرقا في المنطقة الواقعة بين مسجد الغمامة والمسجد
النبوي الشريف وهذه المنطقة يابني كانت قبل إدخالها
في مشروع التوسعة العملاق لخادم الحرمين الشريفين
لمسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم كانت هذه
المنطقة تضم أسواق الحبابة والعياشة والتمارة والأدوات

المنزلية كما تضم أسواق الطباخة والفلتية والفاكهة
ودكاكين العطارة والقماشة .

كانت الأسواق في المدينة المنورة متخصصة وكل
سوق يضم أهل مهنة معينة فكان طالب الحاجة لا يتعب
كثيرا في البحث عنها بل يتجه إلى سوقها المعروف
فيجدها بأنواعها المختلفة وأسعارها المتباينة حسب
أنواعها وأصنافها وتمتد أسواق المدينة من موازاة الركن
الشمالي الشرقي لمسجد الغمامة وحتى باب السلام
وباب الرحمة للمسجد النبوي الشريف وتحد تلك الأسواق
بشارع المناخة غربا وبرحة باب السلام وباب الرحمة شرقا
فاذا خرجت من باب السلام تجد البرحة أمامك وكانت
مساحتها لاتزيد عن خمسين مترا في خمسين تقريبا
وبعد البرحة تصعد على درجات خمس أو ست لتسير
في شارع العينية الذي ينزلك على تلك البرحة وتسير
فيه وكانت دكاكينه يمينه ويسرة ولها مقدمات من العقود
الحجرية وكانت أرضه مرصوفة بالحجر المفروش وخلف

شارع العينية من جهة الجنوب كان يوجد سوق القماشة الذي احترق في التسعينات الهجرية وبعد نهاية شارع العينية أو قبل النهاية بخمسين مترا تجد برحة كانت تباع بها المفارش وقبلها كان بها سوق الخردة وهذه البرحة الصغيرة تؤدي الى أربعة منافذ منفذ شرقه على شارع العينية وآخر غربه على المناخة ومقاهيها وثالث الى جهة الجنوب يؤدي إلى باب المصري وسوق الحبابة وأسواق العياشة والتمارة والطباخة والفاكهة والنحاسة والكندرجية أو الأحذية والرابع الى الشمال ويؤدي إلى أسواق البرسيم والفصم وهو النوى المدقوق ودكاكين الأدوات المعمارية كالمسامير ومتطلباتها والكوالين وغيرها ومن هذا السوق منفذ آخر إلى سوق القفاصة وهو مخصص لبائعي وصانعي الأقفاص من جريد النخل وسوق الخياطة .

لا أدري كيف جرنى الحديث عن أسواق المدينة التي كانت أكثر من خمسة عشر سوقا في مساحة لاتزيد عن

الكليو متر المربع تقريبا والتي يحتاج الحديث عنها إلى رسالة مستقلة لشرحها لك بمدخلها ومخارجها ونوعيات مايباع فيها وما شهدته هذه المنطقة قبل تلك الأسواق من أسواق لأشياء أخرى قبل هدم أسوار المدينة وتوسعها .

أي بني :

وكل الذي سبب هذا الإيجاز لهذه الأسواق إبدال الناسخ الياء هاء في تحديد موقع سوق الفلتية لأن الفارق كبير بين قول : (يقع في شرقه مسجد الغمامة) وقول : (يقع في شرقي مسجد الغمامة) .

أي بني :

أرى أن دخولي في شرح أسواق المدينة قبل إدخال مساحتها في التوسعة الأخيرة للمسجد النبوي الشريف لم يشف غليلا ولكن أعدك بشرح مستفيض لها عند حديث لك عن المدينة في رسائل متوالية لها استقلالية خاصة وإعداد خاص وإلى اللقاء في رسالتي القادمة اليك .

الرسالة الثلاثون :

❖ العيون التجاجة .. الفلجان .. الديول .. الشريعة

(المنبع) .. الخيوف ونظريات السقيا ..

❖ كيف بنيت مساقى العيون وديولها ؟ ..

❖ متى أنشئت العيون ؟ ..

❖ غرف التفتيش .. (المعسات) ..

أي بني :

وعدتك في رسالة ماضية أن أحدثك عن العيون التي كانت ثجاجة في مختلف نواحي بلادنا والتي كانت مصدر الرزق لأهلها والمحيطين بها والعاملين فيها .. وكانت تزرع عليها أشجار النخيل والليمون وكافة أنواع الحبوب والخضروات .

كانت العين الواحدة تسقى الخيف والخيفين والثلاة والأربعة لقوتها وغزارة مائها ونظافة مجاريها وهطول الأمطار بين وقت وآخر على روافدها التي تغذيها وكانت تلك العيون تنتشر في المدينة المنورة في قباء والعوالي والجرف والعيون وفي سيد الشهداء وفي الأودية القريبة من المدينة والبعيدة عنها كوادي الصفراء ووادي الفرع ووادي ينبع وغيرها .

وقد اندثرت أكثر تلك العيون وجف ماؤها ولا يزال بعضها حتى يومنا هذا بحمد الله يسير في مجاريه ويسقى الخيوف التي كان يسقيها منذ مئات السنين .

والعين يابني هي ماء ينحدر من جبال وأودية يسير
 في (دبول) جمع دبل في باطن الأرض لمسافات بعيدة
 وقد بنى الأجداد تلك الدبول وهي مجاري الماء في باطن
 الأرض بالأحجار المطابقة من جهتيه وتم تسقيفه
 بالأحجار الطويلة (الصعانين والصفائح) من الاحجار
 أيضا وقد يمتد الدبل يضع كيلو مترات بعمق يصل
 أحيانا الى ثلاثين مترا في باطن الأرض في بعض
 الأماكن وبين كل مسافة وأخرى قد تصل إلى مائة متر
 وتزيد .. ينى أولئك الناس الذين قاموا باجراء العين في
 تلك (الدبول) الأرضية الجوفية . فلجان جمع فلج وهو
 عبارة عن غرفة مربعة أو مستطيلة تصل بين الدبل
 وسطح الأرض وقد جرى بناء هذه الفلجان بالأحجار
 وجرى كذلك تسقيفها وإعداد معلّم عليها وقد وضعوا
 تلك الغرف أو الفلجان من أجل تنظيف مجاري العين
 وإصلاح مايلحقها من خراب بين وقت وآخر وهي بمثابة
 غرف التفتيش التي عرفناها في أيامنا هذه لمجاري
 الصرف الصحي .

سائل

وكل عين لها العديد من الفلجان وكل فلج له مَعْلَمٌ يستدل به أهل العين لتحديد مكانه ويتوارثون تلك المعرفة جيلا بعد جيل .

وإذا ما حصل خراب أو دمار أو لاحظ الناس نقصا في ماء العين فإنهم يرتبون إجراءات العمل في دبول وفلجان العين بطريقة يأتيك شرحها لاحقا ثم يبدأون العمل حيث يختارون مجموعة من الرجال ذوي الخبرة والعقل والاتزان ويسيرون خلف بعضهم في (دبل) العين المظلم .. يدخلون فيه من (الشريعة) والشريعة هذه في كل عين هي نهاية الدبل مما يلي مساقى العين ومن الشريعة وما بعدها تسير العين في مجاريها المكشوفة غير المغطاة ويسمونه (ربيع العين) أو مجرى العين أو (ساقى العين) .

يدخل أولئك الرجال في دبل العين المظلم من الشريعة ويسيرون في وسط الماء بلمبات الزيت قديما أو الشموع ثم بالفوانيس ثم بالأتاريك حديثا (أتاريك

اليد) بالبطارية .. يسيرون داخل الدبل المظلم الموحش
 الضيق الذي يسيرون في بعض أماكن وقوفا وفي
 بعضها بانحناء وفي بعضها حبوا وفي بعضها زحفا على
 البطن وفي سيرهم يتفقدون المجرى (الدبل) حتى
 يصلوا الي (الفلج) بفتح الفاء واللام ثم يتخطونه الى
 الفلج الثاني والثالث وهكذا ومع سيرهم في الدبل
 (المجرى) الأرضي المغطى هناك آخرون يسيرون مع
 الوادي على سطح الأرض ويقفون على فوهة كل فلج
 وهو بالطبع مغطى ولا يعرف إلا بمعلمه الذي وضع له
 فاذا وجد العمال الذين بداخل الدبل تحت الأرض خرابا
 أو دمارا فيه عمدوا الى أقرب فلج (غرفة تفتيش) من
 ذلك الخراب أو الدمار ويصعد واحد منهم متسلقا الطرف
 الحجري وكل أطرافه مبنية من الحجر .. يتسلق الجدار
 حتى يصل إلى سقف الفلج ويأخذ حجرا يضرب به سقف
 الفلج حتى يسمعه من على سطح الأرض الذين يعلمونه
 بسماع دقة بدق آخر وهنا يعمدون الى فتح فوهة ذلك

سائل

الفلج وتُدلَّى الحبال وتربط (المناثل) أو (الزنابيل)
أو (القفف) الى من هم أسفل حيث تجرى الإصلاحات
المطلوبة ومن ثم يعاد (تطبيق) الفلج أو تسقيفه كما
كان بعد جذب الرجال الذين هم بداخل الدبل إلى سطح
الأرض منهين بذلك رحلة مظلمة لا يرون إلا من خلال
إضاءة الشموع واللمبات الزيتية والفوانيس والأتاريك
اليديوية .

والسؤال هنا يابني كيف بنى الأجداد تلك الدبول
في باطن الأرض بعمق يزيد على ثلاثين مترا في بعض
الأماكن والبناء على هذه الأعماق يعنى الحفر من
المصادر الرئيسية لمنابع العين وبناء جانبي المجرى لمسافة
قد تزيد على عشرة كيلو مترات وبعمق كما قلت لك
يزيد على ثلاثين مترا ومن ثم تسقيف ذلك المجرى
صيانة له من خراب السيول وعبث العابثين وردمه
وتعيين مواقع كل فلج للتنظيف والصيانة المستمرة ؟!
والسؤال الأكبر كيف تم هذا مع عدم توفر الإمكانيات

الآلية للحفر عبر أودية سحيقة وشعاب ملتوية ؟! ثم من المكتشف لكل عين ؟ ومن الذي حدد مسار كل عين وجهتها وفي أي عصر تم هذا ؟!

لقد حاولت يابني معرفة كل هذا وغيره عن أي عين من تلك العيون فلم أوفق وكل الذي حفظه لنا التاريخ مكتوبا أن مروان بن الحكم هو الذي أجرى العين الزرقاء إلى المدينة بأمر الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه .

كما أفادنا التاريخ أيضا بنتف عن بعض العيون كقوله (وأجرى الحسين بن زيد عين المضيق وعين ذات المروة وعين السقيا) .

كما أكد المؤرخون أن الناس في العصر الأموي اتجهوا الى الأرض زراعة وتعميرا وإجراء للعيون والاستفادة منها .

وقد حاولت أن أتبع تاريخ أي عين من عيون الأودية المحيطة بالمدينة المنورة كعيون وادي الصفراء

وعيون وادي الفرع وعيون ينبع النخل فلم أستطع لأن
بلادنا قد مرت عليها حقبة مختلفة بكافة معانيها فلم
تجد المعالم في كل قرية وواد وهجرة العقل المفكره الذي
يدون تاريخها بوعي وصدق واستقراء وحسن تدوين
وعرض .

قد تقول يا بني ويقول غيرك لو رجعت الى الوثائق
التي لدى الناس اليوم من أولئك الذين يعنيهم أمر تلك
العيون فلعلها تعطى شيئا من التاريخ المطلوب أو لعلها
تقرب ما نحن بصددده وأقول بأن هذا لم يغب عني
فبحثت الكثير ولكن ما وجدته حتى الآن لا يتعدى
الثلاثمائة السنة الماضية وكل الوثائق التي اطلعت
عليها تؤكد على زيادة في التنظيم وزيادة في الحرص
والحذر من التعديات والخصومات في الجزء والكل
وتحديد الربع والثلث أما البدايات الأولى وكيف تمت
والطريقة التي رؤى بها توجب العين (أي تقسيمها
الى وجاب وتسمية كل وجبة ولماذا) كل هذا وغيره
لا يزال غيبا لم يصل إلي علمه بعد .

أي بني :

لقد سألت كثيرا وترددت على العديد من تعنيهم
 أمور العيون في مختلف الأماكن بغية الوصول الى
 البدايات الأولى لكل عين .. وكنت أتوقع أن يفتح كل
 منهم قلبه لإظهار مآلديه من وثائق حول العين وما
 يتصل بها وسقيها وتوزيعها وبعضهم ممن أوكلت اليه
 قوامه العين ولكنني فوجئت بتجاهلهم رغم أن الهدف
 من ذلك هو التوثيق لما لديهم وما هم مشرفون عليه
 وتأکید تلك الأشرافية وتدوينها وإثباتها في بحوث
 كهذه تخرج بأذنه تعالى كتابا يحكي التاريخ والمعالم
 والتراث ويؤكد تلك الحضارة التي قامت لدينا في
 ماضي الأيام هنا أو هناك ومقدار ما وصل إليه ابن هذه
 الأرض في كل حقبة من حقبة التاريخ من وعي وإدراك
 وبعد نظر وتطبيق مختلف النظريات التي ينادي بها
 علماء العصر في التعامل مع الأرض وما بها في هذا
 الوقت مع أن الأجداد قد طبقوها قبل مئات السنين .

ومع شكري لأولئك النفر الذين وعوا هذه الرسالة وعرفوا نبيل الهدف وسمو الغاية من وراء بحثي في هذا الموضوع الذي أؤكد وأكرر أنه (أي البحث) سنوف يبرز الوجه الحضاري والأصالة والتاريخ بكل أبعاده مكتوبا لأجيالنا القادمة لكي يعرفوا ما قاسى فيه آباؤهم وأجدادهم وما وصلوا اليه من دقة في التنظيم في مجال الحقوق والمعاملات ويستوعبوا آلاف المسميات التي تفننها واثائق آبائهم وأجدادهم ولا يعلمون عن مفاهيمها شيئا .

مع شكري للمستجيبين والمساهمين في إجلاء الصورة وإظهار التاريخ المكتوب عن كل قرية بأصالتها وعمقها ودورها أقول لأولئك النفر من الذين عمت عليهم المسألة أو تخوفوا من إبراز واثائق أصالتهم بأنه لامجال لذلك كله وأن المسألة لاتتعدى البحث في ثنايا تاريخ كل عين أو خيف من تلك الخيوف التي تروى بالعيون ولا تزال واقفة تحكي للأجيال تاريخها في شموخ

سائل

وإباء وتقول للأجيال اللاحقة أنظروا لتاريخي موثقاً
مكتوباً خاصة في هذا العصر الذهبي الذي تعيشه مدناً
وقرانا في ازدهار وتألق تحت مظلة هذه الدوحة السعودية
الوارفة الظلال .. وخذوا من حضارتكم هذه مقاييس لما
كنتم فيه من (عيالات وميلات وظلعات) وما أنتم عليه
اليوم من وعي وحضارة وازدهار في أنفسكم وفي قراكم
وهجركم .

أي بني :

لا يزال الحديث موصولا عن العيون والخيف فألى
الرسالة القادمة التي تعرفك (بالربيع والخزانة والخرار
وقدر العين ونصفه وربعه والقيم وحلول الوجبة وغير ذلك
مما يتصل بالعين وشؤونها وشجونها) .. فألى اللقاء
والسلام ..

الرسالة الحادية والثلاثون :

❖ العيون الثجاجة .. قَيْمُ العِيه ..

❖ اللِّزْ .. صندوق العِيه ..

❖ الوجبة .. قَدْرُ العِيه ومحاذيره ..

❖ الرِّكْبُ أو الزايدة وجبتان منه أجل صلاح الدمار ..

❖ مُسَيَّرٌ وَجَابُ العِيه بأجمعها ..

أي بني :

قلت لك في الرسالة الماضية بأن العين تجري في
(دبول) مغطاة تحت الأرض وبين كل مسافة وأخرى
يوجد (فلج) وهو بمثابة غرفة التفتيش يجرى فتحها
وتنظيف الدبل وإصلاح ما به من خراب ثم تغطي فوهة
الفلج حتى لا تتسلط السيول عليها فتدمر الفلج ودبول
العين ولكل (عين) شريعة والشريعة هذه هي بداية مسار
العين في مجراها المكشوف غير المغطى وعادة تكون
الشريعة في أعلى الخيوف التي تسقيها العين .

أي بني :

تسير عين كل قرية من أعلاها في مجرى يسمونه
(ربيع العين) أو (جمل العين) وقد تعارف الناس على
تنظيم خاص لكل عين وتقنين لمسارها بوثائق مكتوبة
منذ أزمان بعيدة وبوساطة ذلك التنظيم الملزم يستطيع
كل صاحب حق أن يأخذه كاملا دون حيف أو ظلم أو
تعد .

وقمتاز تنظيمات العيون في كل نواحيها بالدقة المتناهية والتنظيم المتقن ولا توجد عين جارية تسقى المزارع في أي مكان إلا وقد وضع لها الأجداد التنظيم الدقيق .. بل والمتناهي الدقة من حيث الزمن والمقادير والمواقيت وقد تختلف المسميات وطريقة التوزيع بين عين وأخرى وبين مكان وغيره ولكن التنظيم الدقيق والتوزيع المنظم المكتوب الموثق بالعهود و(الملازم) بين الأجداد هو الذي يسير العين ويحدد كيفية توزيع المياه في كل وجبة .

وقد جرى العرف بين أهل القرى التي تسقى مزارعها بالعيون على وجود (قيم) بفتح القاف وتشديد الياء المكسورة .. قيم للعين في كل قرية وهذا القيم بمثابة الرئيس المنظم للعين وشؤونها وشجونها فهو الذي يلاحظ زيادتها ونقصها وهو الذي يدعو إلى تعمیرها أو إصلاح ما لحق مجاريها من خراب أو دمار وهو الذي يدعو كذلك إلى إصلاح ما تحدثه السيول من

خراب في دبول العين وفلجانها ..

ولايترك (القيم) عادة وحده في تقريراته
 وقراراته بل نصت وثائق العين على وجود عدد معين من
 أهل الخيف من الأربعة الى الثمانية في بعض العيون
 يقفون معه في النظر والمشورة وتأييد الصالح من
 مرثيات القيم ورفض ما عداها .. وهؤلاء المستشارون
 أو أهل النظر يجمعهم القيم في حالة الضرورة ويتشاور
 معهم على الاصلاح وموعده وبداية العمل إذا تم إقراره
 ومقدار (الفرق) وهو المبلغ الذي يخص كل صاحب
 وجبة ليدفعه من أجل العمل .

وهذا يتم بناء على ما يقرره القيم ومساعدوه من
 تقدير الإصلاح ما يراد إصلاحه من مبالغ حيث يعرف
 المبلغ الاجمالي تقديرا ثم يوزع علي عدد وجاب العين
 وما يخص كل وجبة يفرض على صاحب الوجبة
 وشركائه .. ويقوم المستشارون أو النظار أو أهل الخيف
 هؤلاء بجمع المبالغ من الآخرين كل من جماعته أو

من (إلزميته) وهم الذين ينوب عنهم في الحديث والكلام في أمر الصلاح للخييف .. يجمعون المبالغ عند (القيم) أو عند أمين الصندوق للخييف .

وقد جرت العادة في كثير من القرى أو العيون أو الخيوف على تحديد شخص معين يكون أميناً لصندوق العين عنده تجمع المبالغ وعن طريقه ينظر القيم وأهل الخييف يجرى مقابلة عمال العين الذين اختيروا لاصلاح الخراب أو رفع الدمار الذي يلحق مجاري العين .

وأمانة الصندوق هذه في كثير من القرى والعيون يجري عليها اتفاق على أنها تكون متوارثة عند أسرة معينة أبا عن جد كما هو الحال في القوامة وكذلك لزمية الخييف الذين يساعدون (القيم) في قوامته في كثير من العيون ونظامها يكون واحداً من كل قبيلة من القبائل التي لها ماء وموقف في القرية دون تحديده شخصياً حيث يتغير بين وقت وآخر ولكنه من نفس القبيلة أو الأسرة .

أي بني :

وكل عين قد تعارف الناس على تقسيماتها إلى
 وجاب والوجبة هنا تعنى النهار كاملا أو الليل كاملا
 فوجبة النهار تبدأ من طلوع الشمس في رؤوس الجبال
 في بعض القرى وفي بعضها من شقشقة العصافير في
 الفجر وبعضها من أذان الفجر حتي غروب الشمس ،
 وغروبه قبل معرفة الساعة عدم أثرها على رؤوس الجبال
 ووجبة الليل من غروب الشمس الى طلوعها .. وهناك
 علامات محددة لبدء الوجبة وانتهائها .. وبعض الوجاب
 هكذا ينطقونها .. بعض الوجاب نصت وثائق العين على
 زيادة عدد معين من (الأقدار) جمع قدر حسب نطقهم
 عليها بعد حلول الوجبة التي تليها .

وحلول الوجبة يعني انتهاء سابقتها وابتداء الوجبة
 الجديدة كذلك .. وكل عين جرى الاتفاق قديما على عدد
 الوجاب التي لها وقد تواترت الاجيال على ذلك فمنها
 ما نصت الوثائق على أن تكون ١٨ وجبة ليلا ونهارا

ومنها ما نصت الوثائق على ان تكون ١٢ وجبة ليلا ونهارا وقد تزيد في بعض العيون وقد تنقص حسب كبر العين وصغرها وبناء على ما تسقى كل عين من خيوف. وتلك (الوجاب) معروفة لدى قيم العين وأهل الخيف ملكية كل وجبة والشركاء مع المالك الذين لهم حق في السقى لأملاكهم من تلك الوجبة إذ ليس بالضرورة ان يكون الشريك أو (العميل) كما يسميه بعضهم من ذوي صاحب الوجبة أو من جماعته .

وصاحب الوجبة أو المتسمى بها هو الذي يسير العين في يوم وجبته بموجب (مسير) الوجبة وهي خطة سير كل وجبة من بدايتها الى نهايتها حيث يوجد (مسير) خطة سير وجاب العين و (مسير) خطة مسار كل وجبة ولا توجد عين بدون خطة مكتوبة لمسار وجابها ولا توجد وجبة بدون خطة مكتوبة لمسار العين فيها .

ويحرص أكثر أصحاب الوجاب على عدم اظهار خطة سير الوجبة لأنه يظهر أمام الناس أشياء لا يرغب

هو في ظهورها وربما سبب له ذلك الكثير من المشاكل والمصاعب التي لا يرغب فيها ولا يحبذ الخوض فيها بناء على ما حصل في ذلك المسار من تغيير وتبديل بمرور السنين .

وحتى يستطيع من لاء له في وجاب العين ورغبة في وجود رصيد لها سنويا نصت وثائق بعض العيون على أن تكون هناك وجبتان واحدة ليلا والأخرى نهارا زائدتان على الوجاب الأصلية يسمونها في بعض القرى (الزائدة) وفي بعض القرى (الركيب) .. وهاتان الوجبتان يجرى الحراج عليهما بعد صيف النخل في كل عام ويباع ماؤهما بالكامل بمبلغ معين على شخص أو أشخاص بالمزاد العلني والذي يشتري (الزائدة أو الركيب) يفرق الماء على الراغبين بالقدر الذي سوف أعرفك به تباعا .. يفرق الماء بحيث يفرض على القدر الواحد مبلغا معيناً ومن هنا يستطيع صاحب البلاد أو البستان الذي ليس له ماء أو كان ماؤه لا يكفيه زيادته

بالسقى من الركيب أو من الزائدة .

المهم أن المبلغ المتحصل من بيع وجبتي (الركيب) بالمزاد العلني سنويا يتحصله القيم ومساعدوه ويدخلونه في صندوق العين لدى الأمين وهذه المبالغ المتحصلة يحفظها الأمين لديه بموجب تسجيل ومتابعة سنوية تحسبا لخراب كبير يحصل في العين وقد كان الأمناء يحفظون المبالغ في بيوتهم أما اليوم فقد عمدوا الى البنوك لحفظها بها .. وتختلف مسميات الوجاب من عين لأخرى فبعضها يسير مع أسماء أيام الاسبوع بنفس الأسماء ولكنه يصادف الاختلاف إذا زادت الوجاب عن أيام الاسبوع وبذلك يكون سبت الأسبوع في غير سبت العين وهكذا ولكنه بمرور دورة الأيام تتفق ثم تختلف وهكذا .

وبعض العيون سميت الوجاب فيها بأسماء معينة وحددتها الوثائق القديمة ولا يمكن تغييرها أو تعليل التسمية لأنها سميت هكذا وكفى .

وبعض العيون سميت الوجاب فيها بأسماء ملاكها
كأسرة أو كقبيلة وبقيت على حالها ولا يمكن تغييرها
حتى ولو جرى بيع الوجبة كاملاً لآخرين لأن وثائق العين
نصت عليها وحمتها من كل تغيير أو تبديل .

وتسير العين في مجاريها من الشريعة في أعلى
كل خيف وهي بداية مسار العين في مجراها غير المغطى
.. من الشريعة إلى أسفل مساقبها .. تسير في
مجاريها التي يسمونها (الربيع) أو المسقى أو جمل
العين ومن الطبيعي أن لا تكون الأرض في مستوى واحد
ولا تكون مجاري العين في انحدار عشوائي ولذلك تنبه
لها الاجداد منذ القدم وأعدوا لمستويات الأرض في
مجاري العين عدتها حيث عملوا مدرجات حجرية بين
كل مستوى من الأرض في المجرى وما يليه من منخفض
بحيث تكون تلك المدرجات بمثابة موازين تحفظ
مستويات معينة من منسوب الأرض والماء ولا تستطيع
العين في زيادتها أن تحفر المجرى بحيث يتضرر الناس

سائل

من ذلك وأطلقوا على كل مدرج منها اسم (خرار)
بتشديد الراء الأولى وسكون الثانية أو اسم (شلال) في
بعض القرى وتعارفت الاجيال على مواقع تلك الشلالات
في المجرى الرئيسي والفرعي فهي في أماكنها لا تحول
ولا تزال بمرور الأيام والسنين .. شلالات حجرية تبقى
مابقيت العين وما بقى المجرى .

ويحافظ كل أناس على موقع ذلك (الشلال)
الذي يستفيدون منه ويحافظ على منسوب الماء ليصل
إليهم .. يحافظون عليه لأن في إزالته أو العبث فيه
بتكسيه انحدار الماء عن أملاكهم وعدم استفادتهم
وعليها جرى العرف وبقيت بعض وثائق العين على
أهميتها ومستواها بحيث لا ترتفع فتحجز الماء
ولا تنخفض فينحدر الماء وتكون معاناة في تحويلة
والاستفادة منه .

أي بني :

ولا يزال الحديث موصولا عن الخيوف والعيون فلا
تعجل والسلام .

الرسالة الثانية والثلاثون :

- ❖ مجاري العيون .. الخرار أو الشلال
- ❖ نغمات وأصوات للتنظيم .. القدر والمعبّر
- ❖ أنظمة وأحرف من أجل العيون ...
- ❖ موازيت ثابتة في مسار العيون ...
- ❖ لا عيب ولا إهمال ولا مبالاة في نظام توزيع كل
وجبة ...

أي بني :

وكما قلت لك في الرسالة بأن العيون كانت تسير في مجار لها وسط الخيوف التي تسقيها وكانت المجاري تسير حسب مستوى البساتين أو البلدان التي يخترقها ذلك المجرى فإذا صادف أن انخفضت الأرض قاموا بعمل (خرار) أو (شلال) يجري بميزان معين يحفظ مستوى التوازن للماء وللأرض حتى لاتنحدر المياه وتكون صعوبة في توجيهها في البلدان أو البساتين ذات الأراضي المرتفعة وجرت حماية تلك الشلالات بكثير من الاتفاقات الملزمة وكم جرت تلك الشلالات من مشاكل عندما تكسر أو تخلف عن أماكنها وقلت لك بأن كل عين لها عدد من (الوجاب) المحددة بأسمائها والوجاب جمع وجبة حسب منطوقهم والوجبة من الصباح حتى الغروب ووجبة الليل من غروب الشمس حتى شروقها مع اختلافات قليلة في المواقيت أو في التوقيت على الأصح .

وكل عين لها تقنين في توزيع كل وجبة فهناك
عيون توزع الوجبة فيها بالاجزاء كنصف الوجبة وربعها
وثلثها ونصف الثمن وهكذا .. وهناك عيون توزع
الوجبة فيها بالقدر ..

والقدر يابني هو عبارة عن قدر من المعدن يملأ
بالماء بداية وهناك طاسة من المعدن بوزن معين قد خرمت
في أسفلها فتوضع الطاسة في القدر المملئ بالماء وهي
فارغة وثقيلة فيعلو الماء من الثقب السفلي ويستغرق
علو الماء من الثقب في الطاسة الصغيرة وقتاً من الزمن
حتى تمتلئ فإذا امتلأت سقطت في القدر وإذا سقطت
صار في مفهومهم قدراً بكسر القاف وعلى الفور يلتقط
المسؤول عن التوزيع للوجبة تلك الطاسة من قاع القدر
وينتشلها فارغة وينفضها بسرعة ويعيدها إلى حالتها
الأولى في وسط القدر المملوء ماء حيث يبدأ كيل جديد
لقدر ثان وثالث وهكذا .

تم العملية بالحساب والعين داخل (البلاد) أو

البستان فإذا تم المقرر للبلاذ من الماء تحول الماء عنها إلى غيرها ولولم تشرب البلاذ بالكامل حيث قد يكون المقرر للبلاذ من الماء قليلا وهي كبيرة ؟

وبصورة أوضح وحتى تفهم وجيلك طريقة الحساب بالقدر هكذا أقول لو أن لأبيك بستانا له من الماء الجاري (العين) من فضل الله الباري من قرار العين في الوجبة الفلانية خمسة أقدار فأئني في اليوم المحدد وفي وقت محدد بناء على ما نصت عليه الوثائق أكون عند مشرب البستان (يسمونها الخزانة في بعض القرى) وعند حلول الوقت المحدد هذا ليلا أو نهارا أنحى العين إلى البلاذ وفي أثناء تنحيتي لها أو تميلها يقوم صاحب الوجبة ببداية كيل القدر حيث يضع الطاسة المعدنية المشقوبة في وسط القدر المملوء بالماء فيعلو الماء من الثقب حتى تمتلئ الطاسة فتسقط وينتشلها فارغة وينفضها بسرعة ويعيدها ثانية وهكذا حتى تسقط وثالثة ورابعة وخامسة فإذا سقطت في المرة الخامسة

جری تنحية العين الى عميل آخر أو صاحب حق آخر يأتي في الترتيب بعدى حسب خطة الوجبة ومسيرها فيأخذ الآخر نصيبه بمثل ما أخذت أنا حتى ينتهي صاحب الوجبة من الشركاء معه فيها ويسمونهم (عملاء) (بعيدا عن السياسة) لأن العميل في عرف أصحاب العيون هو من له حصة محددة في وجبة فهو يسقى بمقدار حصته ويدفع من الغرم لإصلاح العين لصاحب الوجبة بقدر حصته .. ويجب أن يكون صاحب الحق من الماء حاضرا ومن لا يكون حاضرا في الزمان والمكان وقت تلك الحصة هو أو نائبة في يوم الوجبة فلا حق له في المطالبة بإعادة الماء إليه لأن وقته قد انتهى ولا تعود اليه العين مرة أخرى في تلك الوجبة وهذا تأديب متفق عليه حتى لا يكون الماء والوقت مجالا للتهرب أو التسويف أو الأخذ والرد فيما لا طائل منه ولا فائدة فيه ...

فالتقنين مهم في عرف العيون وأهلها وعامل

الزمن بحسب له ألف حساب والماء الجاري لامجال للعب
به أو التهاون فيه فمن له حق أخذه في وقته كاملا ومن
ليس له حق لا يأخذ إلا بفضل .

وهناك علامات في تلك الطاسة المعدنية الصغيرة
تبين ثلث القدر ونصفه وربعه فقد يكون لأحدهم خمسة
أقدار ونصف فتستوفى الخمسة ويستوفى النصف بهذا
المقدار بحيث اذا وصل ماء الطاسة إلى ذلك الحد
(النصف مثلا) انتشلت لانتهاء المقرر وفي بعض
الأحيان قديما كان من يجلس لكيال المقرر من الماء لكل
بلاد أو بستان في مكان بعيدا عن (السقاي) وهو
الذي يتولى تحريف العين وتحويلها من بلاد لأخرى
ولذلك تعارفوا في كل قرية على نداء معين أو صوت
معين بين من يكيال المقادير وبين من يحول العين
(السقاي) كما ينطقونه فاذا كانت لبستان مثلا ثلاثة
أقدار فإن صاحب القدر يكيلها أو يحسبها بقدره
بالطريقة المذكورة سابقا فاذا انتهت أطلق صوتا يسمعه

(السقاي) الذي يحول الماء فيجيبه بصوت مثله إعلاما له بأنني قد سمعتك فيحولها إلى ثان فيكيل صاحب القدر المقرر لها ويرفع الصوت بانتهاء المقرر ويجيبه الآخر بصوت مثله إعلاما له بأنني سمعت صوتك وحولت الماء إلى الذي بعده وهكذا .. وذلك الصوت الذي يطلقه صاحب القدر بعد انتهاء المقرر لكل بلاد أو بستان هو قوله بصوت مرتفع في بعض العيون (يا و هـ) فيجيبه السقاي بنفس النغمة والصوت وفي بعض القرى (أ و هـ) بصوت عال فيجيبه بنفس النغمة والصوت وكانوا لا يبالون برفع الصوت هذا ليلا أو نهارا لأنه متعارف عليه ولا أحد ينكره لا من قريب ولا من بعيد . وعند انتهاء الوجبة يسلم القدر أو (المعبار) كما يسميه بعضهم إلى صاحب الوجبة الجديدة وهكذا ينتقل القدر من صاحب وجبة إلى الذي يليه دون أن يمسه أحد بسوء أو بعث فيه أو يعرضه للإهمال لأن له (لزم) عهود ومواثيق تحميه من الجميع وقيم الخيف يراقب تنقله ويراقب استقامة أموره في تحقيق العدالة .

أي بني :

ربما تسأل كيف يعرف العبث في القدر .. قدر العين وكيف يتم ؟! فأقول إن العبث فيه يأتي في مجال توسعة الثقب الذي في أسفل الطاسة بحيث تمتلئ بسرعة في مدة أقصر من المقرر وفي هذا ضرر على أصحاب الحقوق وفائدة كبيرة لأصحاب الجواب لأنه بهذا يوفر لهم المزيد من الوقت الذي يعطيهم فرصة أكبر للماء من الوجبة فاذا وجد شك في هذا اجتمع (لزمية الخيف) عند القيم وهم مساعدوه وأخرجوا قدرا أساسيا عند القيم حيث يوجد في أكثر العيون قدرا أحدهما يتنقل مع الجواب والثاني يبقى عند القيم للرجوع اليه وقت الشكك في العبث أو اللعب في القدر المتنقل ..

أقول إذا وجد شك في القدر المتنقل اجتمع لزمية الخيف عند القيم وأحضروا القدر الأساسي والآخر المتنقل ووضعت طاستا القدرين وسط كل منهما في وقت واحد فإن امتلا وسقطا في وقت واحد كان ذلك هو المطلوب

وإن سقطت طاسة المتنقل قبل الأساسي عرف العبث
 وجرى تقرير الثقب في المتنقل بالرصاص بواسطة مختص
 بهذا حتى يساوي الأساسي ثم يجرى تعقب من وجد
 الشك حوله للعبث فيه لأن العبث في ثقب طاسة القدر
 يعدونه خيانة ولا يقرون ضرره ولا يعاملون فيه ولذلك
 فإن العبث في ذلك كان لا يحدث إلا نادرا وفي حالات
 شاذة جدا .

أما في الوقت الحاضر وبعد معرفة الساعات
 والدقائق والثواني اتفق العاملون (بالقدر) في جميع
 العيون على تقرير القدر بالدقائق بحيث تم حساب الزمن
 الذي كانت الطاسة تستغرقه حتى تمتلئ من ثقبها
 وتسقط وبذلك اتفق أهل الخيوف الذين كان القدر
 معيارهم ولا تزال العيون تجري لديهم على هذا التقنين
 الساعاتي الدقائقي وبقي قدر العين القديم أو المعبار
 ذكرى تاريخ حافل بالعبث والعظات والقيم والمثل
 والأخلاق في التعامل والصدق .

سائل

وبعد التقنين بالدقائق لو فرض بأن القدر على
حساب امتلاء الطاسة وسقوطها دقيقتان ونصف فان
الساعة يكون بها ٢٤ قدراً .

أي بني :

لعلي بهذا الشرح المفصل قد أعطيتك وجيلك
الفكرة الوافية عن قدر العين الذي كانوا به يتعاملون
ويوزعون الماء بحسب حصة كل مستحق وهو شرح
تعمدت الإطالة فيه بعض الشيء لأن فهمه قد يستعصى
على الكثيرين وقد حدثني بذلك أحد دكاترة الجامعات
وهو يشرح لي ظانا عدم معرفتي بالقدر ومداخلاته وأخذ
يومها يحدثني بأن السقى بالقدر في العيون يتمثل في
تعبئة قدر كبير من العين ثم تفريغه في الحوض المراد
سقيه مرة أو مرات عديدة وكان مصرا على رأيه واقفا
عند قوله بتحد غريب ويومها ضحكت كثيرا لأنه
اعتقد أن شهادته قد أهلتة للحديث في كل شئ فصار
لايدري .. ولايدري أنه لايدري .. وإنني أعيدك يابني
أن تكون من هذا الصنف من البشر .

بقى شيء مهم في موضوع كيل القدر وهو تلك
 الأنظمة والقوانين التي تعارفوا عليها والتي تجعل من
 كيل القدر أو قياس القدر شيئاً مقدساً لا يجرؤ أي واحد
 من التعدي عليه أو اللعب فيه لأنه ميزان حساس قد
 أحاطوه بأنظمة وتعليمات تعارفوا عليها وتناقلوها
 وحموها حماية تامة من تجرؤ العابثين أو شطحات
 التائهين . وبهذه المناسبة يابني أورد لك قصة ذلك
 الجاهل بأنظمة العيون وميزان توزيعها ويوم أن كان
 الحكم للرمح والسيف والقبليّة العمياء قبل أن تسعد
 بلادنا بمظلة هذا العهد السعودي الزاهر الذي حكم شرع
 الله فأمن الناس وعرفوا مالهم وما عليهم في ذلك الزمن
 أحاط أهل الخيوف التي تسقى بالعيون ميزان الماء أو
 قدر توزيع العيون بالكثير من الأنظمة التي رأوا
 ضرورتها حتى لا يتعدى أحد على أحد ولا يعبث جاهل أو
 متجاهل بالقدر وهو يؤدي مهمته فكان محرماً في
 عرفهم مس القدر أو طاسته أثناء الكيل به لأن مسه أو

تحريكه يخل به وقد يؤدي الى زيادة الوقت أو نقصه
وفي كل ذلك ضرر .

المهم أنه صادف أثناء الكيل لماء إحدى (المزارع)
أن أتى صاحبها ورأى أن ماء مزرعته قد قارب الانتهاء
وهي لم تشرب في نظره فتجراً على القدر ومد يده
ليبلغ كيلاً ويبدأ آخر ضماناً لزيادة الوقت على القدر
فما كان من صاحب الوجبة الذي كان جالساً للكيل إلا
أن أخرج (الجنبية) من وسطه التي كان محتزماً بها
بسرعة عجيبة وضرب بها تلك اليد التي تجرأت على أن
تخل بميزان الماء (القدر) وإذا باليد ساقطة على الأرض
وعندها صاح الصائح وطاح الطائح ودخل الدخيل وكانت
مشكلة كبيرة سببها التعدي على ذلك القدر ومحاولة
هتك حرمة وتحويله عن مساره .

الرسالة التاسعة والعشرون :

العيون التجاجة .. العيون ذوات الحور
البلاد ... (البستان) الحوض ... الكوز ...
الخرانة ومحاذيرها ... أوقاف النخيل والمزارع ...
نصوص متواترة في كيفية الوقف .

أي بني :

ولا يزال الحديث موصولا عن العيون الجارية وليس
عن العيون ذوات الحور التي وصفها الشاعر العربي
بقوله :

إن العيون التي في طرفها حور

قتلنا ثم لم يحين قتلنا

يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن أضعف خلق الله إنسانا

إن العيون ذوات الحور يابني والتي عناها الشاعر

لها حديث آخر سوف تجده بين ثنايا رسالتي إليك والتي

تتحدث عن (اللبة والشميلة والدملج والخلخال والفتخة

والهلال والخاتم السليمانى والقطيفة وغيرها من

تجهيزات العروس في زمن مضى قبل أن يعرف الناس

الذهب ومكملاته والفستان وفروعه والدقاقة وأتباعها) .

حديثي اليوم يابني لا يزال موصولا عن العيون

المائية الجارية التي كانت تسقى الخيوف الكبيرة

والصغيرة والتي عاشت بها ومعها قرانا ردحا من الزمن
تزرع عليها النخيل والليمون وأنواع الحبوب وترتوي
منها ماءً زلالاً يروي العطش للإنسان والحيوان
والنبات.

لقد كانت الأودية الكبيرة يابني كوادي الفرع
ووادي حجر ووادي الصفراء ووادي ينبع النخل تزخر
بتلك العيون الشجاجة فزرع الناس النخيل على تلك
العيون وصارت العين الواحدة تسقى الخيف والخيفين
والثلاثة بتنظيم متقن وتقنين ملزم بصورة توصل الحق
لصاحبه مهما كانت الظروف والأحوال ولعل ذلك
التنظيم والتقنين قد اتضح لك من خلال رسائلي السابقة
اليك عند التعريف بالوجبة وبدايتها ونهايتها في عرف
أهل العيون ومعنى القدر والكيل به واحترام تنظيمه
وقيم العين ومسؤولياته وعلاقته بأهل الخيف وغير ذلك
مما شرحت لك في الرسائل الماضية .

وتكملة لكل ذلك أقول بأن العين عادة تنبع من

سائل

(شريعته) وتسير في (ربعانها) أو مساقيتها ، على
خيوفا والخيوف كما ينطقونها جمع خيف والخيف
مجموعة من النخيل الملتحمة تحت جبل عادة أو في
جانب من الوادي مما يلي الجبل أو التل ولا يفصل نخيل
الخيف عن التحامه فاذا فصل بواد مثلا أو هضبة أو
جبل عن نخيل آخر فان الخيف الواحد ينتهي بذلك
الفاصل ويبدأ خيف جديد .. وهكذا .

فالخيف الواحد مجموعة من النخيل الملتفة
الملتحمة بلا فواصل كبيرة ولذلك قد يمتد الخيف الواحد
الى أكثر من ثلاثة كيلو مترات تقريبا بلا انقطاع
ويسمى خيفا واحدا وبذلك قد تقتصر العين الواحدة على
سقى الخيف الواحد وقد يستمر عطاؤها إلى أن تسقى
أكثر من ثلاثة خيوف بناء على صغر العين وكبرها وبناء
على رواء مصادرها وغزارتها .

أي بني :

لاتظن بأن نخيل الخيف الواحد والتحامها يعنى

انتشار النخيل هكذا بلا تنظيم ولا توزيع ولا تملك ؟ ..
 إن الخيف الواحد يضم مجموعة من النخيل الملتحمة كما
 قلت لك ولكن تلك المجموعة الكثيفة من النخيل
 يتخللها مساقبي العين داخل الخيف (البلدان) كما
 يجمعونها واحدها بلاد وهو البستان أو المزرعة وجميع
 مزارع الخيوف عادة تكون صغيرة اذا قيست بالمزارع
 التي ظهرت حديثا على الآبار .. إن مزارع الخيوف قد
 لا تزيد مساحة الواحدة عن ١٠م × ٢٠م ومع ذلك
 يسمونها مزرعة أو (بلادا) على الاصح واذا صغرت
 المساحة قليلا أطلق عليها اسم (حوض) أو كوز.

(خزانة) وهي عبارة عن فتحة البلاد أو الحوض أو
 الكوز، التي عن طريقها تدخل العين لتسقيها وهي
 فتحة معروفة واذا (عرضت) الخزانة أي اذا جرى سد
 الربيع أو المسقى بالتراب أو الرمل وفتحت الخزانة على
 البلاد أتت العين ودخل الماء إليها لتشرب وهذا لا يكون
 بالطبع إلا في وقت سقى البلاد من الوجبة في وقتها
 المحدد بحيث تستوفى حقها المقرر في الوقت المقرر ثم

يحول الماء عنها الى غيرها .

ولعل اسم (الخزانة) للبلاد وتسميتها بهذا الاسم كناية عن أنها الطريق الوحيد الذي تدخل منه العين في البلاد وعندما تغلق تحجز الماء الذي في البلاد أو البستان وتمنعه من الخروج حتى يبقى بها وتستفيد منه أرضها ومزروعاتها .

وكانت القوانين العرفية بين القبائل قبل أن تستظل بلادنا بمظلة العهد السعودي الزاهر الذي طبق الشريعة الاسلامية قولاً وعملاً بين الناس كانت القوانين العرفية بين القبائل تضع (صافع) الخزانة ثالثة الثلاث التي يجب على الرجل أن يعتدي ويفتك دون مشورة قومه وقبيلته ولو لم يعتد ويفتك لعده قومه من سقط المتاع ..

وتفسير ذلك يابني حسب عرفهم بأن البلاد إذا كانت لها حق السقيا في وجبة محددة وأتى صاحبها في نفس الموعد المحدد وفتح (خزانة) بلاده لتشرب ماءها

في الوجبة التي حقها فيها وصاحب البلاد واقف ينتظر
 أمام خزانة بلاده وفي هذه اللحظة يأتي صاحب الوجبة
 (ليصفع) الخزانة أي يسد على البلاد لكي لا تشرب مع
 ثبوت حقها زمنا وتحديدًا فإن صاحب البلاد في هذه
 الحالة لا يقف مكتوف الأيدي ولا يذهب لمشورة جماعته
 بل أعطاه عرفهم وجوب الاعتداء والفتك بصاحب الوجبة
 الذي ألغى حق البلاد في السقيا وتجاهل وقوف صاحبها
 ليأخذ حقها .

أعطاه العرف حق الاعتداء على صاحب الوجبة كما
 أعطاه أيضا تحمل القبيلة لكل ما يفعله في هذه الحالة
 ولذلك قالوا (ثلاث لامشورة فيها وطية الفراش وصفعة
 الخزانة وطرحة الرفيق) أما وطية الفراش فمعناه إذا
 وجد الرجل آخر في بيته والعياذ بالله وصفعة الخزانة
 كما شرحتها لك سابقا وأما طرحة الرفيق معناها نصرته
 والفرقة معه إذا اعتدى عليه أحد بحضور رفيقه أي ابن
 عمه أو أحد جماعته ..

هذه الثلاث أعطاه العرف القبلي القروى حق

الاعتداء والفتك بلا مشورة جماعته وهم يتحملون عنه جميع النتائج .. وقد يزيدون عليها رابعة وخامسة حسب مقتضيات الحال والظروف .

أي بني :

نعود مرة أخرى الى الخيف ومحتوياته من النخيل حيث قد تكون (البلاد) البستان لشخص واحد أو لعدة أشخاص أو لقبيلة كاملة اذا كانت متوارثة وداخلة في إطار (التوقيف) أو الوقف حيث كان النخل من أعز ما يملكه الرجل من المال ولذلك فإنه حينما يتعب عليه شراء وغرسا وحفاوة وغلاوة يخشى عليه من الضياع ممن يأتون بعده أو يخشى عليه من البيع بثمن بخس من الورثة ولذلك ورغبة في تأبيده وحبسه وحرمان الورثة من بيعه يقوم بتحرير وثيقة الوقف التي أقدم لك ولجلك نصاً واحداً منها وقد أعجبني نصها وتسلسل ما ورد بها من شروط وهي واحدة من آلاف الوثائق التي تجعل النخل قمة التملك وتحبسه من أجل استمرار

عطائه وتذكير الناس بموقفه وحرصه على استمرار أجره وشمولية صدقته ثم انظر يا بني الى نواحي الاحتراسات التي يجعلها الموقف حتى يضمن للموقف الاستمرارية والبقاء تقول الوثيقة بعد حذف المواقع والأسماء الحمد لله وحده .

حرر ذلك وجرى في يوم الجمعة واثنين وعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٢٨١هـ سنة واحد وثمانين ومائتان وألف .. هذه حجة شرعية محررة مرعية يعرب مضمونها ويظهر مكنونها من ذكر ما هو أنه لما كان الوقف من أعظم القربات وأجل الحسنات المندوبات المنتظمة في سلك قوله تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ وقول المظلل بالغمامة العبد في ظل صدقته يوم القيامة وقوله عليه السلام « اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد

صالح يدعو له « فكان ممن رغب في ذلك الأجر والثواب
الجزيل الرجل الكامل العاقل الرشيد (....) وهو بحال
الصحة والسلامة وتمام العقل شرعا وعرفا وقد أقر بإقرار
صحيح شرعي بأنه قد أوقف وحبس وسبل وتصدق بما
كان له في ملكه وحوزته في (....) وهي المواضع
المعروفة التي لها شهرة تغنى عن تحديدها (ويذكرها
جميعا بحدودها) قد أوقف وحبس وسبل (...) أصل
ماشهر وذكر على أولاده وأولاد أولاده نسلا بعد نسل
والأنثى تأكل نصيبها مدة حياتها وإذا ماتت ليس
لوارثها شيء للذكر مثل حظ الأنثيين وإذا انقرضوا
والعياذ بالله فهو للأقرب من العصبة فاذا انقرضوا
والعياذ بالله فهو يرجع للحرمين الشريفين الى أن يرث
الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وقد اشترط
الموقف شرطا عليها ان النظر للأرشد ثم الأرشد من
المستحقين وأن يبدأ بعمارة الوقف من غلته .. وبذلك
أصبح الوقف وقفا صحيحا شرعيا نافذا من وقته

وساعته وحينه وشرط أن لا يباع ولا يرهن ولا يمشي بالفساد فيه ملعون بايعه وملعون شاريه وملعون من مشى بالفساد فيه فمن بدله ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه والله سميع عليم وشرط الموقف على أن كلا يقوم مقام أبيه من الأولاد وأن الناظر على الوقف المذكور الأرشد من الأولاد وله المعشر من الوقف والقنو خدمة له وعلى ذلك وقع الأشهاد . شهد الله قبل خلقه وشهد بذلك (...) و (....) وكتب وشهد (....) والله خير الشاهدين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أرأيت يابني كيف كانوا يهتمون بالنخل وإصلاحه ثم أرأيت الاحترازاات العديدة والشروط التي يضعونها ثم الاهتمام بدقة اللفظ ومدلول الكلمة . أشياء كثيرة نتعلمها نحن جيل هذا العصر من هذا وغيره لو درسناها حق الدراسة واستوعبناها حق الاستيعاب والآن .. إلى لقاء في الرسالة القادمة والسلام .

الرسالة الرابعة والثلاثون :

العيون الثباجة ... ألزام في إصلاح دمار العيون
دخلة العيون ... التعرف بداية توجب العيون
بداية الوجبة ونهايتها ...
نظام مركز ... وعهود وموائق

أي بني :

وردت إلى رسالة من أحد زملائك يوم أمس يسألني فيها بعد أن عرف (قيم) العين ومسؤولياته عن ما يأخذه من أجر نظير قوامته ويعنى بذلك (القيم) بفتح القاف وتشديد الياء المكسورة فأقول : بأنه جرت العادة على أن يكون (قيم) كل خيف من خيوف النخيل التي تسقى على العيون أكثر الملاك ما لا في ذلك الخيف أو في تلك العين فيقام (القيم) لينظم عمل العين ويشرف على إصلاح كل خراب يلحق بمجاريها من جراء الهدم وأضرار السيول .. وحتى يكون عمله مراقبا جرى العرف على إقامة أربعة أو ستة من كبار الملاك في الخيف أو العين بحيث تكون المشورة ومناقشة أمور الإصلاح من عدمه مع (القيم) وهؤلاء النظار أو .اللزمية) كما يعرفونهم لا يتقاضون شيئا نظير مشورتهم أو مناقشاتهم أو اجتماعاتهم أما

(القيم) فإن (الزم) العين أي اتفاقياتها وقوانينها المكتوبة تفرض له أجره عاملين في اليوم الواحد وتنص بعض وثائق العيون في بعض الخيوف علي أن تكون أجره أحدهما من أعلى أجور العمال والآخر من أدناها أو أوسطها لان أجور عمال العيون في (الدبول والفلجان) تختلف من عامل لآخر بناء على الخبرة والتجارب والجرأة في الدخول إلى المجهول في تلك (الدبول) المظلمة (والفلجان) أو (الفقر) العميقة المظلمة أيضا .

فيوم (القيم) بيومين أثناء العمل لأنه هو المنظم وهو المنادي ببدء العمل وهو المشرف على شؤون الإصلاح وله من القوانين والنظم والعهود والمواثيق القديمة الملزمة ما يحميه من كل تعد أو باطل كما أن عليه أيضا من العهود والالتزامات والمواثيق والمتوارثة أبا عن جد ما يلزمه بالسير في خطة الإصلاح وحوله من النظر أو (اللزمية) من يساعده في تنفيذ خطة العمل وفي رسمها قبل كل شئ . وبذلك فهو المنادي ببدء

العمل بعد مشورة (أهل الخيف) وهو العارف بشؤون العمال والمشرف على صرف أجورهم من حصيلة ما يجتمع من (فرق) على كل وجاب أو وجبات العين .

أي بني :

وبتوضيح أكثر لمسؤوليات (القيم) لنفرض أن قيم أحد خيوف العين لاحظ خرابا أو أتى سيل وهدم بعض مجاري أو جسور العين فسارت العين في غير مجاريها وربما ذهبت مياهها الى الأودية .. عندئذ يعقد (القيم) اجتماعا لأهل الخيف الممثلين في الأربعة أو الستة أو الثمانية الذين حددتهم وثائق العين منذ القدم .. حيث أن وثائق كل عين نصت على أن يكون (الزمية) العين واحدا من كل قبيلة وحددت تلك القبيلة بعينها والقبيلة مع مرور السنين تختار واحداً منها وبموته تختار آخر وهكذا وفي بعض الأحيان تحدد الوثائق كون (الزمي) العين أحد افراد فخذ بعينها من قبيلة بعينها وبذلك تتوارث هذه النظارة أو (الزمة) جيلا بعد جيل

وتعتبرها حقا من حقوقها لاتفرط فيها مهما كانت
الأسباب لأن تفریطها فيها وضياعها من العيوب
الكبيرة التي تعير بها بين وقت وآخر .

يجتمع (القيم) بلزمة العين ويوضح لهم وجهة
نظرة وملاحظاته وبعد مناقشات عدة يقدرّون العمل وما
يلزمه من نقود لإصلاح الخراب ويوزعون كلفة
الإصلاح على قدر (وجاب) العين بحيث تكون حصة
جميع (الوجاب) متساوية والوجاب جمع وجبة في
عرفهم والوجبة من طلوع الشمس إلى غروبها أو من
غروبها حتى طلوعها .

وبعد توزيع المبلغ المقرر على الوجاب توزع حصة
كل وجبة على عدد الأقدار في تلك الوجبة أو على نسب
توزيعها إن كانت موزعة بالنسب كثمان الوجبة وربعها
ونصفها وثلاثة أرباعها وبذلك يعرف كل صاحب قدر
معين من الماء ما عليه من غرم وفي هذه الحالة يقوم
(اللزمية) بإبلاغ أصحاب الوجاب بما عليهم من (فرق)

أي مبالغ للإصلاح ويتم جمع تلك المبالغ على مستوى
الوجبة بحيث يقوم صاحب الوجبة بجمع المبالغ من
(عملائه) وهم الذين لهم حصة في وجبته ويتم الباقي
ويسلمه لأمين الصندوق الذي قد جرى تحديده مسبقا أو
يسلمه (للزيم) الذي هو مسؤول عنه واللزيم بدوره
يسلمه (القيم) أو لمن يختاره القيم ومساعدوه كأمين
للصندوق وعند جمع المبالغ التي فرضت على جميع
الوجاب ينادي ببدا العمل للإصلاح .

أي بني :

في زمان مضى لم يكن لدى الناس نقود يجمعونها
في أكثر الأوقات ولكن صاحب الوجبة عندما يعرف
الذي قد فرض على الوجبة من نقود يهيئ من العمال من
جماعته وخاصته وأبنائه ومن لهم حق في (السقى)
من وجبته يهيئهم للعمل يوميا بقدر ما على الوجبة من
نقود ويقوم هو بمحاسبتهم عن أجورهم نظير عملهم بعد
حسم ما عليهم من مبالغ نظير مالهم من مياه .

يعطيهم أجورهم من حبوب الدخن والذرة والشعير والأقمشة المستعملة في ذلك الوقت حتى يسدد ما على الوجبة من (فرق) أي مبلغ مقرر وهكذا يفعلون حيث تجد أن عمال العين هم أهلها وكل منهم يعمل بإخلاص لأنه يدفع بعمله ما عليه من مبالغ مقررة وبالتالي يلمس نتائج إخلاصه وإتقانه في استمرار الصلاح والإصلاح مدة أطول .. ويحدد قيم العين كاتباً يسجل يومياً اسم الوجبة وعدد العمال الذين أعدهم صاحب الوجبة (للمحادة) أي للعمل بقدر ما فرض على الوجبة من مبالغ ..

وهكذا يسير العمل بسرعة عجيبة لأن التأخير فيه أو التباطؤ يعرض نخيلهم ومزروعاتهم للهلاك أو لتقليل المحصول وهو ما لا يرغبونه اذ هو مصدر رزقهم ومعاشهم الذي منه يقتاتون وفي سبيله يستدينون وعند انتهاء العمل تماماً وعودة العين الى مجاريها وقد يكون نهاية الاصلاح ونهاية العمل تماماً في وسط النهار أو

قرب العصر أو مع بداية الليل لذلك جرى تقنين في كثير من العيون وبموجب وثائق قديمة على منح (القيم) جزء ذلك النهار وقام ليلته بحيث خصصت له العين يسقى منها ويعطى من يشاء ويمنع من يشاء مكافأة أخرى له علي إشرافه وقيومته فهو يستلم العين في جزء ذلك النهار وقام الليل له خاصة ويسمونها (الدخلة) بفتح الدال المشددة وفتح الخاء واللام وهذه ليست دخلة العروس .. بل شبيهة بها وهي دخلة العين في الخيف بعد تعطلها بسبب جرف السيول لبعض مجاريها كما أوضحت ذلك سابقا .

وقد جرى العرف في كثير من العيون عند انتهاء الإصلاح من الخراب الذي أدى الى ضياع العين وسيرها في الأودية في غير مجاريها .. جرى العرف كأيذان ببء وجاب العين المعتادة أن يأمر (القيم) مناديا ينادي بأعلى صوته بعد أداء صلاة الظهر أو العصر وبعد أن يحمد الله ذلك المنادي ويصلى على النبي صلى

الله عليه وسلم قائلاً بأن اليوم دخلة العين وغدا بداية
الوجاب ويسمى الوجبة الأولى التي ستكون في يوم
غد باسمها وهي الوجبة الأولى كما نصت عليه وثائق
العين أي هي البداية وبعدها تسير الوجاب تباعاً كما
هو مقرر .

وينوه عند تعريفه بذلك بأن اليوم دخلة العين
وغدا الوجبة الفلانية بأمر (القيم) وبذلك يعلم الجميع
حيث يردد المنادي تعريفه ذلك ثلاث مرات بصوت
يسمعه القاصي والداني في القرية .

أي بني :

هذه عادات قديمة وتقنين أعده الأجداد لمسار
العيون في كافة أحوالها في صلاحها وخراب مجاريها
ودبولها وحسبوا لكل حادثة حسابها خوفاً من اختلاط
الأوراق وإحداث المشاكل .

إن العيون يابني تسير في مجاريها وقد أحاطوها
بأنظمة قوانين وأعراف وحموها بالتزامات وجزاءات

رادعة وقد تختلف التسميات والجزئيات بين عين وأخرى
 وبين خيف وآخر ولكنها في مجموعها أنظمة مقننة
 ملزمة تحسب لكل شيء حسابه وتضع كل شيء قد
 يحدث في موضوع العين في مساره الصحيح دون حيف
 أو ظلم أو تعد فهم كما أخبرتك في رسائل السابقة
 أحكموا دبول ومجاري العيون ووضعو لها (الفلجان)
 أو (الفقر) جمع فقرة بضم الفاء وسكون القاف وفتح
 الراء (غرف التفتيش في عرفنا حاليا) وهم أوجدوا
 موازين سير الماء في (الربعان) بوساطة شلالات تحفظ
 مستوى الماء بين كل مرتفع ومنخفض في المجاري ..
 وقننوا فتحات كل بستان أو حوض بحيث لا تتعدى
 العين لسقيه إلا من خلال تلك (الفتحات) ولا خيار
 لصاحب البستان أو البلاد أو الحوض في ذلك بل عليه
 أن يلتزم بأن الماء لا يصل إلى (بلاد) أو بستانه إلا
 من خلال تلك الفتحة (الخزانة) .
 وهم أيضا حددوا عدد الرجاء التي تسير في

مسيرها تلك العين وأثبتوا بداية كل وجبة بأشعة الشمس في الصباح الباكر على قمم جبال معينة كبداية لوجبة النهار واضمحلال أشعتها الصفراء من على قمم معينة وعلامات مشهودة كبداية لوجبة الليل وهم كذلك أوجدوا ميزان توزيع كل ماء وكل وجبة (بقدر العين) الذي أحاطوه بالكثير من الأنظمة المقدسة الملزمة ولا أعنى بالتقديس التعظيم ولكنه شدة الالتزام بنظامه وعدم تجاوزه مهما كانت المبررات والأسباب وهم أيضا الذين أوجدوا نظم الإصلاح في العيون وحددوا موازين (قوامة) الخيوف والعيون وأوجدوا الأطر العامة التي يسير بها أولئك القوَّام وما لهم وما عليهم من حقوق وواجبات ولم يتركوهم بل أوجدوا وحددوا معهم مستشارين يمثلون أهل الخيف ويناقشون مختلف القضايا على مستوى الصالح العام والفائدة القصوى للعين وخيوفها .

أمر كثيرة وأنظمة ملزمة وعادات وأعراف في

نظام تلك العيون حفظتها الوثائق وتوارثها السلف عن
الخلف وإنها لدعوة مخصصة يا بني أوجهها من خلال
رسائلي هذه الى المختصين في كليات الزراعة والمياه
بالمملكة وهم يكلفون طلابهم بالبحوث المتخصصة أن
يولوا أنظمة العيون القديمة في مختلف جهات بلادنا
اهتماماتهم بحيث يحدد الطالب جهة منشئه ويكلف بناء
على ذلك بأعداد بحث ميداني مدعم بالوثائق والصور
عن تاريخ ونظام وعمارات أي عين يختارها في جهته .
إنهم لو أولوا هذه الناحية اهتماماتهم وأشادوا
بالطلاب المبرزين منهم لأوجدوا بعد وقت قصير تاريخا
وتراثا نحن في أمس الحاجة إليه لتكملة تلك الصور
الكبيرة عن أرضنا وما زخرت به من أمجاد على مر
العصور والأزمان .



الرسالة الخامسة والثلاثون :

❖ لا يجوع أهل بيت عندهم التمر...

❖ وصف قيصروم الروم للنخلة.. شغف الأعصاب بالنخيل

❖ النخلة كالإنسان تتأثر بالغربة تتألق بالعافية وتصاب

بالجنون...

❖ التمر زاد الفقير وحلوى الغني...

أي بني :

وصلتني يوم أمس رسائل من بعض زملائك يطلبون مني التطرق لبعض الأمور الأخرى في حياة الأجداد وأرجو يا بني أن تطمئن أولئك أن كل ما يدور في أذهانهم سوف يأتي تباعا بإذن الله في هذه الرسائل التي هي في واقعها تراث وتذكير وتربية .. وأنا يا بني لأرغب أن ابتر مجالا تحدثت عنه حتى أحاول أن أعطي الصورة المعقولة التي يستمتع بها المحب ولايسأم منها المستطلع وإن خرجت أحيانا بناء على مايجرني الحديث إليه ولكنني أحاول الرجوع إلى الصورة التي بدأتها ربطا لها وإكمالا لجوانبها حتى تبدو زاهية مشرقة تؤدي غرضها وتوضح لك ولجيلك حياة لأجيال سابقة بآمالها وآلامها وأفراحها وأتراحها .. وأرجو يا بني من زملائك أن يفهموا أن أباك في هذه الصور لا يزال في بدايتها وأن يتركوا لي المجال ولايقاطعوني في حديثي ، وسأقدم لكم العديد من الصور الملونة عن بيت الطين ومكوناته

وبيت الشعر بفتح الشين المشددة وأطنابه وعدة العريس
يوم زواجه وصور المبايعات ومعالجات المشاكل وأنظمة
قضاة البادية في المعاني وكفلاء الجرم والغرم ورجوع
الغلايب وانتهاء الطلايب ومعاني (الدفاء والوفاء)
والأخاوة بين القبائل ومعنى الثلاث المهریات (والسبع
البقع اللي ما للسبع فيها طمع ..) ومعاني الجلاوي
والمترب والبوق والقرعان وهدر الدم في العرف القبلي
قبل أن تستظل بلادنا بحكم شرع الله واستقرارها على
يد صقر الجزيرة الملك عبدالعزيز يرحمه الله . كما أنني
سأنقل لكم يابني صوراً من نوع آخر هي صور الخرافات
والبدع التي خيمت على بلادنا ردحا من الزمن نتيجة
الجهل والظلام الدامس في عصور مضت والتبرك بأهل
القبور والكهوف والزوايا والآبار المهجورة .

ولن أنسى شقاء المرأة مع (القرية والمطحنة
والرحى والسدو والمغزل والرعى وخياطة ثياب العيد
وكنس طريق بيتها في ليالي الأعياد والإشراف على

رسائل

تربية الأبناء والاشتراك مع الزوج في طلب معاشهم وفطنتها لكل ما يحدث ثلما أو يثير قضية أو يجبر كسرا أو يصل رحما ..) أمور وصور شتى ستجد طريقها في هذه الرسائل إن شاء الله .
أي بني :

أعود بعد هذه المقدمة الى رسالتي السابقة إليك التي نقلت لك فيها صورة من صور الاهتمام بالنخيل حتى أن الواحد منهم قد يصل حبه للنخلة بتفضيلها على أولاده لأنها مصدر العطاء والنماء لهم كان النخل يابني عنوان غنى في قرانا وهجرنا لأن التمر الذي يتفكه به اليوم الناس وقد لا يقبله أطفالهم هو الغذاء الرئيسي فبيت لا تمر فيه أهله جياع .. ولا يجوع أهل بيت عندهم التمر كما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم .

والحديث عن النخلة يابني حديث طويل وهي أصيلة في زراعتنا ويجب أن لا نتجرنا عوامل الحضارة

الحديثه وفكاهاتها عنها .. إنها عنوان حضارة وأصاله
لنا لاننسى فضلها ولانستبدل بها غيرها .. إنها شجرة
مباركة ورد ذكرها في القرآن الكريم في سبع وعشرين
آية ومدحها المصطفى صلى الله عليه وسلم وأثنى على
تمرها في أكثر من ثلاثة وعشرين حديثا .
أي بني :

لقد كتب قيصر ملك الروم إلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتابا جاء فيه (.. إن
رسلي أتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست
بخليفة لشيء تخرج مثل أذان الحمار . ثم تتشقق مثل
اللؤلؤ ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ثم تحمر
فتكون كالياقوت الأحمر ثم ينتفخ فينضج فيكون
كأطيب فالودج أكل ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم
وزادا للمسافرين فان تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه
الشجرة إلا من شجر الجنة ..) .

فكتب له أمير المؤمنين جوابا جاء فيه (من

سائل

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى قيصر ملك الروم ..
إن رسلك قد صدقوك وإن هذه الشجرة عندنا هي
التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعبسى عليه
(السلام) .

وفي رواية (إنها الشجرة التي ولد تحتها المسيح
عليه السلام) . وتحدث خالد بن صفوان لعبد الملك بن
مروان في وصف النخل فقال ببلاغة كبيرة يا أمير
المؤمنين (النخل .. يخرج أسفاطا وأوساطا كأنما ملئت
رباطا ثم يتفلقن عن قضبان الفضة منظومة باللؤلؤ
الأبيض ثم تتبدل قضبان الذهب منظومة بالزبرجد
الأخضر ثم تصير ياقوتا أحمر وأصفر ثم تصير عسلا
في شنة من سماء ليست بقربة ولا إناء حولها المذاب
ودونها الحراب ولا يقربها الذباب مرفوعة عن التراب
ثم تصير ذهباً في كيسة الرجال يستعان به على
العيال ..) .

وسأل عمر بن الخطاب رجلاً من أهل الطائف :

الحبلة خير أم النخلة ؟ فقال الطائفي الحبلة اتزيبها (أي أصنع منها زيبا) وأصلح بها برمتي وأنام في ظلها فقال عمر رضى الله عنه لو حضرك رجل من المدينة لرد هذا عليك قال : فدخل عبدالرحمن بن محصن الانصاري فأخبره عمر خبر الطائفي فقال : ليس الأمر كما قال : إني إن آكل الزبيب أضرس وإن أدعه أغرث ليس كالصقل في رؤوس الرقل الراسيات في الوحل المطاعم في المحل تحفة الكبير وصمته الصغير وزاد المسافر .. نضيج فلا يعنى طابخا نحترش به الضياء بالصلعاء وخرسة مريم بنت عمران فقال عمر : ما أراك يا أخا الطائف إلا قد غلبت .

وسئل أعرابي ما أهم الثمار عندكم قال : التمر . قيل : ثم ماذا ؟ قال : التمر . قيل : ثم ماذا ؟ قال : التمر . قيل : وكيف ذلك . قال :

لأن النخيل نستظل بسعفه ونصنع من جذوعه سقوف بيوتنا ونتخذ منه ومن جريده وقودنا ونصنع منه

الأسرة والحبال وسائر الأواني والأثاث ونتخذ التمر طعاما مغذيا ونعلف بنواه ماشيتنا) .

والنخلة يابني شبيهة الإنسان في جميع أطوار حياته فهي عمتنا كما ورد عن سيد الخلق عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي ذكره ابن القيم في زاد المعاد وهو قوله عليه الصلاة والسلام « أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم .. » .

ولذلك فهي تشبه الانسان في كثير من صفاته إذ متوسط عمرها من الستين الى الثمانين وقد تعمر الى مائة وعشرين عاما كحال البشر ولها طفولة وشباب وكهولة وتحمل صغارها نفس صفات أمهاتها خضرة وثمرات وبها ذكورة وأنوثة ولا تصلح إلا بالتلقيح أو التأيير كما يقول بعضهم .. وبقدر ما يحسن اليها تعطى عطاءها وتتألق بالعناية والرعاية وتمرض وقد يصيبها الجنون أي أنها تحن فيقال نخلة مجنونة كما يجن بنو البشر وقد تسقط بلحها لظرف يلم بها أو

تمسكه الى حين ثم تسقطه كما يكون مع المرأة الحامل في كثير من الأحيان وإذا قطع رأس النخلة ماتت وإذا قص جريدها تأثرت كما الإنسان إذا قطع رأسه يموت وإذا قصت أطرافه تأثر وتعثر وتتأثر بجور صاحبها عليها وإهماله لها وعدم عنايته بها كما المرأة في التأثر والإهمال وقلة العناية .

كما تتأثر النخلة كالإنسان بالغربة عن موطنها وأجوائها حيث قد تكتب لها الحياة ولا يظهر لها نفس العطاء والتألق .. وقد لا تثمر بحيث تعيش بلا هوية كما الإنسان إذا وجد بأرض وسلبت هويته وفقد أرضه ووطنه وقومه وهي في موطنها تتحمل الأذى وتقاوم الأمراض وتصبر على الشدائد التي تمر بها ومع هذا قد لا تمنع عطاها وتجاوبها مع بيئتها كذلك الإنسان يعيش في بيئته رغم صعوبة حياته ويقاوم أعاصير المشاكل ومع ذلك فهو في استجابة مع بيئته وبني قومه يؤثر فيهم ويتأثر بهم .

والنخلة قد تغضب من سوء المعاملة فتحجب
 طلعتها عن صاحبها فإذا ما وجدت منه رعاية وعظفا
 بعد جفاء أعطته عطاءً سخيا كما هو الحال في بني
 البشر الكرماء اذا غضب أحجم واذا استرضى أتى
 عطاؤه سخيا بلا حدود .

وبعد هذا كله أتدري يا بني لم عرجت بك في هذه
 الرسالة بعد مقدمته على النخلة ودورها ومكانتها
 وأصالتها وارتباطها بنا ؟

لأنني رأيت من نظرتك الكثير من الغرابة
 والاستهتار بهذه الشجرة المباركة يوم أن اشتريت
 ذلك الصنو الذي غرسناه قبل خمس سنوات فمات
 وكانت قيمته خمسمائة ريال فأبدلته بآخر بنفس القيمة
 وها هو اليوم بحمد الله قد صار نخلة فيها الثمر
 تحمل في جوانبها ستة من الفسائل (الصنية) كما
 ينطقها أهل النخل مفردها (صنو) بكسر الصاد
 وسكون النون .

الرسالة السادسة والثلاثون :

❖ التمر مملكة الغذاء... منه قدم التمر لضييفه
فقد قدم قري كاملاً... التمر زاد الجيوش في
الفتوحات الإسلامية.. التمر يحتوي على ٤٥
عنصراً منه العناصر التي يحتاجها الجسم في
الغذاء.. صيف النخيل وظهور اللأحة..
❖ الدرابيس والمجاليد والمرقد والقلائد

أي بني :

كما قلت لك النخلة عنوان لأصالتنا وارتباطنا
 بأرضنا يجب علينا أن لا ننساها وسط متاهات هذه
 الحضارة التي نعيشها يجب أن نزرعها في الشوارع
 والميادين وأفنية بيوتنا وأن لانستهتر بها ولا نهملها
 وأن نعوض زحف العمران على مناطقها وأرضها
 في مدننا وقرانا بغرسها في الميادين العامة
 والساحات الكبيرة والشوارع وأطراف البيوت وأن
 نسقيها من فضل ما نشرب لأنها عدة لنا عندما تحرق
 الاخطار وتختفى أسر (المنقا والبيبسي كولا والسفن
 وغيرها) وهي عدة لنا أيضا عندما تختفي عائلات
 (البسكويتات بأشكالها والحلويات بأنواعها والكيكات
 بمكوناتها)

بل التمر هو مملكة الغذاء الذي أقر الأطباء أنه
 الأجدر والأوفى للمرأة والطفل والرجل في مختلف
 ظروف الحياة .

أي بني :

قبل خمسة وعشرين عاما يوم أن بدأت أحبو مع
الحرف كنت أول من كتب في موضوع تعريض مانفقده
من نخيل من جراء زحف الكتل الاسمنتية على المزارع
بزراعة الميادين والشوارع والساحات العامة ونتيجة
لذلك وبتفاعل الآخرين مع ما كتبت يومها استجابت
بلديات المدن بزراعة النخيل وكم فرحنا بهذا ولكن بعد
وقت اتضح أن البلديات قد عهدت الى شركات بذلك
العمل واختارت أردأ أنواع النخيل مع الأسف واختارت
فحول النخل التي لا تثمر طلبا لرخص أسعارها إن لم
تكن بدون ثمن وغرستها وأراقت عليها الماء حتى إذا
حان وقت (الإجهال) أي بداية طلوعها كانت مخيبة
للآمال في بعضها ولا أقول كلها لأن هناك من
البلديات من أشرفت بنفسها أو اشترطت أنواعا معينة
من متوسط أنواع النخل وافتخرت بهذا وحق لها أن
تفتخر .

أي بني :

في زمن مضى مر على الناس وقت تعارفوا فيه أن من قدم لضيفه التمر والماء فقد أعطاه حقه في الضيافة حيث اعتبروا هذا قرىً كاملاً لانقص فيه وكانوا يعيبون على الضيف الذي تناول التمر والماء عند مضيفه أن ينتقل من عنده الى مضيف آخر قبل انتهاء الوجبة التي كان فيها مضيفاً على الأول .

ذلك لأنهم يعتبرون التمر غذاءً كاملاً ولو قدم المضيف غيره مما لم يعتبروه قرىً كاملاً لعابوا على المضيف ضيفه ووقفوا بجانب الضيف إن ذهب إلى مضيف آخر .. أما التمر فقد تعارفوا على أن من قدمه خاصة في أوقات المجاعات والحاجة والعوز فقد أدى حق الضيافة .

نعم يا بني لقد اهتدى العرب بفطرتهم الى القيم الغذائية للتمر فجعلوه طعامهم الرئيسي في مراتبهم (مزهبهم) أي زادهم في سفرهم لأنهم وجدوا في التمر

اليسر في الحفظ والإعداد والكفاية في الغذاء والشبع .
وقد تزود به أصحاب المصطفى صلى الله عليه
وسلم في سفرهم وجهادهم .. وكانوا يعتبرونه زادا
مكتمل العناصر في ساحات القتال ففي معركة بدر
الكبرى والخطر محدق بالمسلمين يتلمظ عمير بن الحمام
بأكل تمرات في يده وينصت أذنه الى مقالة رسول الله
صلي اله عليه وسلم وهو يحث أصحابه ويمنيهم قائلا :
والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل
صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة فقال
عمير : بخ بخ فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن
يقتلني هؤلاء ؟! ثم قذف ما تبقى بيده من تمرات فقاتل
حتى استشهد رضى الله عنه .

وفي أثناء الفتوحات الاسلامية كانت جيوش
المسلمين تجعل من التمر الزاد الخفيف المكتمل الذي يمد
الجندي المسلم بالطاقة والحيوية والنشاط وكان قادتهم
يحرصون على ذلك ويهتمون به . بل ويجعلون من التمر

الزاد الرئيسي في المهمات الصعبة كما فعل خالد بن
 الوليد رضى الله عنه عندما كان مع جيوش المسلمين في
 العراق وأتاه أمر الخيفة (أبو بكر الصديق) رضى الله
 عنه ليسير الى الشام لتعزيد الجيوش الاسلامية هناك
 على أن يصحب معه نصف عدد المسلمين المحاربين في
 العراق ويترك النصف الآخر مع المثنى بن حارثة في
 العراق وكانت هناك صحراء قاحلة مهلكة بين العراق
 والشام وهي أقرب الطرق إلى الشام ولكنها مهلكة
 لأماء بها ولا حياة وكان خالد بن الوليد يعرف طرقا
 أخرى أكثر حياة وأوفر ماء ولكنها طويلة وتحتاج الى
 وقت قد تفوت عليه نجدة جيوش الإسلام في الشام
 ولذلك قرر خالد بن الوليد قطع تلك الصحراء فسار
 فيها بعشرة آلاف مقاتل واخترقها في ثمانية أيام وكان
 زاد جيشه في تلك الأيام الثمانية مائتين وأربع وعشرين
 ألف قمره حيث يعطى الرجل منهم ثلاث قمرات في اليوم
 وأمرهم أن يضع الرجل التمرة في فمه ويتركها حتى

تذوب من غير مضغ وبذلك كانت التمرات الثلاث كافية
(بعون الله) لإمداده بالطاقة والنشاط لمواصلة السير
والحركة ودفع غائلة الجوع عن جيشه الذي قطع به
المجهول وتحدى الأخطار والمهالك .

ان التمر يابني غذاء كامل عرفه أجدادنا واقتصروا
عليه في أوقات كثيرة فكفاهم وقد أكدت البحوث
الطبية في هذا العصر على أن الإنسان لو عاش طول
حياته على التمر لأمكنه ذلك من غير أن تعتل صحته
أو يضعف جسمه بإذن الله لأنه يحتوى على كل
ما يحتاجه الجسم من العناصر اللازمة لنمائه وبقائه فهو
يحتوى على أكثر من خمسة وأربعين عنصرا من
العناصر التي يحتاجها جسم الإنسان وبه مايزيد على
عشرة أحماض وكم هائل من الفيتامينات الضرورية
لجسم الانسان .

ولذلك قال عليه السلام « من تصبح بسبع تمرات
عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر .. » وقال صلى

الله عليه وسلم « ان التمر يذهب الداء ولاداء فيه .. »
 وقال « من أفطر بشق من التمر كفاه الله شر ذلك اليوم
 » وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها بأنه كان يمر
 الشهران والثلاثة ولا توقد نار في بيت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وكان طعامهم التمر والماء .

ويروي أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حمل أخاه
 من أمه أم سليم بن أبي طلحة بعد ولادته ووضعه في
 حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أمعك
 شيء ؟ فقال أنس معي تمرات فأخذها النبي عليه الصلاة
 والسلام فلاكها في فيه حتى ذابت ثم وضعها في (في
 الصبي) فجعل الصبي يتلمظها فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم وهو يضحك : أبت الانصار إلا حب التمر ثم
 مسح عليه الصلاة والسلام وجهه فقال أنس يا رسول الله
 سمه قال : هو عبدالله .

وتقول أم سلمة رضي الله عنها بأن النبي عليه
 الصلاة والسلام قال : « أطعموا نساءكم في نفاسهن

التمر فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها
 حليماً لأنه كان طعام مريم حين ولدت ولو علم الله
 طعاماً خيراً من التمر لأطعمها إياه .

أي بني :

لقد أدركنا آباءنا ولا يزال بعضهم أحياءً يرزقون
 .. أدركناهم وفطورهم الرئيسي التمر يتصبحون به بعد
 صلاة الفجر مباشرة حيث كانوا يجتمعون على القهوة
 والتمر ويعيشون يومهم على فقرهم وقلة ذات أيديهم في
 سعادة غامرة ونفوس راضية وهم يؤمنون في تصبّحهم
 بالتمر بحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي يقول
 فيه : « من أفطر بشق من التمر كفاه الله شر ذلك
 اليوم » .. كان التمر فطورهم الرئيسي وإذا وجدوه لم
 يبحثوا عن غيره وكان صيف النخل يعتبر موسماً حافلاً
 بالنشاط والحركة فكل ذي عيال كان يجتهد كل
 الاجتهاد بالسعي والعمل لكي يؤمن لعياله كمية كافية
 من التمر يأكلون منها طوال العام حتى يأتي الصيف

القادم للنخل بعد مرور سنة كاملة على مستوى الحاضرة والبادية .

وفي الصيف وأعنى به صيف النخل يابني يبدأ من ظهور (اللائحة) ويعنون بها بداية احمرار أو اصفرار بلح النخل حتي وقت الجداد (أي جذاذ أو حصاد النخل) وفي وقت الصيف هذا تزدهم القرى والبوادي ذات النخل بالناس حيث تعيش موسما من مواسم العطاء والحركة والنشاط فالبادية ممن لانخل لهم يأتون بعيالهم ويقطنون حول القرى ويعملون مع أهل النخل بأجور من التمر نفسه وأهل النخل في القرى ينشطون في العمل ويستغلون الفرصة في الاهتمام والعناية بالنخل من غرس وتنظيف وتعمير بوساطة طلاب العمل من البادية المحيطين بالقرية وقد جرى العرف في أزمان ماضية في بعض قرى النخل وخيوفه أن ينضم البادية ممن يسكنون حول القرية سكنا مؤقتا حتى انتهاء صيف النخل .. ينضم كل واحد أو مجموعة إلى أحد أرباب النخل

للخدمة طوال الصيف في نخله كما قلت لك غرسا وتنظيفا وتعميرا وهؤلاء فيهم (الجوال) وهو الذي يختص بحمل (جيلان) أوعية التمر المصنوعة من السعف أثناء الجداد من موقع النخل الى الماربد جمع مرید والمرید مكان في الفضاء يتخذ لوضع التمر فيه بعد الجذاذ لكي يجف ويصبح صالحا للتخزين وهم يعدون المرید مسبقا وذلك بفرشه بالحجر المتوسط الذي لا يلتصق بالتمر فيؤذي الآكلين فيما بعد .

ومثل المرید لتجفيف التمر (تبليط السطح) في القرى ذات البيوت المبنية من الطين حيث ينظف السطح ويجرى تبليطه بالطين الحر ليكون السطح أملساً لا يعلق شيء من التراب بالتمر في ذلك السطح ومن البادية المنتفعين حول القرى ذات النخل من يختص بمهنة (الجداد) وهذا العمل أصعب من عمل (الجواله) لأنه يختص بالصعود الى النخل لجداد التمر ولا بد (للجداد) هذا من خفة معينة ومرونة خاصة (الرقى) أي لتسلق

أشجار النخيل العالية والحرص على عدم نشر التمر عند قطع أي قنو ووضعه في (المجدة) بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد الدال المفتوحة وهي وعاء خصفي معد بطريقة خاصة للجداد وتعمل على شكل دائري من سعف النخل مع إيجاد حلقتين من الحبال بحيث توضع بها مجموعة من (القنية) جمع قنو أثناء الجداد وتربط الحلقتان باحكام على مافيهما ثم يثبت حبل طويل في الحلقتين ويقوم الجداد بانزال المجدة بما فيها من رأس النخلة إلى أسفلها بحيث يمسك الحبل مستعينا بلفه على جريد النخل وينزل المجدة تلك رويدا رويدا الى الأرض وفي الأرض يقوم (الجواله) وهم العمال الآخرون بفك حلقتي الحبال من المجدة لتفريغ ما بها من رطب وزهو في (القنية).. يفرغونها في (الخصف) وهي فرش صنعت من جريد النخل حيث يجذب الجداد في رأس النخلة المجدة بعد تفريغها ويعاود ملأها ثانية وثالثة حتى يكمل جداد النخلة ويرقى الى التي تليها وهكذا .

أما العمال الذين يستقبلون ما ينزل إليهم من
 (القنية) أو الأقنية أو القنوان فانهم يقومون بعزل الرطب
 عن الزهو حيث أن الرطب له مرابد خاصة والزهو له
 كذلك مرابد خاصة لأن لكل منهما أي الزهو والرطب
 معاملة خاصة في التقليب في الشمس والبقاء بها حتى
 يصلح للتخزين إذ الوقت الذي يستغرقه الرطب ليكون
 تمرا تحت وهج الشمس في المريد غير الوقت الذي
 يستغرقه الزهو ليتحول الى رطب ثم إلى تمر .

والزهو يابني هو الذي احمر أو اصفر ولم يبدأ به
 الترطيب بعد أما إذا بدأ فيه الترطيب ولم يكتمل
 فيطلقون عليه (المناصف) وهو الذي نصفه زهو ونصفه
 قد ترطب كما أن بعضهم يسمي هذا الاخير (المذايب)
 وواحدتها مذنوبة أو مذنية بضم الميم وفتح الذال وتشديد
 النون المفتوحة وفتح الباء .

وأجرة الجداد الذي يصعد النخل ويقوم بجداده أي
 قطع (القنوان) في زمن مضى يوم أن كان التمر هو

الأساس في الغذاء لدى الآباء والأجداد .. أجرته لاتزيد
 عن قنو واحد من ثلاث نخلات أو أربع أو اثنتين بحيث
 يقوم بجداد الثلاث النخلات أو الأربع ويأخذ قنوه
 من الثالثة أو الرابعة بموجب ما يكون من اتفاق أما
 الجوال وهو الذي يحمل الرطب المحدود فوق رأسه
 الى المرابد فإن له قدرا معيناً على كل جوال أو (شوال)
 كما يسميه بعضهم بموجب اتفاق أيضاً حيث بعضهم
 يعطيه (ثلثية) على الجوال والثلثية بضم الثاء المشددة
 وسكون اللام وكسر الثاء الثانية وتشديد الياء المفتوحة
 كيلة صغيرة هي جزء من خمسة من الصاع المدني
 أو النبوي كما يعرفه بعضهم حيث كان الصاع
 المدني خمس ثلثيات تقريبا وهناك نصف الثلثية وربع
 الثلثية .

المهم أن الصاع والمد والثلثية ونصفها وربعها
 مكاييل كانت معروفة للحبوب والتمور وحتى للجراد
 بعد طبخه وتجفيفه .

أي بني :

سوف أحدثك عن الجراد في رسالة خاصة يوم أن كنا نصيده في أكياس كبيرة وننظمه في (مشاكيك) طويلة ونشويه على النيران ويوم أن كنا نحوش (الدبا) في أخاديد طويلة لنشعل فيه النيران إهلاكا له واتقاء لشره ونهمه في هلاك المزروعات .. المهم أن عمال التمر لا يأخذون أجورهم من نفس التمر بالمقادير المتفق عليها إلا بعد أن يبذلوا جهودهم الكبيرة مع صاحب النخل في تقليب الرطب في (المرابد) وتنظيف التمر من الحصى وما يعلق به لأيام معدودة في الشمس حتى يجف ويصبح تمرا يصلح للحشو والطهي والتخزين .

وفي الرسالة القادمة أشرح لك الكثير عن (الدرايس) و(المجاليد) و(المرقد) و(القلاید) والشنة ونقر الطير والشقير .. سوف أعرفك بالسربنة والعدال وأشرح لك كيف يكون الحشف وكيف كانوا يتداوون بالتمرة المحيلة والجراد المطبوخ .

الرسالة السابعة والثلاثية :

❖ العجراة والحب المتجدد... روحوا القلوب
ساعة بعد ساعة.. (مع أفطر بشق مع التمر
كفاه الله شه ذلك اليوم...)
❖ حفظ التمر مع العفونة والخم... السنة...
الرب... الدباغ.. قلاند البلا...

أي بني :

توقفت رسائلي إليك بعض الوقت لمشاغل أبيك
الحياتية التي تستغرق عليه وقته كله في كثير من
الأحيان وفي أحيان أخرى يمل أبوك من عناء التعامل مع
الحرف ولذلك يهجر الكتابة هجران المحب المشفق الذي
يكون هجرانه وسيلة لحب متجدد لا يعيش إلا به
ولا يتنفس إلا من خلاله وهذا يابني ديدن فئة من المحبين
الذين يطردون ما قد يعتري نفوسهم من ملل لما أحبوه
مع مرور الوقت بهجر مؤقت لا يطول أمده حفاظا على
حبهم ووسيلة لحب متجدد لا يبلى مع مرور الأيام
والسنين .

هذه نظرتهم وتلك فلسفتهم وأبوك واحد من أولئك
الذين يجددون حبهم وتعاملهم مع الحرف قراءة وكتابة
وحبا بالهجر القصير الذي يكون بداية لحب وتعامل
جديدين كلما أحس بملل أو جفوة عارضة بين نفسه وبين
متنفسه وعشقه في الكتابة أو القراءة .

وهي نصيحة أسديها اليك عشتها وعاشتها
واقعا ولمست أثرها بمرور أيامي وسنيني الماضية وهي
تسير وفق التوجيه في الأثر الذي يقول : « روحوا
القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت »
ولا أشك أن طريقة أبيك التي ذكرتها آنفا والتي تعيش
بها فئة من البشر تتفق مع رافد من روافد هذا التوجيه
الكريم .

على أن الهجر الذي ذكرته لك لا يعني الانقطاع
بالكلية ولا يعني تمزيق جميع الأواصر ونسف جميع
الجسور الموصلة وسد جميع القنوات بل يعنى ذلك الهجر
المشفق الذي يداري من خلاله النفس عن الملل والذي
يحافظ من خلاله على سلامة المعابر والجسور الرابطة
والذي يتخذ منه قاعدة وانطلاقا لنشاط وحب جديدين .
أي بني :

لقد استرسلت معك في موضوع نفسي لا أرغب
التطرق إليه ولا البوح به ولكنها الأبوة الحانية التي

سائل

تتدفق كلما وجدت طريقا الى الإصلاح والاستقامة
والتي لا تستطيع إخفاء مكنوناتها كلما وجدت في ذلك
طريقا إلى المثالية التي تنشدها وتحاول أن تعمق جذورها
في وجدان الأبناء .

أعود بعد هذا كله الى رسالتي السابقة التي
حدثتك فيها عن التمر وأثره في حياة الآباء والأجداد
وكيف كان الطعام في الحضر والزاد (والمزهب) في
السفر وكيف أن الأبحاث الطبية في العصر الحديث قد
أكدت على أن الإنسان لو عاش طوال حياته على التمر
فقط لأمكنه ذلك من غير أن تعتل صحته أو يضعف
جسمه باذن الله تعالى لأنه يحتوى على كل ما يحتاجه
الجسم من العناصر اللازمة لنمائه وبقائه فهو يحتوى
كما ذكرت الأبحاث الطبية حديثا على خمسة وأربعين
عنصرا من العناصر التي يحتاجها جسم الإنسان وبه
مايزيد على عشرة أحماض وكم هائل من الفيتامينات
الضرورية لجسم الانسان .

ولذلك عاش آباؤنا يوم كانوا يأكلون التمر ويغذون به أطفالهم في صحة وهناءة بال .. كانوا يتخذون من التمر فطورا مع الفجر وإذا وجدوه لم يبحثوا عن غيره وكانوا يؤمنون بالهدى النبوي الذي يقول : « من أفطر بشق من التمر كفاه الله شر ذلك اليوم » .. ولذلك حرصوا عليه أكثر من غيره وهو فاكهتهم وغذاؤهم وزادهم في سفرهم وحروبهم واكتشفوا بخبرتهم كيف يخزنون التمر ويحافظون عليه من التسوس أو (السوس) والتعفن لأن التمر إذا ترك على حاله ولم يخزن التخزين الصحيح دب إلى كل (فذة) فيه السوس من داخلها حيث يؤثر فيها ويجعل (الفذة) بفتح الفاء وتشديد الذال المفتوحة واحدة التمر يجعلها خواءً من داخلها ثم يتولد بها دود أسود صغير وإذا تراكم التمر على بعضه دون ان يبقى في الشمس مدة كافية يعرفها أهل التمر وجدت الحموضة والتعفن طريقها الى كل فذة ويسمونها في هذه الحالة أي حالة الحموضة والتعفن

سائل

(الخمج) بفتح الخاء والميم وسكون الجيم واذا تعفن التمر لا يمكن أكله ولكل ذلك وجدوا الوسائل التي بها يحفظون التمر وهي بالطبع غير الوسائل الحديثة التي عرفتها مصانع التمر في هذه الأيام .
أي بني :

كثيرة هي طرق حفظ وحمل التمر القديمة التي عرفها الآباء والأجداد وأذكر منها مثلاً (المجاليد) وواحدھا مجلاد ويكون المجلاد بطريقة عجيبة حيث يعمدون الى فرش التمر على خصف من جريد النخل والخصفة فراش دائري قطره يبلغ المترين تقريبا يصنع خصيصة في أكثر الأوقات للتمر حيث تفرش الخصفة وينشر عليها التمر ويترك ثلاث ساعات تقريبا في شمس الظهيرة الحامية وبعد مضي هذه المدة ينزل الرجال ليطأوا التمر المفروش بأرجلهم بعد غسلها ورش التمر بالماء حيث يستمر (الوطى) بالأرجل للتمر حتى يحيله الى عجين يمثلونه بالكيفية التي يرغبونها ولذلك

يكون منه المجلاد وجمعها مجاليد والمجلاد ملء كيس
 الدخن أو كيس الأرز الكبير أي حشوه من التمر
 (الماطي) أي المعجون بالأرجل ويوم أن كانوا لا يجدون
 هذه الأكياس كانوا يصنعون على هيئتها من جريد
 النخل وكانوا يعتبرون المجلادين حمل بغير لأن الجمل
 لا يستطيع أن يحمل أكثر من مجلادين . ونصف المجلاد
 يسمونه (دربوسا) والدربوس من التمر المعجون بالأرجل
 يكونونه على هيئة مكعب وهو نصف المجلاد ولكنه يثقل
 من التمر ولا يوضع في وعاء غالبا بل يترك على حاله
 حيث يجف التمر ويتماسك وبذلك لا يجد السوس ولا
 التعفن اليه طريقا ويبلغ من شدة تماسكه إذا طال عليه
 الوقت وكان وطيه بعناية إنه لا يمكن الأخذ منه أو الكسر
 من ثمره إلا بآلة حادة تحمى في النار ؟ .

قد تستغرب يابني وجيلك من وطى التمر بالأرجل
 بهذه الطريقة وأكله ولكنني أزيدك بالقول بأن وطى
 التمر لا يكون إلا في (القائلة) أي في عز الظهيرة

التي يسيل العرق من (الوطاية) أي ممن يطأون التمر
أنهارا وبالطبع يصل العرق إلى التمر ومع ذلك لا يجدون
بأسا ولا تشمئز نفوسهم بل ويشترى ذلك التمر بأعلى
الأثمان ..

لقد كان هذا وطى التمر في الماضي لإعداد
المجاليد والدرابيس أما اليوم فقد انتشرت مصانع التمر
وقامت بالمهمة لعجنه وطحنه وبيعه بلغة الكيلو ونصفه
وربعه .. كذلك أوجد الناس حاليا طريقة أخرى لعجن
التمر بكميات كبيرة غير وطيه بالأرجل وغير المصانع
وهذه تتمثل في فرش التمر في شراع نظيف على أرض
مستوية مبلطة ورش ذلك التمر بالماء وتغطيته بشراع
آخر غطاءً محكما ثم تمرير السيارة على التمر المغطى
لتهرس عجلاتها التمر وتحيله بعد المرور عليه مرات
عديدة الى عجينة يكونون منها المجاليد المذكورة .

وترقيد التمر طريقة أخرى من طرق حفظه وتصنيعه
وهذه تتم بفرش التمر على خصفة أو شراع في الشمس

الحامية مدة ثلاث ساعات أو تزيد وبعد ذلك يغسل
التمر ويوضع في صفائح من التنك حيث يكبس باليد
كبسا جيدا لايعجن التمرة ولا يترك فراغا بينها وبين ما
قبلها مع المحافظة على شكلها وحجمها وهذه الطريقة
تتبع حاليا بعد أن عرف الناس صفائح (التنك) أما
في الزمن الماضي فقد كانوا يعمدون إلى القرب القديمة
وهي جلد الماعز أو الضأن بعد أن تدبغ وتستعمل مدة
في تبريد الماء حتى إذا قدمت هذه القربة ولم تعد تبرد
الماء ولم تعد (تطعم) الدباغ أي تقبله أو لم يؤثر فيها
وبذلك تصير (شنة) بفتح الشين وتشديد النون المفتوحة
فإذا صارت كذلك استعملت لحشو التمر بها حيث يخزن
التمر محشوا بها وتعطيه نكهة وبريقا يحلى مذاقه .
وتتميز الشنة بأنها تحفظ (الدبس) وهو دبس التمر في
داخلها ويختلط مع بقايا الدباغ مما يجعل لها مذاقا
خاصا ومميزا لتمرها دون غيره .

وكان التجار في المدن يعمدون إلى تخزين التمر

قديمًا في أوعية فخارية كانت تستورد من صعيد مصر وهي مخصصة لحزن التمر ثم حلت البراميل محل تلك الأوعية . وأخيرًا تولت مصانع التمر المهمة بطرق حديثة نظيفة .

أي بني :

كان أهل المدينة يتفننون في تخزين التمر في الماضي ووصل تفننهم إلى تشقير التمرة الواحدة وهذا ما يسمونه بالشقير والشقير هذا له لذة خاصة ويتمثل في تشقير الزهو الذي بدأ فيه الترطيب فتشقر الواحدة إلى ثلاث أو أربع شقرات طويلة ثم يجفف في الشمس ويحفظ حتى ينتهي موسم الصيف ثم يتهادونه ويتفاخرون بوجوده لذاته المميزة ونكهته الخاصة .

كما كان لبعضهم اهتمام بجمع الرطب التي نقرها الطير أي أكل منها وعادة ما يأكل الطير من (المناصف) أي التي نصفها زهو ونصفها قد ترطب .. كانوا يهتمون بهذه التي نقرها الطير ويسمونها (نقر

سائل

الطير) فيجمعون من الرطب ما نقره الطير ويهتمون به ويجدون فيه حلاوة وتميزا لأنه ينشف على حاله الذي نقره الطير فيه مما يعطيه حلاوة ومذاقا خاصة يميزه عن غيره .

وللعجائز اهتمام خاص بقلائد البلح التي ربما تشاهدها لدى العطارين في الحجاز عموما إلى اليوم وهذه القلائد تصنع من الزهو الفاخر حيث يأخذون هذا الزهو ويضعنه في ماء مغلي بالهرد (أي الكركم) ليكسبه اللون الأصفر وبعد دقائق يخرج من هذا الماء المغلي ليبرد ثم ينظم نظما في خيوط من ليف النخل ويترك في الشمس معلقا بخيوطه حتى يجف ليستعمل أو يسوق ويدخلنه كما يدخله العطارون في كثير من الأدوية الشعبية التي يصفونها لمرتابديهم .

أي بني :

لقد أطلت عليك في موضوع النخلة لأنني أحب هذه الشجرة وأقدرها وهناك الكثير عنها سوف أؤجله

رسائل

حتى لا تمل وسوف تحمل رسالتي القادمة إليك جانبا آخر
من الجوانب التي تبحث عنها في حياة الآباء والأجداد
في اللقاء والسلام .



كتب صدرت للمؤلف

- ١ - حروف في الرماد (مجموعة قصصية).
- ٢ - المدينة.. اليوم (إعلامي.. تاريخي عن المدينة المنورة في بداية القرن الخامس عشر الهجري).
- ٣ - لمحات من حياة الربيع.
- ٤ - الإدارة المدرسية.. بين النظرية والتطبيق.
- ٥ - مدرسة طيبة الثانوية في خمسين عاماً
- ٦ - المدينة المنورة (ضمن سلسلة كتب هذه بلادنا التي تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب).
- ٧ - مدينة.. بدر (ضمن سلسلة كتب هذه بلادنا التي تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب).
- ٨ - نادي المدينة المنورة في عشرين عاماً (إعلامي).
- ٩ - رسائل في حب الوطن.
- ١٠ - كما قام بإعداد وجمع تراث المرحوم الأستاذ عبدالعزيز الربيع - يرحمه الله.

وصدر منها:

- أ - كتب ومؤلفون
- ب - مناقشات ومناوشات.
- ج - مقالات.. وتعليقات.
- د - نظرات.. تربوية.
- هـ - شوقيات وشوكيات.
- و - نص.. لم يكتمل.

فهرس المحتويات

الفهرس

٥	تقديم
١٣	سيرة بطل ومولد مملكة
٢٥	أرض الجزيرة.. وسيرة التوحيد
٣٧	وطن الحضارة.. إعجاز وإنجاز
٥٦	قطرات.. تندي رف التراث
٦١	إلى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز
٨٥	رسائل لم يحملها البريد
٨٩	الرسالة الأولى: لماذا هذه الرسائل؟
٩٧	الرسالة الثانية: اهتمام الملك عبدالعزيز بالعلم والعلماء
١١٩	الرسالة الثالثة: رسائل لم يحملها البريد.. أي بني
١٢٥	الرسالة الرابعة: البيت القديم
١٣٥	الرسالة الخامسة: الحج في الماضي
١٤٧	الرسالة السادسة: المناخة وشيخ الركب ولواؤه

- الرسالة السابعة: صور من الماضي القديم في
 ١٥٧ المدينة المنورة
- الرسالة الثامنة: معلم في البيت الحجازي القديم
 ١٦٧
- الرسالة التاسعة: الرواشين - والمشرقيات
 ١٧٧
- الرسالة العاشرة: الخط ما قرئ.. دعوة ظالمة
 ١٨٥
- الرسالة الحادية عشر: القلم الانيق.. لا يكتب كتابة
 ١٩٥ عود العوسج
- الرسالة الثانية عشرة: كُتَاب القرية.. وقراءة اللوح
 ٢٠٥
- الرسالة الثالثة عشرة: أبجد.. هوز.. القاعدة البغدادية
 ٢١٥
- الرسالة الرابعة عشرة: طبخة البن.. الإصرافة والإقلاية
 ٢٢٥
- الرسالة الخامسة عشرة: يوم افتتاح مدرسة القرية
 ٢٣٥
- الرسالة السادسة عشرة: الدراسة على حصير الخصف
 ٢٤٥
- الرسالة السابعة عشرة: جريدة النخل.. والفلكة
 ٢٥٥
- الرسالة الثامنة عشرة: العيبة.. والجاب.. والحسكل
 ٢٦٧

الرسالة التاسعة عشرة: سجين الغار.. عزل صحي

٢٧٧

بدائي

٢٨٧

الرسالة العشرون: الثالث الخطير

٢٩٧

الرسالة الحادية والعشرون: عجوز.. تحلب الحمارة

الرسالة الثانية والعشرون: الجدري.. الحصبة..

٣٠٩

المهراس

الرسالة الثالثة والعشرون: ألعاب قديمة.. في ضوء

٣٢١

القمر

الرسالة الرابعة والعشرون: الفرغاز والساقية

٣٣٣

والسواني

الرسالة الخامسة والعشرون: المعارك الشبابية

٣٤٥

القديمة

الرسالة السادسة والعشرون: الأصالة والانتماء

٣٥٧

وشباب الظل

الرسالة السابعة والعشرون: الأجسام الأقوى

٣٧١

من الطفيليات

الرسالة الثامنة والعشرون: أبو زيد الهلالي..

- الزير سالم
الرسالة التاسعة والعشرون: المسجد النبوي وعمارة
٣٨٣
- خادم الحرمين الشريفين
الرسالة الثلاثون: العيون الثجاجة
٣٩٥
- الرسالة الحادية والثلاثون: القيم والوجبة والقدر
٤٠٧
- أسماء في دنيا العيون
الرسالة الثانية والثلاثون/: مجاري العين
٤١٩
- أنظمة وأعراف
الرسالة الثالثة والثلاثون: نصوص متوارثة في
٤٣١
- كيفية الوقف
الرسالة الرابعة والثلاثون: في دنيا العيون الثجاجة
٤٤٥
- نظام مركز.. وعهود ومواثيق
الرسالة الخامسة والثلاثون: لا يجوع أهل بيت
٤٥٧
- عندهم التمر
الرسالة السادسة والثلاثون: المجاليد.. المرقد.. القلائد
٤٧١
- الرسالة السابعة والثلاثون: الهجران.. والحب المتجدد
٤٨٣
- فهرس المحتويات:
٤٩٩
- ٥١٣

**بيان بإصدارات نادي
المدينة المنورة الأدبي**

إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	نكريات طفل وديع - ط ١	عبدالعزیز الربيع
٢	الشعر الحديث في الحجاز	عبدالرحيم أبو بكر
٣	شعراء من أرض عبقر - ج ١	د. محمد العيد الخطراوي
٤	شعراء من أرض عبقر - ج ٢	د. محمد العيد الخطراوي
٥	في ظلال السماء	محمد هاشم رشيد
٦	على دروب الشمس	محمد هاشم رشيد
٧	على ضفاف العقيق	محمد هاشم رشيد
٨	همسات في أذن الليل	د. محمد العيد الخطراوي
٩	غناء الجرح	د. محمد العيد الخطراوي
١٠	ترانيم العودة	ناجي محمد حسن وفوزان الحجيلي
١١	الفيصليات	عبدالحميد ربيع
١٢	رعاية الشباب في الإسلام - ط ١	عبدالعزیز الربيع
١٣	جرح الإياء	أحمد فرح عقيلان
١٤	أضواء على حقلنق	محمد للجنوب
١٥	بيت وشاعر	خالد محمد اليوسف
١٦	الحفل المسرحي	إصدار إعلامي عن النادي
١٧	جداول وينابيع	عبدالرحمن رفة
١٨	الجناحان الخالدان	محمد هاشم رشيد
١٩	على أطلال لرم	محمد هاشم رشيد
٢٠	ثلاثة أعوام مع مسابقة القرآن الكريم	دخيل الله الحيدري - ووهبة الجبالي
٢١	رسالة إلى ليل	أحمد فرح عقيلان
٢٢	في رحاب الجهاد المقدس	إبراهيم العياشي
٢٣	الشيخ محمد بن عبدالوهاب (بحث)	مسلم الجهني
٢٤	في موكب الضياء	أبو زيد إبراهيم سيد
٢٥	الفنون التعبيرية	عبدالعزیز الربيع
٢٦	أبريق النور	محمد عادل سليمان
٢٧	في غياية الحب	علي الفقي
٢٨	المدينة المنورة في التاريخ	عبدالسلام هاشم حافظ
٢٩	نكريات طفل وديع - ط ٢	عبدالعزیز الربيع
٣٠	رعاية الشباب في الإسلام - ط ٢	عبدالعزیز الربيع

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣١	حروف في الرماد	محمد صالح البلديهي
٣٢	هموم عربية	أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري
٣٣	المدينة اليوم	محمد صالح البلديهي
٣٤	لمحات عن حياة الربيع	محمد صالح البلديهي
٣٥	ضفاف الذكريات	مجدي خاشقجي
٣٦	مبضع الجراح	إبراهيم العياشي
٣٧	صور وذكريات عن المدينة للنورة	عثمان حافظ
٣٨	قصص لا تنسى	محمد المجنوب
٣٩	تحفة اللبيب	محمد المجنوب
٤٠	مع المجاهدين في باكستان	محمد المجنوب
٤١	المجموعة الشعرية الكاملة - ج ١	عبدالسلام هاشم حافظ
٤٢	مسيرة ٨ أعوام لنادي المدينة للنورة الأدبي	محمد صالح البلديهي
٤٣	طيبة وفنها الرفيع	م. حاتم طه
٤٤	أيسر التفاسير - ج ١	أبو بكر جابر الجزائري
٤٥	أيسر التفاسير - ج ٢	أبو بكر جابر الجزائري
٤٦	أيسر التفاسير - ج ٣	أبو بكر جابر الجزائري
٤٧	أيسر التفاسير - ج ٤	أبو بكر جابر الجزائري
٤٨	الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية	د. عبدالله الحامد
٤٩	شاعر الخليج	عبدالله احمد الشباط
٥٠	أدب ونقد	محمد المجنوب
٥١	ردود ومناقشات	محمد المجنوب
٥٢	دعوة سليمان - عليه السلام	علي منسي عشكان
٥٣	حروف من دفتر الأشواق	د. محمد العيد الخطراوي
٥٤	دموع وكبرياء	حسن مصطفى صبري
٥٥	في الفكر والأدب «دراسات وذكريات»	د. حسن بن فهد الهويمل
٥٦	دراسات قرآنية - المجلد الأول	نادي المدينة للنورة الأدبي
٥٧	الأخطبوط «قصة»	ناجي محمد حسن عبدالقادر
٥٨	طيبة في عيون فنان تشكيلي	فؤاد مغريل
٥٩	تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً	أحمد ياسين الخياري
٦٠	تفاصيل في خارطة الطقس	د. محمد العيد الخطراوي

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٦١	وداعاً أيها الحزن «رواية»	غالب حمزة أبو الفرج
٦٢	نصوص مختارة	محمد المجنوب
٦٣	الأعمال الشعرية الكاملة المجلد الأول	محمد هاشم رشيد
٦٤	اللولوج من ثقب إبرة	علي عبدالفتاح السعيد
٦٥	من بدائع الأدب الإسلامي	د. محمد سعد الدبل
٦٦	المنظمة الدولية للشرطة الجنائية، «الإنتربول» ودورها في مكافحة الجرائم الدولية للمخدرات	النقيب محمد حسن زهير آل شفلوت العمري
٦٧	وقفات على الماء	إبراهيم عمر صعاي
٦٨	شعر ضياء الدين رجب بين الموقف والصياغة	د. عبدالله أحمد باقازي
٦٩	المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ	د. عاصم حمدان علي حمدان
٧٠	التعليم الأهلي في المدينة المنورة (١٣٤٤ - ١٤٠٨هـ) دراسة تاريخية وصفية	دخيل الله عبدالله الحيدري
٧١	المجموعة الشعرية الكاملة - ج ٢	عبدالسلام هاشم حافظ
٧٢	الأم وأحلام	محمد المجنوب
٧٣	سلاح الكلمة الشاعرة - إسهام النادي الأدبي خلال أزمة الخليج	إصدار النادي الأدبي بالمدينة المنورة
٧٤	تراثنا المخطوط في العلوم التطبيقية والبحثة	مصطفى عمار منلا
٧٥	وقفات في حرب الخليج	محمد بن صنيان
٧٦	موسوعة الأدباء السعوديين القسم الأول	أحمد سعيد سلم
٧٧	موسوعة الأدباء السعوديين القسم الثاني	أحمد سعيد سلم
٧٨	موسوعة الأدباء السعوديين القسم الثالث	أحمد سعيد سلم
٧٩	ملاعبة الصيد	أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري
٨٠	في ذاكرة الصحراء - دراسات نقدية في نصوص شعرية سعودية معاصرة	محمد إبراهيم الدبيسي
٨١	ملف العقيق المجلد الأول	يصدر عن النادي الأدبي بالمدينة
٨٢	آفاق شعرية «قراءة لما وراء النص»	محمد محمود جاد الله
٨٣	اللمعة في صنعة الشعر	د. صلاح الدين محمد الهادي
٨٤	ملف العقيق المجلد الثاني	يصدر عن النادي الأدبي بالمدينة
٨٥	فن الرماية بالسهم الحديثة	د. عدنان درويش جلون
٨٦	ملف العقيق المجلد الثالث	يصدر عن النادي الأدبي بالمدينة

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٨٧	المستدرك في شعر بني عامر - من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي ١٣٢هـ ج ١ «الدراسة الموضوعية والفنية»	د. عبدالرحمن الوصيفي
٨٨	المستدرك في شعر بني عامر - من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي ١٣٢هـ ج ٢ «الجمع والتحقيق»	د. عبدالرحمن الوصيفي
٨٩	نحن والآخر	د. عاصم حمدان
٩٠	المسرح الشعري «بعد شوقي»	د. محمد عبدالعزيز المواني
٩١	دراسات أدبية «المجلد الرابع»	من محاضرات النادي الأدبي بالمدينة
٩٢	ملف العقيق - المجلد الرابع	يصدر عن النادي الأدبي بالمدينة
٩٣	دراسات في الأدب الإسلامي - المجلد الخامس	من محاضرات النادي الأدبي بالمدينة
٩٤	ملف العقيق - المجلد الخامس	يصدر عن النادي الأدبي بالمدينة
٩٥	عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ	ناجي محمد حسن عبدالقادر الانصاري
٩٦	مهد الذهب	عبدالعزيز الحازمي وعلي عودة
٩٧	مسيرة ٢٠ عامًا لنادي المدينة للنورة الأدبي	محمد صالح البليهشي
٩٨	دراسات حول المدينة المنورة	من محاضرات النادي الأدبي بالمدينة
٩٩	رائحة الزمن الآتي	إبراهيم الوالي
١٠٠	مدخل إلى تحقيق النص الشعري	د. عبدالرحمن محمد الوصيفي
١٠١	لن أعود إليك	وفاء الطيب
١٠٢	دراسات في الأدب الحديث «المجلد الثالث»	من محاضرات النادي الأدبي بالمدينة
١٠٣	عمر بن شبة	د. سلام شافعي
١٠٤	ملف العقيق المجلد السادس	يصدر عن النادي الأدبي بالمدينة
١٠٥	اثر وسائل الإعلام في اللغة العربية	د. جابر قميحة
١٠٦	ديوان رشة عطر	مفرج السيد
١٠٧	تاويل ما حدث	د. محمد العيد
١٠٨	نزيف الجرح	سعد سعيد الرفا
١٠٩	دراسات مقارنة بين الأدبين العربي والغربي	د. عاصم حمدان
١١٠	ملف العقيق (المجلد ٧)	يصدر عن النادي
١١١	ملف العقيق (المجلد ٨)	يصدر عن النادي
١١٢	دراسات في الفكر الإسلامي (المجلد السادس)	من محاضرات نا
١١٣	عبدالله بن إدريس شاعرًا ونقادًا	د. محمد صادق
١١٤	شعر عبدالسلام حافظ (دراسة وتحليل)	رحمة مهدي ع
١١٥	كتب ومؤلفون	عبدالعزيز الربيع
١١٦	مناقشات - ومناشآت -	عبدالعزيز الربيع

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١١٧	المدنية المنورة «البينة والإنسان» بالاشتراك	إشراف وتحرير أ. د / محمد أحمد الروثي
١١٨	مع نادي جدة الأدبي الثقافي ملف التحقيق المجلد «٩»	أ. د / مصطفى محمد خوجلي يصدر عن النادي
١١٩	حلم في دوامة الانهزام	حكيمه الحري (ليس منصور)
١٢٠	الأطام (العدد الأول)	تصدر عن النادي
١٢١	البنات والأمهات والزوجات في الفضليات وأشياء أخرى	د / محمد العيد الخطراوي
١٢٢	رسائل في حب الوطن	محمد صالح البليهشي

